ألفاظ وتراكيب ودلالات جديدة
في السياق القرآني

An Updated View Of Lexis, Structures and Semantic References in the Quranic Context

اسم الطالبة: تمـــــام محمـــــد السيـــــد

المشـــرف : الدكتور عودة خليل أبو عودة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة والنحو، تخصص اللغة العربية

قسم اللغة العربية، كلية الآداب

جامعة الشرق الأوسط

تموز/٢٠١٠

صفحة التفويض

أنا تمام محمد السيد أفوض جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً وإلكترونياً للمكتبات، أو المنظمات، أو الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها.

الاســـم: ....

التاريخ: ....

التوقيع: ....

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها: **ألفاظ وتراكيب ودلالات جديدة في السياق القرآني**

وأجيزت بتاريخ: / /

أعضاء لجنة المناقشة: جهة العمل - التوقيع

١- الأستاذ الدكتور: عودة خليل أبو عودة مشرفاً..............................

٢- الأستاذ الدكتور: .... رئيساً ....

٣- الأستاذ الدكتور: .... عضواً خارجياً ....

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

لله الحمد من قبل ومن بعدُ، وبعدُ..

فإني أتقدم بخالص الشكر والعرفان، ووافر التقدير والاحترام لأستاذي الدكتور عودة خليل أبو عودة، ذي الأيادي البيضاء، الذي شرفني بالإشراف على رسالتي هذه، فكان حقّـاً – وهـي شهادة أسأل عنها يوم الحساب – نِعْمَ المُوجه والمرشد، بعلمه وإخلاصه ورفقه وعزمه ورعايته، فلم يَأْل جُهدَاً، ولم يوفر وقتاً إلا أفدت منه، فتعلمت على يديه البحث الجادَّ، والإخلاص والأمانـة في النقل. حتى خرجت هذه الرسالة بشكلها الذي بين أيديكم، الذي أرجو الله عزّ وجل أن يكتبـه لي ولأستاذي في ميزان حسناتنا، أطال الله عمره عالماً ومعلماً.

ثم إني أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الذين أخذت رسالتي شيئاً مـن وقـتهم في قراءتها حتى تخرج في أحسن صورة.

وأتقدم هنا إلى مجمع اللغة العربية الأردني، بكل فردٍ فيه بالشكر الجزيل على مـا قـدموه لي، ويسروه من مساعدات في أثناء البحث، وبخاصة أعضاء مكتبة المجمع.

هذا، وأشكر كل من كان له فضل في تمام هذا البحث، والله أسـأل أن يتقبلـه منـي، وأن يجعل منه عملاً علمياً يفيد منه كل من يطّلع عليه.

والحمد لله رب العالمين.

تمام محمد السيد

إهـــداء

إلى مَنْ زرع فيَّ روح العلم والمعرفة والمثابرة، فَسِرْتُ على نهجه ودربه

أبي.. فخري وعزّي

إلى مَنْ سَقَت فيّ نَبْتَ الأدب، فنمت غراساً سامقة يانعة،

أمي.. ربيع قلبي

إلى من أحيا فيّ الهمة والعزم والتضحية، فمضيت في هذه الرحلة العلمية الممتعة

أستاذي القدير الدكتور عودة أبو عودة.. قدوتي وموجهي

إلى مَنْ تسعد الحياة بهم، فتغدو زاهرة صافية

إخواني.. سندي وعزوتي

إلى مَنْ يُسْعِد قلبي قربُهُنَّ، ومن ملأن حياتي بحنانهنَّ وعطفهنَّ

أخواتي.. وكفى بهنَّ

إلى مَنْ أبث لهنَّ خلجات ما في نفسي، فتهنأ روحي بصدقهنّ وصفوهنَّ:

صديقاتي.. رفيقات عمري

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الغلاف (العنوان)
ب	التفويض
ج	قرار لجنة المناقشة
د	شكر وتقدير
هـ	إهداء
و	فهرس المحتويات
ي	قائمة الجداول
ك	الملخص باللغة العربية
ل	الملخص باللغة الإنجليزية
١	**الفصل الأول: ويشتمل على:**
٢	- تمهيد
٤	- موضوع الدراسة وأهميتها
٤	- تعريف المصطلحات
٥	- منهجية الدراسة ومحدداتها
٦	- فصول الدراسة
٦	- الأدب النظري والدراسات السابقة
١٢	- التطور الدلالي، مفهومه ومظاهره ونتائجه
٢٣	- السياق وأثره في تحديد الدلالة
	الفصل الثاني، ويشمل مبحثين:
٢٥	**- المبحث الأول: ألفاظ جديدة صنعها القرآن الكريم.**
٢٨	- الجاهلية
٣١	- جهنم
٣٢	- الحواريون
٣٥	- الترتيل

- الرهبانية	٣٨
- الزكاة	٤١
- السحت	٤٢
- الطّامة	٤٥
- التغابن	٤٦
- الفرقان	٤٨
- الفسوق	٥١
- القصاص	٥٢
- الكفارة	٥٥
- النفاق والمنافق	٥٧
- المبحث الثاني: ألفاظ أضفى عليها القرآن الكريم دلالات جديدة.	٦٠
- الأمة	٦١
- التيمم	٦٤
- التبتل	٦٧
- الجحيم	٦٩
- الحج	٧١
- الأحزاب	٧٣
- الحاقة	٧٥
- الحلف والقسم	٧٧
- الركوع	٨٠
- السبت	٨١
- الأسباط	٨٤
- السجود	٨٧
- الصابئون	٨٩
- الصّاخة	٩٣
- الصلاة	٩٤
- الصيام	٩٦
- الأعراف	٩٨

- العقاب والعذاب	١٠٠
- الغيث والمطر	١٠٣
- الفؤاد والقلب	١٠٦
- الفلاح والفوز	١٠٩
- القرآن والكتاب	١١٣
- القارعة	١١٥
- يلحدون	١١٨
- النصر والفتح	١٢٠
- التهجد	١٢٤
- الميزان	١٢٦
الفصل الثالث: ويشمل مبحثين:	
- المبحث الأول: تراكيب جديدة صنعها القرآن الكريم.	١٣٠
- استوى على العرش	١٣٢
- أصحاب الكهف	١٣٣
- أم الكتاب	١٣٥
- حبطت أعمالهم	١٣٨
- ذات الصدور	١٣٩
- سُقط في أيديهم	١٤٠
- عليهم دائرة السَّوء	١٤٣
- في سبيل الله	١٤٥
- قضى نحبه	١٤٨
- كان مزاجها كافوراً	١٤٩
- لباس التقوى	١٥٢
- ليلة القدر	١٥٤
- المؤلفة قلوبهم	١٥٦
- ما ملكت أيمانكم	١٥٨
- مسجد الضرار	١٦١
- واخفض لهما جناح الذل	١٦٣

- واعتصموا بحبل الله	١٦٤
- والتفت الساق بالساق	١٦٧
- يستحيون نساءكم	١٦٨
- المبحث الثاني: تراكيب أضفى عليها القرآن الكريم دلالات جديدة.	١٧٠
- ألم نشرح لك صدرك	١٧١
- بشق الأنفس	١٧٣
- ختامه مسك	١٧٥
- الدار الآخرة	١٧٧
- الصراط المستقيم	١٧٩
- غير أولي الإربة	١٨١
- فقطع دابر القوم	١٨٢
- في لوح محفوظ	١٨٥
- لا تعضلوهن	١٨٦
- مدّ الأرض	١٨٨
- النفاثات في العقد	١٩٠
- وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه	١٩٢
الفصل الرابع: النتائج والتوصيات	١٩٦
فهرس المصادر والمراجع	٢٠٣

قائمة الجداول

رقم الفصل/ رقم الجدول	محتوى الجدول	الصفحة
٤/١	ألفاظ جديدة في السياق القرآني	١٩٨
٤/٢	تراكيب جديدة في السياق القرآني	١٩٩

ألفاظ وتراكيب ودلالات جديدة في السياق القرآني

تمام محمد السيد

المشرف الدكتور: عودة خليل أبو عودة

الملخــص

تهدف هذه الرسالة إلى بيان بعض مظاهر التطور اللغوي والدلالي في الألفاظ والتراكيب القرآنية، لتكون دليلاً على تحدي القرآن للعرب، وعدم قدرتهم على الإتيان بمثله، ومن ثمّ للوصول إلى إثبات قدرة اللغة العربية على مواكبة التقدم والتطور، إذ تعبر عن المعاني المتجددة في كل عصر، وبيان كيف أنَّ القرآن الكريم حفظ اللغة العربية، وستناقش هذه الدراسة محورين أساسيين هما:

- ألفاظ وتراكيب جديدة صنعها القرآن الكريم مثل: الترتيل والنفاق والفسوق، وسُقط في أيديهم وغيرها.
- ألفاظ وتراكيب أضفى عليها القرآن دلالات جديدة، مثل الصلاة، وألم نشرح لك صدرك، وغيرها.

اعتمدت هذه الدراسة على معاجم اللغة الكبرى ابتداء بمعجم العين للفراهيدي، فلسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي وغيرها، وكذلك على مصادر اللغة الكبرى، كجمهرة اللغة لابن دريد والخصائص لابن جني والمزهر للسيوطي وغيرها من الكتب، وعلى كتب التفسير المختلفة مثل: جامع البيان للطبري، والتفسير الكبير للفخر الرازي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي وغيرها، كذلك اهتم البحث بكتب الدراسات القرآنية، قديماً وحديثاً وبآراء المفسرين وعلماء اللغة وأهل النقد والبيان.

وأرجو أن تكون هذه الدراسة خطوة في موضوع (المعجم التاريخي)، الذي يسعى اتحاد مجامع اللغة العربية في الوطن العربي على وضعه وإنجازه.

Updated View of Lexis , Structures and Semantic References in the Quranic Context

Student: Tamam Mohammed Al-sayed

Supervisor: Dr. Odah Khalil Abu Odah

Abstract

This thesis aims to uncover some of the linguistic and semantic developments of Quranic words and structures to be used an evidence to the challenge of Quran to Arabs and their inability to come up with similar texts.

It also aims to show the potential of Arabic to accommodate progress and advancement manifested in its ability to express new meanings in each period. It also attempts to show that Arabic was preserved through glorious the Quran. In line with this, the study will tackle two main points:

1. New lexical items and structures introduced by the Glorious Quran such as tartiil, nifaq, fusuq, and suqita fi ?aydiihim.

2. Quranic lexical items and structural which were extended in meaning such as – salat, and 2alam nasˆrah laka sadrak etc.

This study relied heavily on major language dictionaries such as Al-?ayn by Al-Farahidi, lisan Al-Arab by Ibn Manthour, and Taj al-?aruus by Al-Zubaidi and other major language sources as Jamharat Al-lugha by Ibn Duraid, Al-Khasais by Ibn Jinni and Al-Mizhir by As-Suyuuti and other Exegesis references such as Jami Al-Bayan by At-Tabari and At-Tafseer al-Kabeer by Al-razi, and Al-Jami for Quranic Rules by Al-Qurtubi.

In addition, the research focused on old and new Quranic studies texts, and exegesis and language scholars opinions.

The researcher expects that this study will be contribute to the endeavor of implementing the historical dictionary which the Arab language academies struggle to accomplish.

الفصـــــل الأول

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، وبعد:

فقد كان القرآن الكريم، وما زال موضع اهتمام المسلمين على مر العصور؛ اجتهدوا في إعرابه وبيان غرائبه، وقد انفتح العالم القديم بعضه على بعض إثر الفتوحات الإسلامية؛ إذ دخل غير العرب في الإسلام، مما أدى إلى اختلاط اللسان العربي، فباتت اللغة العربية في خطر أكيد، وهو ما بعث على النهوض لدرء هذا الخطر، الذي هو – لاشك- خطر على القرآن الكريم، وقد تصدر لهذه المهمة جهابذة من العلماء، آلَوا على أنفسهم حمل الأمانة، فظهرت المؤلفات المتنوعة حول الكتاب الكريم (القرآن)، مشتملة أبحاث العقيدة والتشريع واللغة والأدب والبلاغة والبيان وغيرها من الموضوعات.

وما يَهُم في هذا البحث القرآني، هو ما يتعلق باللغة والدلالة، وقد اخترت هذه الدراسة المتصلة بالقرآن الكريم؛ لأن (القرآن الكريم رسالة الحياة كأشمل ما تكون الحياة، وأعمق ما تكون الحياة، وأظهر ما تكون الحياة)[١]؛ فأي دراسة في اللغة العربية لا تعطي ثمارها إلا إذا ارتبطت بالنص القرآني، واللجوء إلى آياته التي هي شديدة الارتباط بحياة الناس؛ (فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم)[٢]، فلا فاصل بين اللغة والحياة إذن.

وما كان يمكن لغير اللغة العربية (أن تكون المهد الذي تنشأ فيه المعجزة الكبرى في تاريخ الإنسانية)[٣]؛ فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

لقد كان للقرآن الكريم وقعٌ كبيرٌ على قريش والعرب، فمصدق ومكذب؛ فقريش التي غدت لهجتها هي السائدة في جميع مناحي الحياة العربية؛ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية، وجدت في القرآن ما يسفه أحلامها، ويعيب آلهتها، ويساوي بين زعمائها وعبيدها، فكذّب منها من كذّب؛ إذ عدلوا إلى العناد والاستهزاء، فهذا الوليد بن المغيرة يشهد في القرآن شهادة أمام

---

(١) حجازي، محمد عبد الواحد، (١٩٨٧). أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، (د.ط)، (د.ن)، ص٥.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (د.ت). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، (د. ط)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١، ص٢٠١

(٣) حجازي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، ص١٠.

قريش قال فيها: (والله إن لِقَوله لحلاوة، وإن أصله لَعَذِق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف أنه باطل)[١]، لكنّ عناده وخوفه من الاتهام أبيا عليه إلا أن يماري فيقول: إنه سحر، رغم شهادته تلك، فكان هو ومَنْ وراءَه مَنْ عاند مثله مِنَ الفصحاءِ الألِداء، الذين قاوموا الدعوة بكل قوة وعناد. في مقابل ذلك فإن أفراداً كثيرين من الناس دخل القرآن الكريم قلوبهم قبل الاستماع إليه أو في أثناء ذلك؛ فهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، يَخْرُجُ طالباً الرسول عليه السلام ليقتله، فيوقفه نعيم بن عبد الله - وقد أسلم سراً - فيقول له: (أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟)[٢]؛ يقصد أخته فاطمة وختنها سعيد بن زيد - رضي الله عنهما -، فيذهب عمر إلى أخته، فيدور بينهما حوار يفضي إلى سماعه آيات من سورة طه، في صحيفة كانت تحملها أخته فاطمة، فلا يستطيع إلا أن يقول: (ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!)[٣]، فما كان إلا أن أعلن إسلامه.

كذلك كان للقرآن الكريم أثر كبير في تغير مفاهيم الناس ومعتقداتهم ومبادئهم، فبعد أن كانت تقوم على إعلاء النسب والجاه وتبجيل فكرة (القبلية) والتعصب لها، جاء القرآن فجعل التقوى أساس التفاضل، وأصّل مفهوم (الأمة)، بدلاً عن القبيلة ، كما غيّر نظرة الناس إلى القتال، فلم يَعُد الهدف منه السلب والنهب وسفك الدماء، بل انتقل المؤمنون مع القرآن إلى أهداف سامية تدعو إلى الفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة، فهو جهاد لإعلاء كلمة الله والدفاع عن دينه[٤]؛ ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ النساء: ٧٤

وبَعدَ أن كانت المرأة بمفهوم عرب الجاهلية، سبب كل بلاء ومجلبة للعار، جعلها القرآن مُكَرَّمة عند أبويها؛ لها حق في الميراث، ولها الحق في اختيار الزوج، والإدلاء بالشهادة، وعقد العقود، ولها حق التصرف بمالها، وجَعَلَها مكلفة كالذكر تماماً. فالقرآن إذن نقى النفوس، وطهر العقول، وغيّر الإنسان ليكون صالحاً لمجتمع الخير والسداد.

---

(١) الأنصاري، ابن هشام، (١٩٨٤). تهذيب سيرة ابن هشام، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط١٠)، مؤسسة الرسالة، ص٦٠.

(٢) المصدر السابق، ص٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص٧٩.

(٤) انظر: قفه، حيدر (١٩٨٧). مع القرآن الكريم، (ط١)، عمان، الأردن، دار الضياء، ص٢٣٩.

موضوع الدراسة وأهميتها:

ستحاول هذه الدراسة بيان ما إذا كان أسلوب البيان القرآني اختلف عما أَلِفَتْهُ العرب من أساليب قبل نزول القرآن الكريم، وبيان ما إذا قدّم القرآن الكريم ألفاظاً وتراكيب ودلالات جديدة تثبت تحدي القرآن للعرب، وعدم قدرتهم على الإتيان بمثله، للوصول إلى ما إذا استطاع القرآن أن يبرهن على قدرة اللغة العربية في التعبير عن المعاني المتجددة في كل عصر، وبيان أن القرآن الكريم هو حافظ اللغة العربية بما أعطاها من مرونة هائلة وقدرات اشتقاقية عظيمة، وإمكانية لا حدود لها لتطوير الألفاظ ومدلولاتها، وتجديد التراكيب وأساليب التعبير.

فالموضوع – إذاً- ما زال بحاجة إلى المزيد من البحث والتنقيب، فالقرآن يتجدد النظر فيه وفق تجدد العصر، فكان لا بد من توجيه أنظار الدارسين والباحثين إلى مثل هذه الدراسات لتقديم صورة عن حيوية اللغة، ووسائل تطورها وتنميتها، واستمرارها وقدرتها على مواكبة الحياة؛ (ذلك أن اللغة ليست صنع فرد أو أفراد بل هي نتيجة حياة كاملة في أي مجتمع، متطورة مع الزمن؛ فهي كالكائن الحي تحيا على ألسنة المتكلمين بها في كل عصر، ومن هنا تتغير وتتطور، وتخضع في نشأتها وتطورها ونموها لما يخضع له الكائن الحي، كما أنها ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع، فترقى برقيه، ويضعف تأثيرها بانحداره)[١]، إلى جانب حاجة المكتبة العربية والإسلامية إلى مثل هذه الدراسات المتخصصة في مجال القرآن الكريم.

تعريف المصطلحات:

إن تحديد المصطلحات وتعريفها في أي بحث يشكل جانب الوضوح، الذي يبعد أي إشكال أو التباس على القارئ أو الناقد؛ لذا فإن المصطلحات الواجبة التحديد والتعريف هي:

- ألفاظ جديدة: هي الصيغ اللغوية الجديدة التي اشتقت من مواد لغوية معروفة في لغة العرب، كاشتقاق القرآن من قرأ، والنفاق من نفق، والفسوق من فسق، فهذه المشتقات لم تكن معروفة من قبل بهذه الصيغ.
- تراكيب جديدة: هي التراكيب التي صنعها القرآن الكريم من عدة ألفاظ، ولم تكن معروفة من قبل بهذا التركيب، مثل: في سبيل الله، وسُقط في أيديهم، وغيرها.

---

(١) انظر: عبد التواب، رمضان، (١٩٨٣). التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، (ط١)، القاهرة، مصر، مطبعة المدني، ص٥

- دلالات جديدة: هي الدلالات التي أضفاها السياق القرآني على بعض الألفاظ والتراكيب، ولم تكن العرب تستعملها بهذا المعنى، مثل: الغيث والمطر، الحلف والقسم، وغيرها.
- السياق القرآني: تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية؛ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال[١].
- المصطلح القرآني: هو كلمات وتراكيب القرآن الكريم التي جاءت بمعانٍ خاصة غير المعاني التي وردت فيها في الشعر الجاهلي، وفي استعمال العرب قبل نزول القرآن الكريم، فباتت في متعارف الناس مصطلحات خاصة بتلك المعاني التي حملتها في استعمال القرآن الكريم[٢].

منهجية الدراسة ومحدداتها:

إن منهج القرآن الكريم بالنسبة للغة ذو ثلاثة وجوه:

١- فهو إما أن ينبذ ألفاظاً.

٢- وإما أي يعطيها دلالات جديدة.

٣- وإما أنه يصنع ألفاظاً جديدة.

وستكون هذه الدراسة دراسة انتقاء واكتفاء لألفاظ وتراكيب ذات دلالات جديدة ضمن الوجه الثاني والثالث، يتم الاهتداء إليها بالنظر والتأمل، ذلك أنه بعد البحث في الدراسات قديماً وحديثاً، لم أقف على دراسة متخصصة في هذا الموضوع إلا دراسة واحدة سأشير إليها في معرض الحديث عن الدراسات السابقة وما يتصل بها من دراسات.

وستعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، باللجوء إلى معاجم اللغة القديمة الكبرى، مثل: العين للفراهيدي، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي، وعلى مصادر اللغة الكبرى مثل: جمهرة اللغة لابن دريد، والخصائص لابن جني، والمزهر للسيوطي، وعلى أشهر كتب التفسير مثل: جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، والتفسير الكبير للفخر

---

(١) محمود، المثنى عبد الفتاح، (٢٠٠٨). نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية)، (ط١)، عمان، الأردن، دار وائل للنشر، ص١٥.

(٢) انظر أبو عودة، عودة خليل، (١٩٨٥). التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، (ط١)، الزرقاء، الأردن، مكتبة المنار، ص٢٢.

الرازي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وكذلك ستعتمد على مصادر الشعر الجاهلي وغير الجاهلي مما يحتج به مثل: دواوين الشعراء الجاهليين، وغير الجاهليين ممن يحتج بشعرهم، والمجموعات الشعرية كالحماسة والمفضليات، وعلى كتب الدراسات القرآنية الحديثة وكتب التطور اللغوي والدلالي، مع العلم أن هذه المصادر والمراجع ليست على سبيل الحصر.

- **فصول الدراسة.**

ستكون هذه الدراسة في أربعة فصول، هي كالآتي:

- الفصل الأول: ويحتوي على: (تمهيد، موضوع الدراسة وأهميتها، تعريف المصطلحات، منهجية الدراسة ومحدداتها، فصول الدراسة، الأدب النظري والدراسات السابقة، التطور الدلالي مفهومه ومظاهره ونتائجه، السياق وأثره في تحديد الدلالة).
- الفصل الثاني: ألفاظ جديدة في السياق القرآني، وسيكون ضمن مبحثين هما:

أ- ألفاظ جديدة صنعها القرآن الكريم.

ب- ألفاظ أضفى عليها القرآن الكريم دلالات جديدة.

- الفصل الثالث: تراكيب جديدة في السياق القرآني، وسيكون في مبحثين هما:

أ- تراكيب جديدة صنعها القرآن الكريم.

ب- تراكيب أضفى عليها القرآن الكريم دلالات جديدة.

- الفصل الرابع: النتائج والتوصيات.

الأدب النظري والدراسات السابقة:

فالموضوع إذن ليس جديداً لم يُطْرق من قبل، ولكنه لم يُعط حقه من الدراسة المتخصصة قديماً وحديثاً؛ فالدراسات القديمة إما أن (تقارن بين معنى ومعنى، أو تتابع اشتقاق كلمة، أو تمثل ببيت من الشعر الجاهلي لمعنى من المعاني الواردة في القرآن الكريم)[1]. ومن ذلك:

- ما خصصه الرازي (٣٢٢ هـ) ابتداء من الجزء الثاني من كتابه: (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية)، لمعالجة الكلمات والمصطلحات الدينية التي اختارها معالجة

(١) انظر: أبو عودة. التطور الدلالي ، ص٣٩

لغوية، ويظهر من عنوان كتابه أن ثمة فرقاً بين الكلمات العربية ، والكلمات الإسلامية التي أعطاها القرآن معنى جديداً[١]. وقد قدم لهذا الكتاب إبراهيم أنيس، فقال: (هو أول كتاب في العربية يعالج دلالة الألفاظ وتطورها، ويسوق النصوص والشواهد الصحيحة التي تؤيد ما يقول، ويرتبها بعض الأحيان ترتيباً تاريخياً يتبين القارئ منه أصل الدلالة وكيف تطورت، ويستطيع أن يستنبط سبب هذا التطور)[٢]. كما علّق الهمذاني على الكتاب فقال: (حاول صاحب الزينة تفسير معاني الكلمات التي تغيرت مدلولاتها في العصر الإسلامي عما كانت عليه في العصر الجاهلي، وإن لم تكن محاولته متواصلة ومطردة) [٣]، ذلك (أنه ما إن يَسِرْ شوطاً على هذا المنهج حتى ينحو في بحثه نهج معاصريه، فيتحول بحثه إلى دراسة عن الفِرق والمذاهب الإسلامية، مبتعداً عن المنهج الذي سار عليه في أول كتابه)[٤]، فضلاً عن أنه – كما يقول الهمذاني- (تجاوز هذا إلى تفسير كلمات توجد في العالم مثل: السماء والأرض والإقليم والجزيرة، وغيرها من أسماء المدن العربية المشهورة)[٥].

- ومنه ما حققه الأصفهاني (٥٠٢ هـ) في كتابه: (المفردات في غريب ألفاظ القرآن)، من ألفاظ مفردة، مشيراً إلى العلاقات بين الألفاظ المستعارة منها والمشتقة، وكثيراً ما كان يفسر اللفظة القرآنية بأختها القرآنية، مثل: الآزفة: القيامة، النفس: الروح. وقد ذيل كتابَه بكتاب آخر حقق فيه الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وما فيها من الفروق الغامضة، مثل: القلب، والفؤاد، والصدر.

- كما أفرد السيوطي (٩١١هـ) في كتابه: (الإتقان في علوم القرآن) صفحات طوالاً لغريب القرآن؛ إذ ذكر ما حدث في لقاء كان بين نافع بن الأزرق[٦]، وابن عباس الذي اشتهرت مقولته: (الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزل بلغة العرب، رجعنا

(١) انظر: أبو عودة. التطور الدلالي ، ص٣٩.
(٢) أبو حاتم الرازي، أحمد بن حمدان، (١٩٥٧). الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، علق عليه: حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري الحِرازي، (ط٢)، القاهرة، المعهد الهمذاني للدراسات الإسلامية، ج١، ص١٢
(٣) المصدر السابق،ج١، ص٢١.
(٤) الصفار، ابتسام مرهون، (١٩٦٦). التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد يوم القيامة، (ط ١)، النجف، العراق، مطبعة الآداب، ص٧.
(٥) أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ج١، ص٢٠.
(٦) من رؤوس الخوارج، وزعيم فرقة الأزارقة التي نسبت إليه.

إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه)[١] ومما سأل عنه ابن الأزرق قوله تعـالى: M * + , L مريم: ١٣، فأجابه ابن عباس: رحمة من عندنا. قال ابن الأزرق: وهل تعرف العـرب ذلك ؟ قال: نعم، أما سمعت طرفة بن العبد يقول:

أبـا منـذرٍ أَفْنيـتَ فاسْتَبْـقِ بعضَنَـا   حنانيك؛ بعضُ الشر أهونُ مِنْ بعضِ[٢]

- خصصت الصفار (١٩٦٦) كتابها: (التعابير القرآنية والبيئة العربية في مـشاهد يـوم القيامة) لدراسة ألفاظ مشاهد القيامة، إذ هي مشاهد متتابعة. وقد قسمت دراستها إلى ستة فصول، كل فصل يمثل مشهداً كاملاً متعدد الجوانب والصور، ومجموع الفصول يمثل مجموع الأحـداث التي ستكون يوم القيامة، منطلقة في فهم هذه التعابير والألفاظ ودلالاتها من البيئة العربية، وهـذا المنهج يشترط أن تبدأ دلالة الألفاظ فيه من الحسية ومن ثم تتطور إلـى المجازيـة والمعنويـة، وأمثل على ذلك بالفصل الأول من الكتاب الذي جعلته بعنوان: النفير عنوانـاً رئيـسياً، وتحتـه عناوين فرعية هي: وسائل النفير (الصور والناقور، الداعي والمنادي، الصيحة الزجرة)، ومـدة النفير. مؤكدة أن الدراسات القرآنية تفتقر إلى مثل هذه الدراسات التي تسير على هـذا الـنهج؛ حتى معاجم اللغة أهملت التدرج التأريخي لدلالة اللفظة، غير نافية وجود إشـارات إلـى هـذا المنهج، في مثل معجم مقاييس اللغة لابن فارس، لكنه كان يضع الاسـتعمال المعنـوي أصـلاً للكلمة، ومن ثم الرازي في كتابه الزينة الذي يعد محاولة جديدة لدراسة الألفاظ الإسلامية لكنهـا دراسة غير متخصصة.

- أثبت فرحات (1983) في كتيبه: (الأمة في دلالتها العربية والقرآنية) الأصل العربـي لهذا المصطلح، وبين اشتقاقه اللغوي، ودلالاته المتعددة في اللغة كالجماعة والدين والملة والرجل المنفرد وغيرها من المعاني، ثم بين كيف أن هذه المعاني يرتبط بعضها ببعض، ثم خلص إلـى معاني هذا المصطلح في القرآن الكريم، ومن ثم إلى المعنى الإسلامي العام له.

---

(١) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (د.ت). الإتقان في علوم القرآن، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار المعرفة ج١، ص١٥.

(٢) ابن العبد، طرفة، (١٩٧٥). ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال. (د.ط)، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص١٧٢

- رأى أبو عودة (١٩٨٥) في كتابه: (التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم) أن ما أطلق عليه المفسرون وعلماء اللغة (المعنى الشرعي) هو ما يمكن أن يطلق عليه اسم (المصطلح الإسلامي)، وهو (ورود كلمات في القرآن بمعان غير المعاني التي وردت في الشعر الجاهلي)(١).

وقد تناول في كتابه مئتين وخمسين مصطلحاً، درسها دراسة لغوية ثم اصطلاحية، بين فيها وجه التطور الدلالي ودور السياق في بيان الدلالة، كما عقد فصلاً فيما يظن أنها مترادفات، فنفى وجود الترادف في القرآن الكريم تماماً، مستشهداً في كل ذلك بالشعر الجاهلي، مستعيناً بمعاجم اللغة الكبرى وكتب التفسير في مختلف العصور، بالإضافة إلى كتب الدراسات القرآنية.

- عدّ رشيد (١٩٩٦) في رسالته: (الترادف في القرآن الكريم) الألفاظ الإسلامية مظهراً من مظاهر التطور الدلالي في المفردات العربية، فقال: (هي تلك الألفاظ التي عرفها العرب في جاهليتهم بمعناها الأصلي، ثم استعملت في الإسلام بدلالات جديدة جاءت في الشرع الذي جاء بتصورات وعقائد وتنظيمات جديدة، أي إن التغير الفكري والاجتماعي لاَزَمَهُ تغير لغوي أو دلالي)(٢)، وقد نقل أمثلة تمثل هذه الألفاظ من الكتب القديمة التي اهتمت بهذا الأمر كالمفردات للأصفهاني، ثم توصل رشيد إلى أن هذا التطور في دلالة الألفاظ هو تطور (عفوي تلقائي وقد يكون ضيقاً أو متسعاً، أما الألفاظ الإسلامية والمصطلحات الشرعية، فقد جاءت مرة واحدة من مصدر واحد، واحتفظت بدلالاتها الجديدة، وثبتت ثبوت الدين؛ فكانت بذلك تطوراً قياساً لما كانت عليه في اللغة، لكنها غير قابلة للتطور مرة أخرى، كما أنها غير عفوية، بل هي محددة المصدر، ومحددة الدلالات)(٣). وقد قامت هذه الدراسة على إثبات الترادف في القرآن الذي أطلق عليه اسم (عمر الكلمة).

- تناول العارضي (٢٠٠٠) في دراسته الموسومة بـ (الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم) تناول الألفاظ القرآنية من حيث دلالتها النفسية والاجتماعية، وعلى هذا قسم فصول

---

(١) أبو عودة، التطور الدلالي ، ص٢١

(٢) رشيد، كمال، (١٩٩٦). الترادف في القرآن الكريم، الجامعة الأردنية، "أطروحة دكتوراه، غير منشورة"، ص٤١

(٣) المرجع السابق، ص٤٦.

دراسته وفق الموضوعات والحقول الدلالية، مبتدئاً بدلالة الألفاظ في معاجم اللغة، ثم تابع معانيها في كتب التفسير وكتب الدراسات القرآنية، وتبين له أن الألفاظ تقسم إلى دلالتين؛ الأولى متعلقة بالعرف اللغوي، والثانية متعلقة بالدلالة المنبثقة من السياق، وقد خرج الباحث بأن طلب المعنى ودلالة الألفاظ عموماً طريق طويلة، لكنها تكون أطول مع الألفاظ القرآنية، وتكون أكثر طولاً عندما تكون بطلب الدلالة النفسية للفظة القرآنية في السياق القرآني؛ ذلك أن دلالتها عميقة متفردة، والوصول إلى تلك الدلالة يحتاج إلى ذائقة فنية، وتحليل دلالي جمالي.

- وقف أبو صفية (٢٠٠٣) في كتابه: (كلمات القرآن) على ألفاظ من كلمات القرآن الكريم أراد أن يبين دلالتها اللغوية على الحقيقة، ومن ثم ما طرأ عليها من تغير وتوسع بمجيء الإسلام، ثم عرض لمعاني اللفظة المختلفة كما جاءت في القرآن الكريم، وهذا الكتاب في الأصل حلقات تلفزيونية عالج فيها سبعاً وخمسين لفظة، ولا تعد هذه الدراسة متخصصة تماماً؛ ذلك أن المؤلف لم يحرص على الاستشهاد بالشعر الجاهلي أو بشعر عصر الاحتجاج، إنما حرصه كان على ذكر المعاني اللغوية للفظة، ومن ثم المعاني التي استعملها القرآن للفظة الواحدة.

- نقض الدوري (٢٠٠٦) في كتابه: (دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني) ظاهرة الترادف في القرآن الكريم من خلال إقامة الفروق اللغوية، وقد بيّن أثر السياق في كشف الفروق بين الألفاظ والتراكيب المتشابهة في القرآن، فاقتربت (هذه الدراسة من بعض الدراسات اللغوية القائمة على نظرية الحقول الدلالية)[1] التي تهتم بدراسة الألفاظ على أساس الترابط الدلالي بين الكلمات، فتوضع تحت لفظ عام يجمعها، وقد اهتمت الدراسة بفروق الأبنية بالاستناد إلى القاعدة الصرفية المعروفة (الزيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى)، ثم أفرد الدوري فصلاً لعلاقة الفروق بالأصوات، أثبت فيه أن الصوت له أثر في تحديد المعنى، ومن ثم فإن المحاكاة بين الصوت والمعنى لها أثر في سَوق الحروف على سَمْت المعنى المقصود. وقد حوى الكتاب أربعة فصول هي: أثر الفروق اللغوية في التعبير القرآني، فروق الألفاظ، فروق الأبنية، فروق الألفاظ المتقاربة الأصوات.

---

(١) الدوري، محمد ياس خضر الدوري، (٢٠٠٦). دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الكتب، ص٦

- أكدّ الزهيري (٢٠١٠) في أطروحته للدكتوراه (تأثير القرآن الكريم في الشعر حتى نهاية العصر الأموي) أن الشعراء العرب تأثروا كثيراً بلغة القرآن الكريم، وعرض في بحثه ألفاظاً كثيرة بدلالاتها الإسلامية الجديدة، كالضلال والهداية، وألفاظاً أخرى استحدثها القرآن الكريم كالنفاق والفسوق. كما بيَّن أن بعض الشعراء اقتبس من القرآن تراكيب كاملة وردت في أشعارهم، وكذلك عرض للكثير من الصور والمعاني التي تأثر فيها الشعراء بالقرآن الكريم ودلالاته.

بعد هذه الجولة في الدراسات السابقة أرى أن هذا البحث سيكون بحثاً متخصصاً يدرس دراسةً هادفة الألفاظ والتراكيب، وفق منهج محدد يتمثل في النظر في استعمال العصر الجاهلي للفظة أو التركيب، بالاستعانة بمعاجم اللغة ومصادرها ودواوين الشعر الجاهلي والمجموعات الشعرية، ومن ثم النظر في كتب التفسير وكتب الدراسات القرآنية للوصول إلى قول أو رأي في معنى المصطلح ودلالته، وهذا المنهج ابتدأ به الرازي في كتابه (الزينة) لكنه لم يستمر عليه إلى النهاية، كما أنه تجاوز ألفاظ القرآن وتراكيبه إلى ما اشتهر عند المسلمين، في حين ستكون هذه الدراسة مقتصرةً على ألفاظ وتراكيب قرآنية. أما الأصفهاني في (المفردات) فإن منهجه هو منهج القدماء في المقارنة بين معنى ومعنى أو تتابع اشتقاق كلمة، كما أنه ذهب إلى وجود ترادف في القرآن الكريم حين ذيل كتابه بكتاب في مترادفات القرآن، أما ما نقله السيوطي في كتابه (الإتقان) مما كان بين ابن عباس وابن الأزرق فلا يعد دراسة متخصصة، فهي صفحات محددة، ومن ثم لا تعدو أن تكون سؤالاً عن لفظة أو تركيب قرآني إن كانت العرب عرفته أم لا، ورداً عليه ببيت من الشعر لإثبات معرفة العرب له دون بيانٍ لتطور ذلك اللفظ أو التركيب.

وأما دراسة الصفار فقد اقتصرت على موضوع محدد هو دراسة ألفاظ مشاهد يوم القيامة، ودراسة فرحات اقتصرت على دراسة لفظ واحد هو لفظ (الأمة). أما دراسة أبو عودة فهي دراسة متخصصة بدراسة الألفاظ الإسلامية وتطورها الدلالي. وكانت دراسة رشيد (الترادف في القرآن الكريم)، قائمة على أمر إثبات الترادف في القرآن الكريم، وهذا يخالف ما ستعتمد عليه هذه الدراسة من أنه لا ترادف في القرآن الكريم بتاتاً. ودراسة العارضي، دراسة متخصصة في جانب معين هو الدلالة النفسية لألفاظ القرآن الكريم، معتمدة في ذلك على الذائقة الفنية والتحليل الدلالي الجمالي.

ودراسة (أبو صفية) لم تَسِرْ على المنهجية العلمية تماماً في التأصيل؛ إذ هي حلقات تلفزيونية للناس عامة، في حين أن دراسة الدوري تشبه الدراسات القديمة، التي كانت تقوم على المقارنة بين معنى ومعنى أو تتابع اشتقاق كلمة، لكن الجديد فيها هو دراسة الألفاظ وفق الحقول الدلالية وهذا شيء حديث. أما دراسة الزهيري، فقد قامت على إثبات تأثر الشعر بالقرآن الكريم حتى نهاية العصر الأموي، فتابع الباحث ألفاظاً وتراكيب استحدثها القرآن أو أعطاها دلالة جديدة، قد اقتبسها الشعراء من القرآن وأوردوها في شعرهم.

التطور الدلالي: مفهومه ومظاهره ونتائجه:

التطور في اللغة (أمر حتمي يشبه أن يكون وجهاً من وجوه تطور الحياة نفسها، وهو في معناه البسيط: التغير الذي يطرأ على اللغة سواء في أصواتها أو دلالة مفرداتها، أو في الزيادة التي تكتسبها اللغة، أو النقصان الذي يصيبها، وذلك كله نتيجة عوامل مختلفة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الأمم في كافة مجالاتها)[١]، فعملية التطور في اللغة مستمرة باستمرار الحياة وتفاعلها الحضاري[٢]، ويُعد التطور الدلالي شكلاً من أشكال التطور اللغوي، فما التطور الدلالي وما مظاهره وما نتائجه ؟

لقد نال التطور الدلالي كثيراً من التعريفات، وهي في معظمها لا تخرج عن أن تكون تغييراً يطرأ على المفردات والتراكيب، وهذا التغيير يكون تدريجياً، يؤدي إلى حدوث دلالات جديدة وخلع القديمة[٣]، وله ثلاثة مظاهر عامة هي:

(١- تطور يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات وتركيب الجمل وتكوين العبارة، كقواعد الاشتقاق والصرف والتنظيم، كما حدث في سقوط علامات الإعراب في اللهجات العربية الحاضرة، وتأنيث بعض الكلمات، وتذكير بعضها الآخر، نحو: رأس كبيرة، وبطن كبيرة.

---

(١) أبو عودة، التطور الدلالي ، ص٤٥

(٢) خليفة، عبدالكريم، (١٩٧٤). وسائل تطوير اللغة العربية العلمية، (د.ط)، عمان، الأردن، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، ص٧.

(٣) انظر: أنيس، إبراهيم، (١٩٦٣). دلالة الألفاظ، (ط٢)، (د.م)، مكتبة الأنجلو المصرية، ص١٢٣

٢- تطور يلحق الأساليب، نحو ما حدث في لغات المحادثة العامية المتفرعة عن العربية، مثلما حدث للغة الكتابة في العصر الحاضر؛ فتغيرت عن الأساليب الكتابية القديمة، إثر الترجمة والاحتكاك بالآداب الأجنبية، ورقي التفكير، وغيرها من العوامل.

٣- تطور يلحق معنى الكلمة نفسه)[١]، وهذا يظهر في مظاهر عدة تتمثل في:

(أ- تضييق الدلالة (التخصيص): حيث تنتقل دلالة الكلمة من دلالة عامة إلى دلالة خاصة فكلمة الحريم مثلاً، كانت تطلق على كل محرم، ثم أصبحت تطلق على النساء فخصصت بذلك.

ب- توسيع الدلالة (التعميم): وهو نقيض التضييق، وأقل شيوعاً وأثراً في تغير الدلالة وتطورها؛ فالبأس في أصلها في الحرب، ثم أصبحت تطلق على كل شديد.

ج- موت بعض الألفاظ (الانحطاط): هناك ألفاظ تبدلت وتغيرت، فبعد أن كانت ذات دلالة إيجابية بين الناس، فقدت تلك الإيجابية والاحترام والتقدير، وأصبحت مبتذلة منهارة ضعيفة. وقد مثّل لها إبراهيم أنيس بلفظة (الكرسي)، فرأى أنها في القرآن تدل على العرش، ثم أصبحت في متعارف الناس تطلق على أي كرسي، فيقال: كرسي السيارة، وكرسي المطبخ.

وأود القول هنا: إن العرش في القرآن تختلف عن الكرسي؛ إذ ذُكرت اللفظتان في القرآن، والقرآن لا ترادف فيه.

د- حياة بعض الألفاظ (الرقي): وهذه نقيضة سابقتها (موت بعض الألفاظ)، وحياة بعض الألفاظ يكون بانتقال دلالة اللفظة من السلبية إلى الإيجابية. (فالرسول) كانت تطلق على الشخص الذي يرسله المرء في مهمة ما، ثم أصبحت في القرآن الكريم تدل على الرسول الذي يرسله الله حاملاً أشرف وأعظم رسالة، هي رسالة التوحيد.

هـ- انتقال الدلالة: وقد سماها إبراهيم أنيس (تغير مجال الاستعمال)، وهو ما يسمى بالمجاز؛ إذ تتغير دلالة النمط اللغوي إلى دلالة جديدة لوجود علاقة لغوية بين المعنى

---

(١) انظر: وافي، علي عبد الواحد، (١٩٥٧). علم اللغة، (ط٤)، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ص٢٨٦ / ٢٨٧

الحقيقي والمعنى الجديد (المجازي) كانتقال معنى (العقيقة) التي هي في الأصل: الشّعر الذي يخرج على الولد من بطن أمه إلى الذبيحة التي تُنْحر عند حلق الشعر)[١].

(إن التطور اللغوي العام، يسير في خطين أساسيين هما: التطور الصوتي، والتطور الدلالي، وكل منهما يمكن أن يكون سبباً في وجود الآخر)[٢]؛ وأهم النتائج التي يشترك فيها التطور الصوتي والتطور الدلالي هي:

١ - الترادف:

أخذت مسألة الترادف من اهتمام القدماء والمحدثين شيئاً كثيراً، لكنهم مع ذلك اكتفوا بجمع ألفاظ الترادف في الموضوعات المتعددة، ومن ثم تصنيفها في رسائل مستقلة، والبحث في وجوهها المتباينة، وبهذا كان جُل اهتمامهم الجانب النظري، وقلما اهتموا بالجانب التطبيقي؛ لذا فإن المصنفات التي صنفت في الترادف غالباً تذكر القليل من الأمثلة، وهي مكررة تقريباً في جميع المصنفات إذ يأخذ فيها اللاحق عن السابق[٣].

لم يصطلح العلماء قديماً ولا حديثاً على تعريف محدد للترادف؛ ذلك لاختلافهم في هذه الظاهرة اللغوية أصلاً، بين منكر ومثبت[٤]. وربما كان سيبويه في طليعة من أشار إلى هذه الظاهرة عندما قال: (اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف كقولك: وجدتُ عليه من المَوجدة، ووجدتُ إذا أردت وِجدان الضالة) [٥].

---

(١) انظر: أنيس، دلالة الألفاظ، ص١٥٢ وما بعدها.

(٢) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٥٠.

(٣) انظر: المنجد، محمد نور الدين، (١٩٩٧). الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الفكر، ص١٧ وما بعدها.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٣٠.

(٥) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، (١٩٩٧). الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط٢)، الهيئة المصرية العامة، ج١، ص٢٤

لكن هذا لا يعني أنهم ميزوا معنى الترادف تمييزاً دقيقاً، فالمصطلح كـان غامـضاً فـي أذهان علمائنا القدامى[١]. ومن جاء بعده أيضاً لم يخرجوا عن تسمية الترادف بتسميات مختلفـة دون أي شرط ولا قيد لمفهومه، وذلك الغموض هو ما ولّد الخلاف بين اللغويين، مما أدى إلـى وجود آراء متناقضة، ومن ثم اضطراب وخلط في الحكم على الألفاظ بالترادف وعدمه[٢].

ومن ثم نمت هذه الظاهرة شيئاً فشيئاً، حتى أصبح بعض اللغويين يتفاخرون ويعتزون بها، كابن خالويه في مجلس سيف الدولة بحلب يتباهى بأنه يحفظ للسيف خمسين اسماً[٣].

وهذا البحث ليس بصدد عرض آراء المنكرين والمثبتين، لكـن لا بـد مـن القـول: إن المنكرين أنفسهم كانوا ينكرونه نظرياً لكنهم عملياً كانوا يثبتونه؛ فابن الأعرابي (٢٣١هـ) الذي يُعد أول من أنكر الترادف، كان يروي الشعر بالمعنى، وينكر من أنكر عليه ذلك، ثـم يستـشهد على صحة منهجه بالقرآن الكريم[٤]، يقول ابن جني (٣٩٢هـ): (وأخبرنا أبو بكر محمـد بـن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى قال: أنشدني ابن الأعرابي:

وموضـــعِ زَبْـــن لا أريـــد مبيتـــه   كأني بـــه من شـــدة الــروع آنــس[٥]

فقال له شيخ من أصحابه: ليس هكذا أنشدتنا، إنما أنشدتنا: وموضع ضيق ! فقال: سـبحان الله! تَصْحبنا منذ كذا وكذا، ولا تعلم أن الزبن والضيق واحد، وقد قال سبحانه وهو أكرم قـيلاً: ZM [\ ] ^ _ ab c d e f L الإسـراء: ١١٠، وقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نزل القرآن على سبع لغات كلها شافٍ وكافٍ"[٦] وهذا ونحـوه

---

(١) انظر: المنجد، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، ص٣٢.

(٢) انظر: المرجع السابق: ص٣٢

(٣) السيوطي، المزهر، ج١، ص٤٠٥

(٤) المنجد، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، ص٣٧.

(٥) البيت للمرقش الأكبر في شرح المفضليات للتبريزي، أبو زكريا يحيى بن علـي، (د. ت)، تحقيـق: علـي محمد البجاوي، (د. ط)، مصر، دار نهضة مصر، ج٢، ص٨٢١ وهو:

ومنْزل ضَنْك لا أُريد مبيته   كأني به من شدة الرَّوع آنِسُ.

(٦) الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام، (١٩٦٦). غريب الحديث، (ط١)، بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، ج٣، ص١٥٩.

– عندنا - هو الذي أدى إلينا أشعارهم وحكاياتهم بألفاظ مختلفة على معان متفقة)[١]. وهذا ابن فارس (٣٩٥هـ) ينكر الترادف فيقول في باب: الأسماء كيف تقع على المسميات: (يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند والحسام والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات... ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى)[٢]. ومع إنكاره الترادف فإنه يورد ألفاظاً مختلفة ثم يفسرها بمعنى واحد، ومن ذلك قوله[٣]: (هو حسن المَعْطِس والمَرْسِن والرَّاعِف، أي الأنف. وهو جيد المفصل والمقول والمذود، تريد اللسان)[٤].

أما المثبتون، فقد قال ابن جني في أمر الترادف عند أستاذه أبي علي الفارسي (٣٧٧هـ)، في باب (تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني)، قال: (وكان أبو علي – رحمه الله- يستحسن هذا الموضع جداً وينبه عليه ويُسَرُّ بما يُحْضِره خاطره منه)[٥].

ثم إن ابن جني تابع أستاذه أبا علي فقال في باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني: (هو فصل من العربية حَسَن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها، فتجده مُفْضِيَ المعنى إلى معنى صاحبه)[٦].

أما المحدثون، فقد جرى بينهم ما جرى بين القدماء من خلاف فمنكر ومجيز، فمنهم من جعل الترادف سبباً في ثراء اللغة، ومنهم من عدّه ضعفاً فيها، وهذا الخلاف ما هو إلا لعدم الاصطلاح على معنى الترادف، ولاختلاف مناهج الدارسين[٧]. وقد ارتضى كمال بشر تعريف

---

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان، (د.ت). الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (د.ط)، المكتبة العلمية، ودار الكتب المصرية، ج٢، ص٤٦٧- ٤٦٨.

(٢) ابن فارس، أحمد، (١٩٩٣). الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، (ط١)، بيروت، مكتبة المعارف، ص٩٧.

(٣) المنجد، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، ص٤٢.

(٤) ابن فارس، أحمد (١٩٧٠)، متخير الألفاظ، تحقيق: هلال ناجي، (ط١)، بغداد، مطبعة المعارف، ص٢٣٣.

(٥) ابن جني، الخصائص، ج٢، ص١٣٣.

(٦) المصدر السابق، ج٢، ص١١٣.

(٧) انظر: أولمان، ستيفن (١٩٧٢). دور الكلمة، ترجمة: كمال بشر، (ط٣)، (د.م) المطبعة العثمانية، ص١٠٩.

أولمان للترادف على أنه أفضل تعريف، وهو: (المترادفات هي ألفاظ متحدة في المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق)[١]، ويرى كمال بشر أن يُتبع المنهج الوصفي في دراسة هذه الظاهرة عندها ينتهي الخلاف بين اللغويين، وهذا المنهج يسير على تحديد بيئة الكلام المدروس، وتحديد الصيغة، ومراعاة المواقف والظروف والملابسات التي يقال فيها الكلام المدروس، مع الاهتمام بحال المتكلمين والسامعين والأشياء الموجودة في الموقف، وعندها نجد أنه يمكن أن تتفق كلمتان أو أكثر في المعنى وقد لا يدرك الفرق، إلا أنه قد يُشعر به عندما نحاول استبدال الكلمات بعضها ببعض في المواقف المختلفة، وإذا جاء في موقف فإنه لن يكون في جميع المواقف[٢].

وبعد، فسيعتمد هذا البحث حقيقة مفادها أن (الترادف في اللغة غير موجود، إلا من باب ضيق، هو ما قد تأتي به تلك الصفات التي ذهب سياقها الأول وأصبحت تستعمل في سياق واحد، وهو أيضاً ما قد يرد إلى اللغة من كلمات أجنبية تزاحم بعض الكلمات الأصلية فيها بمعناها، فيستعملها الناس بمعنى واحد في سياق واحد)[٣]، وهكذا نرى أن الترادف ظل قديماً وحديثاً موضع خلاف، ولكنه خلاف علمي مفيد، يمكن أن يحتج كل فريق بحجج يرضاها، ولكن الدراسات القرآنية قديماً وحديثاً – أيضاً- مال بعضها إلى عدم وقوع الترادف في القرآن الكريم، فكان المفسر عندما يمر بآية ما، ويعرف أن آية أخرى في سورة أخرى تشبهها في النص أو التركيب، يحاول أن يجد فرقاً دلالياً بين الآيتين مثال ذلك قوله تعالى في وصف الجنة في سورة النحل الآية (٣١): M z } | { L وقوله تعالى في وصف الجنة أيضاً في سورة ق الآية (٣٥) M ï مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا L، وهذا يدل على إحساس المفسرين أن كل كلمة أو كل أسلوب حتى لو كان في التقديم والتأخير والتعريف والتنكير، وغير ذلك له أثرٌ في بيان الإعجاز القرآني، ولذلك نجد ابن فارس يرى أن ما نظنه مترادفات (ليست إلا أنصاف أو أشباه

---

(١) المرجع السابق، ص٩٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١١٠

(٣) أبو عودة، خليل عودة، الترادف في اللغة العربية موجود في النصوص الأدبية بحدود، وهو في القرآن غير موجود، (١٩٨٧). المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العددان(١٢_١٣)، ص١٧٢.

مترادفات). وعلى هذا حاول المفسرون أن يجدوا فروقاً بين الكلمات التي يظن أنها مترادفة كالفلاح والفوز والغيث والمطر والحلف والقسم والعذاب والعقاب وغيرها.

٢ - الاشتراك اللفظي:

شغلت ظاهرة المشترك اللفظي اللغويين قديماً وحديثاً، شأنها شأن ظاهرة الترادف؛ وذلك لما لها من أثر في التخاطب والتشريع إذ العلاقة وثيقة بين الألفاظ والمعاني، وكما عُـدَّ سيبويه أول من أشار إلى الترادف، فإنه هو أيضاً أول من أشار إلى الاشتراك في الموضع نفسه الذي أشار فيه إلى الترادف، حيث قال: (اعلم أن من كلامهم... اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين)(١).

ثم جاء ابن فارس فذكره في باب: أجناس الكلام وفي باب: الأسماء كيف تقع على المسميات، فقال: (وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: عين الماء وعين المال، وعين السحاب)(٢) (وعين الركبة وعين الميزان)(٣)، وليس هذا فحسب، بل أضاف ابن فارس شيئاً جديداً هو المشترك في التراكيب، ومثَّل له بقوله في شأن قوله عز وجل: M ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا L المدثر: ١١ قوله: (هذا مشترك محتمل أن يكون لله جل ثناؤه؛ لأنه انفرد بخلقه، ومحتمل أن يكون خَلَقه وحيداً فريداً من ماله وولده)(٤).

وكما كان الترادف عند القدماء قائماً دون شروط ولا قيود، وبين منكر ومثبت، فكذلك المشترك كان، وممن أثبته قديماً الخليل بن أحمد وسيبويه وأبو عبيدة والثعالبي والمبرد وأبو زيد الأنصاري وابن جني، الذي أثبت الاشتراك للحروف والأسماء والأفعال. أما المنكرون فقد كان ابن درستويه على رأسهم إذ (ضيّق مفهوم المشترك، وأخرج منه كل ما يمكن رد معانيه إلى معنى عام يجمعها)(٥). ورأى أن الاشتراك (سبب في عدم الإبانة وفي التعمية والتغطية، لكنه يثبت بعض المشترك بشكل نادر ولعلل)(٦).

---

(١) سيبويه، الكتاب، ج١، ص٢٤.

(٢) ابن فارس، الصاحبي، ص٩٧.

(٣) المصدر السابق، ص٢٠٧.

(٤) المصدر السابق، ص٢٠٨.

(٥) المنجد، محمد نور الدين، (١٩٩٩). الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، (ط١)، دمشق، سوريا، دار الفكر، ص٣١

(٦) انظر: السيوطي، المزهر، ج١، ص٣٨٥

أما المحدثون فقد تباينت تعريفاتهم للمشترك، وقد جمع المنجد صاحب كتاب: (الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم)، بين تلك التعريفات فقال: إن الاشتراك هو (كل لفظ مفرد يدل بترتيب حروفه وحركاته على معنيين فصاعداً دلالة خاصة، في بيئة واحدة وزمان واحد، ولا يربط بين تلك المعاني رابط معنوي أو بلاغي)(١). ولم ينكر المحدثون المشترك، بل اختلفوا فيه ضيقاً واتساعاً، وشددوا على أثر السياق في تحديد دلالته)(٢).

ويُعَد كتاب (المُنَجَّد في اللغة) أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي، وهو لأبي الحسن علي ابن الحسن الهُنائي المشهور بكراع (٣١٠هـ)، وقد حقق هذا الكتاب أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي.

ثم إن كثيراً من الكتب - قديماً- صُنفت في المشترك اللفظي في القرآن الكريم، لكنها صنفت تحت اسم: الوجوه والنظائر. أو الأشباه والنظائر.

٣- التضاد:

كثير من القدامى والمحدثين ينظر إلى التضاد على أنه نوع من الاشتراك اللفظي، وقد كان تقسيم سيبويه للكلام الشرارة الأولى ليدور الحديث حول التضاد كما دار حول الترادف والمشترك حين قال: (اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين)(٣). إذ جعل سيبويه التضاد نوعاً من المشترك.

وقد اختلفت الآراء في أمر الأضداد، فمن اللغويين من أجازه ومنهم من أنكره، ويمكن القول بأن أول إشارة إلى الضدية كانت عند الخليل في معجمه (العين)(٤)، فقال: (مِن عجائب الكلام، وَوُسع اللغة والعربية أن يكون الشعب تفرقاً ويكون اجتماعاً، وقد نطق به الشعر)(٥).

وكما كان ابن درستويه على رأس المنكرين للمشترك، فقد كان كذلك على رأسهم في إنكار الأضداد. أما المحدثون فمنهم من أنكر التضاد إنكاراً تاماً، ومنهم من اعترف به اعترافاً

---

(١) المنجد، الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، ص٣٧

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٩.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج١، ص٢٤

(٤) انظر: المنجد، محمد نور الدين، (١٩٩٩). التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، (ط١)، دمشق دار الفكر، ص٣٠

(٥) الفراهيدي، العين، مادة (شعب).

تاماً[١]، فذهب إبراهيم أنيس إلى أن الأضداد تحتاج إلى نصوص صريحة وقوية، وهي في المعنى العلمي الدقيق لا تعدو العشرين كلمة في كل اللغة[٢]، أما إبراهيم السامرائي، فقد كان وسطاً بين الإنكار والإثبات، فقد استقرأ كتاب الأضداد للأنباري[٣]، فتوصل إلى أن كثيراً من الأضداد قد أُلصِق إلصاقاً وليس فيه فكرة التضاد[٤].

إن لهذه الظواهر اللغوية الثلاث أسباباً مشتركة، وأسباباً خاصة أخرى لكل منها، ولن أخوض فيها، ولكن سأذكرها باختصار لما قد يكون من صلة لها ببعض الألفاظ والتراكيب والدلالات الجديدة التي سأقدمها في هذه الدراسة، مما قد يحيله بعض الناس إلى شيء من هذه الظواهر اللغوية، ومن المفيد هنا ذكر الأسباب المشتركة في نشوء هذه الظواهر وظهورها وهي:

(- الوضع اللغوي الأول.

- تداخل اللهجات.

- الاقتراض من اللغات الأخرى.

- التطور اللغوي صوتياً ودلالياً)[٥].

كما أود الإشارة إلى أنه من أنكر ظاهرة الترادف من القدماء والمحدثين قد أنكر الاشتراك والتضاد، ومن أثبت الترادف قد أثبت الاشتراك والتضاد، وربما كانت هذه اللفتة تحتاج إلى مزيد دراسة وبحث وتمحيص، فهي ظواهر متصلة لا ينفصل بعضها عن بعض، نشأت في وقت واحد وفي جو واحد قديماً إذ (انصرف أصحاب المعاجم عن الترتيب التاريخي لدلالة الألفاظ العربية، ذلك أنهم نظروا إلى كل عصور الاحتجاج في اللغة على أنها عصر واحد، فيكفي في اللفظ أن يكون عربياً فصيحاً كان أو غير فصيح، ليستحق التدوين والتسجيل في تلك المعاجم، فخلفوا بذلك لنا مشكلة الترادف والاشتراك اللفظي، التي اضطربوا فيها واختلفوا في تفسيرها،

---

(١) انظر: المنجد، التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، ص٤٩

(٢) انظر: أنيس، إبراهيم، (١٩٦٥). في اللهجات العربية، (ط٣)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٢١٥.

(٣) المنجد، التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق.

(٤) انظر: السامرائي، إبراهيم، (١٩٨١). التطور اللغوي التاريخي، (ط٢)، بيروت، لبنان، دار الأندلس، ص١٠٣.

(٥) انظر: المنجد، الترادف في القرآن الكريم، ص٧٩ وما بعدها، وانظر: المنجد، الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم، ص٤٤ وما بعدها، وانظر: المنجد، التضاد في القرآن الكريم، ص٥٦ وما بعدها.

فخلفوا آلافاً من الكلمات الحائرة التي أطلقوا عليها المترادفات والمشترك اللفظي)[١]. وورث المحدثون هذه المشكلة فلم يبتوا فيها بالقول الفصل؛ إذ لم يقفوا على منهج محدد في دراستها.

٤ - الاشتقاق وأنواعه:

تنفرد اللغة العربية عن غيرها من اللغات، بأنها لغة اشتقاقية؛ فالمادة اللغوية الواحدة يمكن تشكيلها على هيئات متعددة، كل هيئة لها وزنها ووظيفتها[٢]. ولما كان الاشتقاق يفسر العلاقة بين أصوات الكلمات ودلالاتها، يمكن أن نعده مظهراً من مظاهر التطور اللغوي العام[٣]، إلا أنه في الوقت ذاته يُعد الاشتقاق (من نتائج التطور اللغوي؛ لأنه يمكن أن يسهم في تفسير كثير من المفردات التي يختلف العلماء حول أصل نشأتها، وبالتالي حول معانيها)[٤]، كاختلافهم في معنى الرجس والرجز، ومكة وبكة مثلاً.

فالاشتقاق إذن مظهر من مظاهر التطور اللغوي؛ ذلك أن محاكاة الأصوات يمكن أن تولد كلمات جديدة في كل لغة على مدى القرون، كما أنَّ الاشتقاق العام يمكن أن يغير من معنى الكلمة أو يوسع دلالتها أو يحدد مجال استعمالها، وهذان الأمران: المحاكاة الصوتية والاشتقاق العام هما العاملان في العلاقة بين أصوات الكلمات ودلالالتها[٥]. فالاشتقاق وسيلة من وسائل نمو اللغة وتطورها، وهو مدخل للتعرف عليها وفهم البنية الأساسية فيها، ذلك أنه قد أكسبها مرونة ومناعة في آن واحد، وسمح لها بتوليد الألفاظ الجديدة، وحافظ على ثروتها وحمايتها من الجمود والركود[٦] (فهو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ومغايرتهما في الصيغة)[٧].

---

(١) إبراهيم أنيس في مقدمته لكتاب: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ص١٢.

(٢) انظر: الراجحي، عبده، (١٩٨٤). التطبيق الصرفي، (د.ط)، بيروت، دار النهضة العربية، ص٧٥.

(٣) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٦٢.

(٤) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٥) انظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٦) انظر: المبارك، محمد،(١٩٨٠). فقه اللغة وخصائص العربية، (ط٤)، بيروت، لبنان، دار الفكر، ص٧٩.

(٧) الجرجاني، علي بن محمد، (١٩٠٤). التعريفات (د.ط)، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ص١٧.

٥ - الدخيل في اللغة:

رغم اختلاط العرب بالأمم الأخرى، إلا أن اللغة العربية ظلت لغــة التخاطــب والأدب، واستطاعت إخضاع الكثير من المفردات الوافدة لأحكامها وقوانينها، وقد سميت هــذه المفــردات بالألفاظ المعربة[١]، وهي (ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتهــا)[٢]. وقد استمرت تلك الفصاحة العربية إلى نهاية ما يسمى بعصر الاحتجاج، الذي ينتهي في أواســط القرن الرابع الهجري بالنسبة للأعراب، ونهاية القرن الثاني الهجري بالنسبة لعرب الحضر. وإن وجود هذه الألفاظ المعربة دليل على أثر الحياة في جميع مناحيها في حياة اللغة - أي لغة-، من هذا المنطلق يمكن تفسير ورود المعرب في القرآن الكريم والشعر الجاهلي من قَبــلُ[٣]. ويُعــد الدخيل في اللغة سبباً في إحداث الترادف والمشترك اللفظي والتضاد؛ إذ قد تحل الألفاظ الجديــدة محل ألفاظ أخرى، كانت هي السائدة من قبل مما يسرع في اختفائها أو انقراضها[٤].

وقد اختُلف في وقوع الدخيل في القرآن الكريــم (فالأكثرون - ومنهم الإمام الــشافعــي وابن جرير وأبو عبيــدة والقاضــي أبو بكر وابن فارس- على عــدم وقوعــه؛ لقوله تعالــى: M { | L يوســف: ٢ وقولــه تعــالى: Mوَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا © لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞ L فصلت: ٤٤... وقال أبو عبيدة: من زعم أن فيه غير العربيــة فقــد أعظم القول[٥]. وإن أثبت أن في القرآن كلمــات غيــر عربيــة إلا أن دخولهــا إلــى العربيــة وخضوعها لقوانين العربية وأحكامها جعلها في عداد العربية، ووجود مثل هــذه الألفــاظ نحــو سندس وإستبرق - لا ريب- لا يضير بقوله تعالى: M y z { | L، ولا يغيــر - قيد أُنملة- من حقيقة هذا الأمر المُسلّم به.

---

(١) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٦٣

(٢) السيوطي، المزهر، ج١، ص٢٦٨

(٣) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٦٣

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٦٤

(٥) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص١٧٨

٦- **النحت في اللغة:**

يُعد النحت نتيجة من نتائج التطور اللغوي العام، ويكون على عدة وجوه منها:

- نحت من الجملة، للدلالة على التحدث بها، نحو: حوقل، سمعل، بسمل.
- نحت من عَلَم مؤلف من مضاف ومضاف إليه، للدلالة على الاتصال به والنسبة، نحو: عبشمي (عبد شمس)، وعبقسي (عبد القيس). ونتيجة لهذا النحت تتولد كلمات جديدة ذات دلالات جديدة[١].

إن ما سبق من حديث عن التطور الدلالي: يُعد قاعدة أساسية في دراسة المصطلحات والتراكيب القرآنية التي ستتناولها هذه الدراسة؛ ذلك أن (مظاهر التطور في القرآن لا تعدو أن تكون تخصيص معنى عام، أو توليد دلالة خاصة في دلالات كثيرة تحملها مادة لغوية معينة، وفي كثير من الأمثلة كان التطور يكمن في تهذيب المعنى القرآني في كثير من الإيحاءات والظلال التي كانت تحيط بالكلمة في الاستعمال الجاهلي)[٢].

السياق وأثره في تحديد الدلالة:

يقول الأنباري (٣٢٧هـ): (كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه)[٣]. فقد عرف العرب السياق ومكانته وأهميته في تحديد الدلالة وبيانها، فوظفوه في دراسة النصوص وتحليلها، ومع هذا فلم يؤسسوا نظرية متكاملة له رغم أنهم سبقوا علماء اللغة المعاصرين، الذين تُنسب إليهم نظرية السياق بأكثر من ألف سنة[٤]، في حين بات السياق في الوقت الحاضر يشكل نظرية متكاملة تشمل (السياق اللغوي والحالي أو كل ما يحيط باللفظ أو التركيب أو النص من ملابسات لفظية وغير لفظية، ويقابل هذا المفهوم مصطلحات مختلفة عند العلماء العرب؛ إذ استعملوا مصطلح

---

(١) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٦٤

(٢) المرجع السابق، ص٥٠

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم، (١٩٦٠)، الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، الكويت، دائرة المطبوعات والمنشورات، ص٢.

(٤) انظر: العبيدي، محمد عبد الله، (٢٠٠٤). دلالة السياق في القصص القرآني، (د.ط)، صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة، ص٣٢.

السياق، ودلالة السياق، والدلالة السياقية، وسياق الكلام، وقرينة السياق، وأرادوا بذلك السياق اللغوي، واستعملوا مصطلح المقام والحال ومقتضى الحال والقرائن غير اللفظية، وأرادوا به سياق الحال)[١].

إن دلالة الألفاظ تبقى غامضة قابلة للاحتمالات، حتى إذا وُضعت في سياق معين ظهرت دلالتها جلية[٢] (فالدلالة على حقيقة الشيء لا تكون إلا إذا نظمت تلك الألفاظ في سياق معين)[٣].

ولما كانت الألفاظ - كما يرى الجرجاني (٤٧١هـ)- (لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كَلِمٌ مفردة، إنما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها)[٤]، فإن القرآن الكريم اختار كل كلمة قاصداً لفظها ومعناها معاً، فربط بينهما بشكل معجز مذهل ليس إلا للقرآن وحده[٥].

وبهذا فإن أي دراسة في النص القرآني لا بد لها من مراعاة السياق اللغوي، والسياق الحالي؛ من هنا فسر العلماء القرآن بالقرآن والقرآن بالسنة، فضلاً عن لغة العرب[٦]. وإذ إن هذه الدراسة دراسة في السياق القرآني، كان لا بد من الوقوف على ما يخص السياق القرآني من تعريف وخصائص يتسم بها؛ لأن له ميزات خاصة تجعله مثلاً كبيراً على أثر السياق في تحديد الدلالة.

ولقد ذكرت معاجم اللغة معاني عدة للسياق، لست بصدد تقييدها لكن يمكن جمع تلك المعاني في أنه: (تتابع منتظم في الحركة توصلاً إلى غاية محددة دون انقطاع أو انفصال)[٧]. ويبدو واضحاً أنّ المراد من الحركة، حركة النص وتلاحم الجمل ويتضح هذا تماماً في تعريف صاحب كتاب نظرية السياق القرآني بقوله: هو (تتابع المعاني وانتظامها في سلك من الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال)[٨].

---

(١) المرجع السابق، ص٣٣.
(٢) المرجع السابق، ص١٥.
(٣) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٧١.
(٤) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد، (د.ت). دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر (د.ط)، القاهرة، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، ص٤٦.
(٥) انظر:أبو عودة، التطور الدلالي، ص٨٠
(٦) انظر: العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، ص٢١
(٧) محمود، نظرية السياق القرآني، ص١٤.
(٨) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

فالمعنى إذن (لا يتبدى إلا من خلال دراسة سلسلة الكلام وتتابعه؛ فهو يكشف عن نظام الكلام وتناسقه وترابطه)[١]. وبهذا فالسياق القرآني يتسم عن السياقات البشرية بسِمات عدة منها:

(- ضَبطُ السياق القرآني لِفَهْمِ المتلقي؛ فالسياق هو صاحب السلطة في تحديد دلالة الألفاظ ومعانيها المقصودة، فهو الضابط لفهم المتلقي، ذلك أن الألفاظ إذا تركت على عواهنها دون عقال، حملت ما يراد وما لا يراد من معان، لذا كان السياق القرآني مُقَيِّداً ومحدِداً للمعاني.

- عدم قابلية السياق القرآني للتفكيك أو التجزيء؛ فالقرآن يتسم بالترابط والتشابك بين آياته، فلا انفصال ولا انقطاع وذلك يعود لترابط المعاني وتتابعها - ولا ريب-؛ فالقرآن كلام واحد وسياق متواصل من أوله إلى آخره.

- مرونة السياق القرآني وحيويته؛ إذ يتمتع باحتمالية عدة معان، ذلك أن دلالاته متنوعة، ومرونة السياق مظهر إيجابي يدعو إلى إذكاء عقل المجتهد، وعدم قصره على معنى واحد لا غير، وفي الوقت نفسه يضبط بضابط السياق؛ إذ يعطيه مجالاً محدداً في المعاني والمفاهيم، وهذه المرونة والحيوية هي ما عُرف فيما بعد بعلم التأويل)[٢].

إن الاهتمام بالسياق القرآني وأثره في بيان الدلالة إذن واجب على من عزم النظر في كتاب الله، وإلا كان النظر قاصراً؛ فالسياق له الأثر الأكبر والقيمة العظمى في تحديد المعاني وفهم الكلام، ذلك أن اللفظة (مفردة) تحمل معنى مستقلاً يخصها، فإذا انساقت في سياق معين حملت أوجهاً من المعاني، والدلالة اللغوية بشقيها الإفرادي والتركيبي ضابطة لفهم السياق، كما أن دلالة العقل والحس ضابطة في فهم السياق القرآني، فلا يجوز حمل الكلام على ما يخالفهما[٣].

من كل ما سبق، فإن هذه الدراسة ستحرص على بيان دلالة المصطلحات والتراكيب القرآنية الجديدة من سياقاتها المختلفة؛ فالكلمة مفردة ليست ذات معنى مهم، إنما يشع معناها واضحاً من خلال السياق الذي ترد فيه.

---

(١) العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، ص٢٣

(٢) انظر: محمود، نظرية السياق القرآني، ص٥٤

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٢٦ وما بعدها.

الفصل الثاني

ألفاظ جديدة في السياق القرآني

المبحث الأول: ألفاظ جديدة صنعها القرآن الكريم

عند الوقوف على ألفاظ القرآن الكريم ودراستها، (ليست العبرة بكثرة الألفاظ أو قلتها، بل العبرة بأهمية هذه الألفاظ من الناحية الدينية والاجتماعية؛ فألفاظ الكتاب عبارة عن مصطلحات دينية... فهي كلمات شائكة الدلالة، وعليها ظلال من القدسية والروحانية، وتتطلب ممن يعرض لها الحيطة والحذر)[١].

(وإن لكل كلمة معنى في ذاتها، ومعنى في سياقها الذي ترد فيه، وغالباً ما يكون المعنى السياقي أوسع دلالة، وأشد تأثيراً في القارئ والسامع؛ ذلك أن السياق يوظف عناصر الدلالة كلها من أجل التعبير عن المقصود)[٢].

ومن هنا، سيتناول هذا الفصل ألفاظاً جديدة في السياق القرآني، جديدة في بنيتها إذ صنعها القرآن الكريم، وأخرى جديدة في دلالتها التي أضفاها عليها القرآن الكريم.

وسأقف على الدلالة اللغوية لهذه الألفاظ في معاجم اللغة لفهم حقيقتها ومعناها الأساسي، ومن ثَمّ أتتبع الكلمة في المواضع التي وردت فيها في سياق الآيات القرآنية؛ للوقوف على ما هو جديد فيها والاهتداء بهدي سياقاتها، مستعينة بالنظر في كتب التفسير وكتب الدراسات القرآنية، وسأعرض عند تناول كل لفظ الآيات التي ذُكر فيها في مطلع الحديث عنه، وربما عرضت الآيات خلال الحديث عنه أحياناً، بحسب الحاجة إلى ذلك.

ولما كانت مصطلحات القرآن متعددة الموضوعات، فقد توقفت على كيفية ترتيب هذه المصطلحات، حتى اتفق لي في النهاية أن أرتبها ترتيباً هجائياً، وفق الجذر الثلاثي للمصطلح، أما المصطلحات الثنائية التي يقال: إنها مترادفات، فقد رتبتها أيضاً ترتيباً هجائياً لكن بحسب الحرف الأول في الكلمة الأولى منهما، فمثلاً: (الغيث والمطر) وضعت ضمن حرف الغين وهكذا، وبالله التوفيق.

---

(١) إبراهيم أنيس في مقدمته لكتاب: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، ص٩.

(٢) أبو عودة، عودة خليل، (٢٠٠٩). "البيان القرآني مفهومه ووسائله: إسلامية المعرفة، العدد ٥٦، السنة الرابعة عشرة، ص٦٨-٦٩.

الجاهلية

ورد ذكر (الجاهلية) في القرآن الكريم أربع مرات، كما ذكرت أيضاً مشتقاتها، مثل: (يجهلون، تجهلون، الجاهل، الجاهلون- الجاهلين- جهول- جهالة)، والآيات التي جاء ذكر (الجاهلية) فيها هي كالآتي: قال تعالى: M 1 2 3 4 5 6 L آل عمران: ١٥٤. وقال تعالى: M أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ L المائدة: ٥٠. وقال تعالى: M F G H I J K L M L الأحزاب: ٣٣. وقال تعالى: M b c d e f g h i j L الفتح: ٢٦.

والجهل: نقيض العلم[١]، تقول: جَهِل فلان حقَّه، وجَهِل عليّ، وجَهِل بهذا الأمر، والجهالة: أن تفعل فعلاً بغير عِلْم[٢].

والجهل: ضد الحِلْم، جَهِل يَجهَل جَهْلاً وجَهَالة[٣]. قال شمر: المعروف في كلام العرب: جَهِلْتَ الشيء: إذا لم تعرفه، تقول: مثلي لا يجهل مثلك[٤]. وللعرب مَثَلٌ: (نَزْوُ الفُرَارِ استَجْهَلَ الفُرارَ)[٥]. واستجهله: استخفّه[٦]، قال النابغة الذبياني:

دَعــاكَ الهــوى واستَجْهلتــكَ المنــازلُ وكيف تَصَابي المرءِ والشَّيبُ شــاملُ[٧]

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (٢٠٠٤)، كتاب العين، ترتيب ومراجعة: داود سلوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلوم، (ط١١)، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، مادة (جهل)، وابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (د.ت). لسان العرب، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار صادر، مادة (جهل).

(2) الفراهيدي، العين، مادة (جهل).

(3) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، (٢٠٠٥). جمهرة اللغة، علق عليه ووضح حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، مادة (جهل).

(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (د.ت). لسان العرب، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار صادر، مادة (جهل). شمر، هو شمر بن حمدويه الهروي (٢٥٥هـ)، لغوي أديب، من هراة بخراسان أخذ من علماء العراق، وله كتاب في اللغة ابتدأه بحرف الجيم، وهو صاحب كتاب (غريب الحديث). الزركلي، الأعلام، م٣.

(5) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، (١٩٥٥). مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (د.ط)، (د.م)، المطبعة المحمدية، م٢، ص٣٣٤، يُضرب لمن تُتَّقى مصاحبته؛ أي إذا صحبته فعلتَ فعلَهُ.

(6) الزبيدي، محمد مرتضى، (١٩٧٢)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: إبراهيم الترزي، (د.ط)، (د.م)، مطبعة حكومة الكويت، مادة (جهل).

(7) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية، (د.ت). ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، مصر، دار المعارف، ص١١٥.

وأرضٌ مَجْهَل: لا يُهتدى فيها، والمجْهَل: المفازة لا أعلام فيها، يقال: ركبتها على مجهولِها[1]، قال سويد بن أبي كاهل اليشكري:

فَرَكِبنــــاها علـــــى مجهولِهـــــا   بِصِــلاب الأرضِ فيهـــن شَجَـــع[2]

يمكن تحديد المعاني التي عرفتها العرب للجهل وجاءت في أشعارها بالآتي[3]:

١) الجهل ضد العلم، قال عنترة:

هــلاّ سَألــتِ الخيــلَ يا ابنــةَ مالــكٍ   إنْ كنــتِ جاهلــةً بما لـــم تَعْلَمــي[4]

٢) الجهل: الضياع والتيه وهو معنى مجازي تفرع عن المعنى الأول، كأن الذي لا يعلم الطريق أو المكان فهو يتيه فيه ويضيع، ولذلك قالوا أرض مجهل، وناقة مجهولة إذا كانت غفلة لا سمة عليها، قال مزاحم العقيلي يصف قطاة غدت عن فرخها طالبة للورد بعد تمام الخمس:

غَدَتْ مِــنْ عليــه بعدما تــمّ خِمْــسها   تَصِــلُّ وعن قيضٍ بِزيــزاء مجهــلِ[5]

٣) السَّفَه والطيش والغضب والاعتداء، وقد ورد كثيراً في شعرهم بحكم ما كان يجري بين العرب من قتال وغزو وثأر وسبي وعداء مستمر وحروب، من ذلك قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يَجْهَلَــــــنَّ أحـــــدٌ علينـــــا   فنجهـــلَ فـــوق جهـــلِ الجاهلينــــا[6]

وبَعْدُ، فإن القرآن الكريم استعمل مادة (جهل) بمعنى ضد العلم[7]، يقول تعالى:

M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . /

0 1 2 3 L النحل: ١١٩.

---

(1) الزبيدي، تاج العروس، مادة (جهل).

(2) التبريزي، شرح المفضليات، ج٢، ص٧١٢، والشجع: الطول وقيل: أراد قوة القلب.

(3) أبو عودة، التطور الدلالي، ص١٤٦-١٤٧.

(4) الأنباري، أبو بكر بن القاسم، (١٩٨٠). شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط٤)، القاهرة، دار المعارف، ص٣٤٢.

(5) الزبيدي، تاج العروس، مادة (جهل). والخِمس: ورود الماء يوماً ثم تركه ثلاثاً والعودة إليه فـي الخـامس. تصل: يسمع صوت جوفها من يبسه، القيض: قشور البيض، زيزاء: القفر.

(6) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٤٢٦.

(7) أبو عودة، التطور الدلالي، ص١٤٨.

وبمعنى الإعراض عن دين الله، وهو المعنى الأكثر في آيات القرآن الكريم[١]، يقول تعالى: M وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا © خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا L الفرقان: ٦٣.

أما لفظة (الجاهلية) نفسها فإن السيوطي في المزهر يقول:

"قال ابن خالويه: إن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة"[٢].

وهذا المعنى الذي ذكره ابن خالويه، هو ما أجمعت عليه معاجم اللغة فقالت: الجاهلية: زمان الفترة قبل الإسلام[٣]، أو زمن الفترة ولا إسلام، وقالوا: الجاهلية الجهلاء، فبالغوا، وهي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك[٤]، وفي الحديث: "إنك امرؤ فيك جاهلية"[٥].

وعلى هذا فالجاهلية مصطلح نشأ في الإسلام، وذكره القرآن الكريم للفترة التي سبقت بعثة محمد عليه الصلاة والسلام. وعلى هذا فهو مصطلح قرآني جديد[٦].

ويمكن القول: (إن الجاهلية قد أصبحت علماً ومصطلحاً على كل عصر وعلى كل شعب لا يخضع لعلم الله عز وجل في نظامه)[٧] يقول صاحب الظلال: "الجاهلية ليست فترة تاريخية، إنما هي حالة كلما وجدت مقوماتها في وضع أو نظام... وهي في صميمها الرجوع بالحكم والتشريع إلى أهواء البشر، لا إلى منهج الله وشريعته للحياة، ويستوي أن تكون هذه الأهواء أهواء فرد، أو أهواء طبقة، أو أهواء أمة، أو أهواء جيل كامل من الناس، فكلها ما دامت لا ترجع إلى شريعة الله فهي أهواء)[٨].

---

(1) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(2) السيوطي، المزهر، ج١، ص٣٠١.
(3) الفراهيدي، العين، مادة (جهل).
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (جهل).
(5) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (١٩٩٤). صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (ط١)، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ج١١، ص١٣٥ رقم الحديث (٤٢٨٩).
(6) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص١٤٩.
(7) المرجع السابق، ص١٥٠.
(8) قطب، سيد، (د.ت). في ظلال القرآن، (د.ط)، القاهرة وبيروت، دار الشروق، م٢،ج٦، ص٨٩١.

جهنم

وردت (جهنم) في القرآن الكريم سبعاً وسبعين مرة، ومنها قوله تعالى:

DM E F G H I J L M L آل عمران/١٢.

وقوله تعالى: M n o p q r L مريم/ ٨٦. وقوله تعالى: M n o p q r L التوبة/ ٨١.

وفي جهنم قولان: قال يونس بن حبيب وأكثر النحويين: جهنم اسم النار التي يعذب الله بها في الآخرة، وهي أعجمية لا تُجرى للتعريف والعجمة، وقال آخرون: جهنم عربي سميت نار الآخرة بها لبعد قعرها، وإنما لم تُجْرَ لثقل التعريف وثقل التأنيث[١]، وهذا هو المعنى الأصل للمادة[٢]. قال ابن خالويه: بئر جِهِنام للبعيدة القعر، ومنه سميت جهنم، قال: فهذا يدل أنها عربية[٣].

وبَعدُ، فإن (جهنم) صفة من صفات النار، بل هي (الصفة الغالبة للنار)[٤] وليست اسماً من أسمائها، ولم ترد بهذا اللفظ وهذا المعنى في الشعر العربي، ولم تورد معاجم اللغة اشتقاقاً لها إذْ عدّتها أعجمية، وذهب أبو صفية صاحب كتاب (معرّب القرآن عربي أصيل) إلى أنه لا خلاف في أن (جهنم) عبرانية؛ لأن العبرية فرع من العربية، والعبرية القديمة هي الكنعانية العربية، ورفض قول من قال بأنها فارسية وأن لا حجة لهم؛ لأن (جهنم) من ألفاظ الديانات السماوية، والفارسية ليست من الديانات السماوية[٥]، ومن غرّر باللغويين القدماء في نسبة جهنم إلى العجمة هو يونس النحوي دون سند علمي لغوي عدا ما ذكره عن منعها من الصرف. يرى أبو صفية أن من سمات (جهنم) العربية مما لا يوجد في لغة أخرى، ما ورد في شعر الأعشى من ذكر لقب الشاعر الجاهلي عمرو بن قَطن وهو جُهُنَّام[٦] إذ قال في هجاء عمير بن عبدالله بن المنذر ابن عبدان، حين جمع بينه وبين جُهُنام ليهاجيه[٧]:

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (جهنم). والجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، (١٣٦١هـ). المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط١)، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ص١٠٧.

(2) الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، هامش ص١٠٧.

(3) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (جهنم).

(4) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٤١٨.

(5) انظر: أبو صفية، جاسر، (٢٠٠٠). معرب القرآن عربي أصيل، (ط١)، الرياض، دار أجا، ص٤٦.

(6) انظر: المرجع السابق، ص٤٨.

(7) الأعشى، ميمون بن قيس، (١٩٨٣). ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد محمد حسين، (ط٧)، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ص١٦٩.

دَعَوْتُ خليلي مِسْحَلاً، ودَعَوْا له جُهُنَّام جَدْعاً للهجين المُذَمَّمِ[١]

وبعدُ، فإن (جهنم) صفة من صفات النار لم ترد في شعر العرب، إذ نشأت في البيئة الإسلامية فكانت بهذا مصطلحاً قرآنياً جديداً بهذه الصفة التي تدل عليها[٢].

من كل ما سبق أقول: إنّ لفظة (جهنم) لفظة قرآنية صنعها القرآن الكريم، إذ لها أصل عربي، لكن العرب لم تعرف هذه اللفظة بهذه البنية، رغم ما ورد عن أمية بن أبي الصلت قوله:

جهنم تلك لا تبقي بغياً وعَدْنٌ لا يطالعها رجيم[٣]

فأقول: إن هذه المعاني إسلامية، وأمية لم يُسْلم، وإن كان هذا الشعر له فعلاً فأقول: إنه أدرك الإسلام وكان حنيفياً، لكن لم يُسلم ولربما تأثر بالإسلام ومعانيه، فقال هذا.

الحواريون

وردت لفظة (الحواريون) في القرآن الكريم، خمس مرات، ثلاث مرات في حالة الرفع، واثنتان في حالة الجر، وهي كالآتي: قال تعالى: M فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ L آل عمران: ٥٢. وقال تعالى: M y z { | } ~ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ © ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ ´ µ ¶ ¸ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ L المائدة ١١١/١١٢. وقال تعالى: M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ à نَحْنُ â ٱللَّهِ L الصف/ ١٤.

---

(1) المصدر السابق، ص١٧٥، مسحل: شيطان الأعشى، والهجين: ابن الأمة.

(2) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٤١٩.

(3) ابن أبي الصلت، أمية، (١٩٧٧). ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق: عبدالحفيظ السلطي، (ط٢)، دمشق، المطبعة التعاونية، ص٤٧١. وقد علّق محقق الديوان على القصيدة التي ذُكر فيها هذا البيت فقال: والقصيدة من الشعر المتهم.

والحواريون بحسب معاجم اللغة "مشتقة من الحَوَر الذي هو البياض، والتحوير: التبييض. والحُوَّارَى هو أجود الدقيق لنقائه وبياضه، والعرب تسمي نساء الأمصار حَوَارِيَّـات لبياضـهن وتباعدهن عن قشف الأعراب بنظافتهن، قال أبو خلدة اليشكري، وقيل (أبو جلدة اليشكري):

فقـل للحَوَارِيَّـات يبكـين غيرَنـا ولا تَبْكِنَـا إلا الكـلابُ النوابـحُ(١)

والحَوَرُ: شدة بياض العين وشدة سوادها والجميع (حُورٌ)، ولا يقال للمرأة حـوراء إلا إذا كانت إلى جانب ذلك بيضاء الجسد.

وقيل (الحواريون) من الحَوْر وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وحَارَ يحُورُ حَـوْراً: كل شيء تغير من حال إلى حال، والتحوير: الرجوع والترجيع: وقيل: الحَوْر: القعـر والعمـق، ومنه قولهم: هو بعيد الحَوْر: أي عاقل متعمق.

والحواريون: هم الذين نصروا عيسى عليه السلام من دون الناس، وكانوا قصّارين، يقـال: فعل الحواريون كذا، ونصر الحواريون كذا، فلما جرى على ألسنة الناس سُمي كل ناصر حواريـاً. وقيل: هم صفوة الأنبياء الذين قد خلصوا لهم، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فـي الزبيـر: (الزبير ابن عمتي، وحواريّ من أمتي)(٢). وقيل: الحواري هو الناصح الحميم، وأصـله الـشيء الخالص. وقيل: هو الناصر مطلقاً، والمبالغ في النصرة، وقد خصّه بعضهم بناصر الأنبياء"(٣).

لقد اختلفت آراء المفسرين حول (الحواريون)؛ فقالوا: هم أنبياء، وقالوا: هم ملوك، وقيـل: بل صيادو سمك، ومنهم من قال: هم قصّارون، لكن المُجمع عليه أنهم اثنا عشر رجلاً(٤). وقـد

---

(1) أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين، (د.ت)، الأغاني، (د.ط)، بيروت، لبنان، مؤسـسة جمـال الـدين للطباعة والنشر، ج١١، ص٣١١.

(2) الألباني، محمد ناصر الدين، (١٤٠٤هـ). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائـدها، (ط٢)، عمان، المكتبة الإسلامية، الكويت، الدار السلفية، م٤، ص٤٩٨، رقم الحديث (١٨٧٧).

(3) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (حور).

(4) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (١٩٨٠). جامع البيان في تفسير القرآن (المعروف بتفسير الطبـري)، (ط٤)، بيروت، لبنان، دار المعرفة، م٣، ج٣، ص٢٠١، الفخر الرازي، محمد بن عمر، (١٩٩٠). التفسير الكبير، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، م٤، ص٥٦ – القرطبي، أبو عبدالله محمد بـن أحمـد، (١٩٦٧). الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي)، (ط٣)، (د.م)، دار الكاتب العربي، م٢، ج٤، ص٩٨ – أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، (١٩٨٣). تفسير البحر المحيط، (ط٢)، (د.م)، دار الفكـر للطباعة والنشر والتوزيع، م٢، ص٤٧١.

أوردت كتب التفسير ما أوردته المعاجم من أسباب تسمية الحواريين بهذا الاسم، ومن ثمَّ أضاف الرازي من الأسباب: (أن ثيابهم كانت بيضاء)[١].

إن (الحواريون) مصطلح أطلق في القرآن على خاصة سيدنا عيسى عليه السلام الذين نصروه من دون الناس، حتى صار علماً عليهم عبر الزمان، وهو مشتق من صفات اتصف بها هؤلاء، مشتقة من المعاني المتعددة للمادة اللغوية للفظة (الحواريون)، إذ جمعت هذه الجماعة التي نصرت نبيها صفة المبالغة في نصرته، والإخلاص ونقاء القلوب، إلى جانب صفة النّصح والتعقل والتعمق، وأيضاً صفة المراجعة؛ إذ راجعهم نبيهم أكثر من مرة مختبراً إيمانهم ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فيجيبونه في كل مرة بإيمانهم اليقيني ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾، وفي كل مرة كان يصفهم القرآن بـ (الحواريون)، فكل مرة يراجعهم عيسى عليه السلام في اختيارهم، يجدهم أتقياء أصفياء. يقول الزجاج: (الحواريون تأويلها في اللغة: الذين أَخلصوا ونُقُّوا من كل عيب، وتأويله في الناس: الذي رُوجِع في اختياره مرة بعد مرة، فَوُجد نقياً من العيوب)[٢].

إذن لم يُسَمَّ (الحواريون) – حسب اعتقادي – بهذا الاسم لأنهم كانوا كما رجحت كتب التفسير قصارين، فأَستَبْعد حَصَر هذه الجماعة التي نصرت عيسى عليه السلام بمهنة معينة؛ لأن أي نبي لا يمكن أن تقتصر دعوته على صنف معين من الناس.

وأوافق قول القفال: (يجوز أن يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك، وبعضهم من صيادي السمك، وبعضهم من القصارين، والكل سُمُّوا بالحواريين لأنهم كانوا أنصار عيسى عليه السلام وأعوانه والمخلصين في محبته وطاعته وخدمته) [٣].

فالحواريون إذن مصطلح قرآني جديد، فهو صنعة القرآن إذ لم يُذكر في الشعر الجاهلي، ومن ثمَّ خصَّصه السياق القرآني بناصري عيسى عليه السلام وخاصته، وإنما قول الرسول عليه الصلاة والسلام في الزبير (حواريّ من أمتي) هو تشبيه لمبالغة الزبير في نصرته للرسول صلى الله عليه وسلم بنصرة أولئك الحواريين خاصة عيسى عليه السلام ومبالغتهم في نصرته،

---

(1) الفخر الرازي، التفسير الكبير: م٤، ج٨، ص٥٦.

(2) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (حور).

(3) الفخر الرازي، التفسير الكبير: م٤، ج٨، ص٥٧.

(رغم ما بين أصحاب عيسى الذين نصروه وأصحاب محمد عليه الصلاة والسلام من فــرق؛ إذ إن حواريي عيسى عليه السلام آمنوا وأشهدوا عيسى على إسلامهم، لكنهم عادوا يطلبون خارقة جديدة لتطمئن نفوسهم، أما أصحاب محمد عليه السلام فلم يطلبوا خارقة واحدة بعد إسلامهم؛ فقد آمنت قلوبهم، واطمأنت منذ البداية، ومع هذا فحواريو عيسى عليه السلام مسلمون مقبولون)[١].

الترتيل

ورد ذكر (الترتيل) مرتين، في آيتين في سورتين كريمتين، يقول تعالى: M وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا L الفرقان/٣٢. ويقول تعالى: M 2 3 4 L المزمل/ ٤.

والترتيل في معاجم اللغة، من (رَتَلَ، والرَّتْل: حسن تنسيق الشيء، وثغر رَتْل: حَسَنُ المُتَنَضَّد، ومُرَتّل: مُفَلّج، والرّتْل: بياض الأسنان، وكثرة مائها، وقالوا: حُسْنُ نَبتِها، قال الشاعر:

تُجــري الســواكَ بالبنــــــان علـــــى ألمــى كأطـــــراف الـــسَّيَـــال رَتْـــــلِ

ومنه: رَتَلَ الكلامَ: أحسنَ تأليفَه وأبانَه وتَمهّل فيه. وهو يترتّل في كلامه: ويترسل: إذا فَصَلَ بعضه من بعض. قال أبو العباس: ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين والتمكين، أراد في قراءة القرآن. قال مجاهد: Mوَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا L بعضه على أثر بعض.

قال ابن عباس: M 2 3 4 L بَيّنه تبييناً، قال أبو إسحاق: والتبيين لا يتم بأن يَعْجَل في القراءة، وإنما يتم التبيين بأن يُبيِّن جميع الحروف ويوفيها حقّها من الإشباع، وقال الضحاك: انبذه حرفاً حرفاً. وفي صفة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم: كان يُرتل آية آية. وترتيل القراءة: التأني فيها والتمهل، وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالثغر المرتل، وهو المشبّه بنور الأقحوان. ورتّل الكلام ترتيلاً: أحْسنِ تأليفه أو بيّنه تبييناً بغير بغي، وهذا هو المعنى اللغوي، وعُرفاً: رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف، وهو خفض الصوت والتحزُّن بالقراءة. قال الزجاج Mوَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا L أي أنزلناه على الترتيل وهو ضد العجلة والتمكث فيه)[٢].

---

(1) قطب، في ظلال القرآن، م٢، ج٧، ص٩٩٨.

(2) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (رَتَلَ).

لم تأت كتب التفسير بشيء غير ما أوردته كتب المعاجم، إلا أن هناك بعض الإضافات التي أراد منها أصحابها توضيح مدلول الترتيل أكثر، وهذه الإضافات يمكن قبولها ويمكن ردّها؛ فالطبري يقــول في قوله تعالى: M وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا L، أي: شيئاً بعد شيء علمناكــه حتى تَحَفَّظْتُهُ. والترتيل في القراءة: الترسل والتثبت. ثم يقــول: أخبرنا مغيرة عن إبراهيم في قولــه: Mوَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا L، قال: نزل متفرقاً، قال: أخبرنا معمر عن الحسن، قال: كان ينزل آية وآيتين وآيات جواباً لقريش إذا سألوا عن شيء، أنزله الله جواباً لهم ورداً عن النبي فيما يتكلمون به، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة(1).

إن هذه النقول التي أوردها الطبري تشبه قول الزجاج (أنزلناه على الترتيل وهو ضد العجلة والتمكث)(2) فقد أراد الزجاج ومن نقل عنهم الطبري أن يجعلوا (الترتيل) صفة لكيفية نزول القرآن الكريم، وهذا لا يتوافق في شيء مع الأمر الإلهي M 2 3 4 L؛ فالترتيل وصف خاص بكيفية قراءة القرآن، أما التواتر فصفة نزوله؛ فالترتيل للقراءة والتواتر للنزول. وقد رتّل جبريل عليه السلام القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم آية آية، وحرفاً حرفاً، M وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا L كي يتبينه ويحفظه M إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ L، فيتبع الرسول عليه السلام جبريل في قراءته وترتيله M فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ L، ليأتي بعدها الأمر الإلهي M 2 3 4 L، الذي هو (آليّة إلهية وأساس حفظ القرآن من التشتت والضياع)(3). ويرى الليث أن الله أمر بالترتيل (حتى يتمكن الخاطر من التأمل في حقائق تلك الآيات ودقائقها، فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلالته، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف فيستنير القلب بنور الله، فظهر أن المقصود إنما هو حضور القلب وكمال المعرفة)(4).

وكلام الليث دقيق، لكنه حصر الترتيل في أمر القلب فقط.

---

(1) الطبري، تفسير الطبري، م٩، ج١٩، ص٨.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (رتل).

(3) انظر: أبو عودة، عودة خليل (٢٠٠٨). "ورتل القرآن ترتيلاً أول درس صوتي في تاريخ اللغات" بحث ألقي في مؤتمر، "الدرس الصوتي وتطبيقاته على اللغة العربية"، الأردن، جامعة آل البيت.

(4) الفخر الرازي، التفسير الكبير: م١٥، ج٣٠، ص١٥٤. والليث: هو الليث بن سعد (١٧٥هـ)، إمام أهل مصر في عصره؛ حديثاً وفقهاً، قال فيه الشافعي: (الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به) الزركلي، الأعلام، م٥.

يقول القرطبي في M 2 3 4 L أي: لا تعجل بقراءة القرآن بل اقرأه في تمهل وبيان مع تدبر المعاني)[١].

ويذهب صاحب الظلال إلى ما ذهب إليه الزجاج إذ جعل الترتيل حالاً لكيفية نزول القرآن، فقال: هو (التتابع والتوالي وفق حكمة الله وعلمه بحاجات تلك القلوب واستعدادها للتلقي)[٢].

بعد هذا العرض لمدلول (الترتيل) في المعاجم والتفاسير، يبقى السؤال قائماً: ما الذي جعل (الترتيل) مصطلحاً قرآنياً جديداً؟

إنّ في (أقوال بعض المفسرين إشارات بعيدة إلى ما سيكون عليه شأن الترتيل القرآني من بَعْدُ، وهي مجرد إشارات فقط، ولم يتنبه أي منهم – فيما قرأت- إلى الحقيقة الكبرى التي يمثلها ترتيل القرآن الكريم كما أنزله الله عز وجل، وكما أراد له أن يكون، وكما نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغه تماماً كما أُنزل بالصورة الصوتية التي استمع إليها من الوحي الإلهي)[٣]، ومن هنا فإن الترتيل (هو المنهاج الإلهي المحدد المحسوم الذي حفظ القرآن الكريم، وسيحفظه كما أنزله الله عز وجل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها... وهو أمر إلهي لصناعة الإنسان المسلم الذي يقرأ القرآن كما يجب أن تكون القراءة، هو أمر إلهي لتنظيم الحياة، هو كالصلاة في أنها عمود الدين، وكالزكاة في أنها النظام الاقتصادي الأمثل للحياة الإنسانية... وهو أمر إلهي كالصيام وكالحج وكالجهاد في سبيل الله، وكلها أوامر إلهية تبني هذا الدين وتحفظه، ومثلها تماماً الأمر بالترتيل M 2 3 4 L؛ لأنه المنهاج الموحد لطريقة تلاوة القرآن حتى يُحفظ من الشتات والضياع والاندثار)[٤]. وهذا مصداق قوله عليه السلام: "لا تلتبس به الألسن"[٥] إذ إن هذه الحقيقة تتبين عند غير الناطقين بالعربية، فترى الأوكراني والألباني والتركي وغيرهم من غير الناطقين بالعربية، إذا قرأوا القرآن اتفقت ألسنتهم مع أنهم مختلفو اللغات، ذلك أن أحكام الترتيل القرآني واحدة وإن لُمحت بعض الاختلاف النطقية

---

(1) القرطبي، التفسير الكبير م١٠، ج١٩، ص٣٨.
(2) قطب، في ظلال القرآن، م٥، ج١٩، ص٢٥٦٣.
(3) أبو عودة، عودة خليل (٢٠٠٨). "ورتل القرآن ترتيلاً أول درس صوتي في تاريخ اللغات".
(4) المرجع السابق، ص٢٢.
(5) القرطبي، تفسير القرطبي، م١، ج١، ص٥، وانظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، (د.ت). حقوق آل البيت، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص٢٢.

اليسيرة للأصوات، لكنها لا تُخرج الترتيل عن إطاره العام، ولو قرأ كل إنسان بلغتـه ولهجتـه دون نظام محدد في النطق لتشتتت اللغة، ولذهب القرآن[١]، لذا فمن هنا كان (الترتيل) مصطلحاً قرآنياً جديداً صنعه القرآن دالاً على المنهاج الإلهي الذي حفظ به القرآن الكريم، نشأ وترعـرع في ظل الإسلام، فالقرآن إذن (حَفِظَ اللغة، والترتيل حَفِظَ القرآن)[٢].

الرَّهبانية

وردت لفظة (الرهبانية) في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: M \ ] ^ _ ` a b c d L الحديـد/٢٧. ووردت (الرهبـان، ورهبانـاً، ورهبانهم) كلٌّ منها مرة واحدة أيضاً. والرهبانية في معاجم اللغة مشتقة من (رَهِبَ يَرْهَبُ رَهْبَـةً ورُهْباً، أي خاف. والاسم: الرُّهْبُ والرُّهبى والرَّهبُون. والرَّهبة: الخوف والفزع، قال معقل بـن خويلد الهذلي:

وسـودٍ جعـادٍ غِـلاظ الـرِّقـا   ب مِثْلَهـمُ يَـرْهـبُ الرَّاهـبُ[٣]

وأرْهَبَـهُ واسْتَرْهَبَهُ: أخافه وفزّعه، واسترهبـه: استدعـى رهبته حتى رَهِـبَ النـاس، قال تعالـى: M ¶ ¸ بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ L الأعراف/١١٦ يقـال: أسـمعك راهباً: أي خائفاً. ومنه قيل: تَرَهَّبَ الرجل: إذا صار راهباً يخشى الله. ومنه الراهب: المتعبد في الصومعة، وأحد رهبان النصارى، ومصدره: الرَّهبة والرهبانية، والجمع: الرهبان، وقـد يكـون الرهبان واحداً)[٤]، أنشد ابن الأعرابي:

لو كَلَّمَتْ رُهبـان دَيْـر فـي القُلَـلْ   لانْحَـدَرَ الرُّهْبَـان يَـسعـى فَنَـزَلْ[٥]

وقال جرير (في من جعل الرهبان جمعاً):

---

(1) انظر: أبو عودة، "ورتل القرآن ترتيلاً أول درس صوتي في تاريخ اللغات".
(2) المرجع السابق.
(3) الدار القومية للطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (١٩٦٥). ديوان الهذليين، (د.ط)، القـاهرة، ج٣، ص٦٩.
(4) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (رهب).
(5) ابن منظور لسان العرب، مادة (رهب).

رُهبانُ مـــدينَ، لـــو رَأَوْكَ، تَنَزَّلـــوا   والعَصْمُ مِنْ شَعَفِ العقـــولِ، الفَـــادِرُ[١]

ويتابع صاحب اللسان تحقيق هذه الكلمة لغوياً، فيقول: (والتَّرهب: التَّعبد، وقيل: التعبد في الصومعة، وأصلها من الرَّهبة، ثم صارت اسماً لما فَضَل عن المقدار وأَفْرَط فيـــه. والرهبانيـــة منسوبة إلى الرهبة، وفي الحديث: "لا رهبانية في الإسلام،[٢] وهي كالاختصاء واعتناق السلاسل وما أشبه ذلك مما كانت الرهبانية تتكلفه. قال ابن الأثير: هي رهبنة النصارى وأصلها مـــن الرهبة: الخوف، كانوا يترهبـــون بالتخلي من أشغال الدنيا وتـــرك ملاذهـــا والزهـــد فيهـــا، والعزلة عن أهلها، وتَعَهُّد مشاقها، حتى إن منهم من كان يخصي نفسه ويضع السلـــسلة فـــي عنقه، وغير ذلك من أنواع التعذيـــب، فنفاها النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام ونهـــى المسلمين عنها.

والرَّهْبُ: الكُمُّ، يقال: وضعت الشيء في رهبي، أي كمي، قال تعـــالى: M r s t u v L القصص/٣٢.)[٣]

والرهبانية في القرآن عن المفسرين: (حَمْلُ النفس على المشقات في الامتناع عن المطعـــم والمشرب والنكاح، والتعلق بالكهوف والصوامع؛ ذلك أن الملوك غيروا وبدلوا وارتكبوا المحارم ثلاثمئة سنة، فأنكر عليهم ذلك من كان قد بقي على دين عيسى عليه السلام فقتلوهم، وبقي بعدهم قوم خافوا على أنفسهم من بطش وتجبر الملوك، فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع. قال قتـــادة: الرهبانيـــة التي ابتدعوها رفض النساء واتخـــاذ الصوامع. فهي إذن رهبانيـــة ابتدعوها من عند أنفسهم)[٤].

---

(1) نسبه صاحب لسان العرب لجرير، مادة (رهب) ولم أجده في ديوان جرير. وَوَعْلٌ عاقـــل: صـــعد الجبـــل، والفَادِرْ: المُسِن من الوعول.

(2) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (د.ت). فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبدالباقي، (د.ط)، م٩، ص١١١.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (رهب).

(4) القرطبي، تفسير القرطبي، م٩، ج١٧، ص٢٦٣.

قال أبو علي الفارسي: (الرهبانية لا يستقيم حملها على (جعلنا)؛ لأن ما يبتدعونه هـم، لا يجوز أن يكون مجهولاً لله تعالى)[١]. من هنا فإن (رهبانية) في قوله تعالى: M \ [^ _ ` a b c d L الحديد/٢٧ (ليست معطوفة على ما قبلها، بل هي: ابتدعوا رهبانية ابتدعوها؛ لأن ما وُضِع في القلب لا يبتدع)[٢].

هذا وقد استعمل القرآن الكريم المعنى اللغوي الأصلي لمعنى الرهبانية التي هي من (الرهبة) الخوف والفزع، فقال تعالى: M h i j k l m n L الحشر/١٣. وقال تعالى: M ¸ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا L الأنبياء/٩٠ كما استعمل الرهبان واحدها راهب: المتعبد في الصومعة، فقال تعالى: M D E F G H I J K L L التوبة/٣٤. وقوله تعالى: M ´ µ ¶ © وَرُهْبَٰنًا ¸ وَرُهْبَٰنَهُمْ L المائدة/٨٢. وقوله تعالى: M ٱتَّخَذُوٓا۟ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ L التوبة/٣١.

وبعد، فإنه يتبين من كل ما سَبَق أن (الرهبانية) مصطلح صنعه القرآن الكريم، إذ لم يَرِدْ في الشعر الجاهلي، إنما جاء ذِكر لفظة (راهب) عندهم، يقول النابغة:

لو أنّها عَرَضَت لأشمطَ راهِبٍ ... عَبَدَ الإلـه صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدِ
لَرَنَا لِرُؤيتها وحُسْنِ حَديثِها ... ولَخَالَه رَشَداً وإنْ لم يَرْشُدِ[٣]

فعرفت الجاهلية الرهبان، وانقطاعهم للعبادة، لكن الرهبانية لم ترد في شعرهم، فكانت مصطلحاً قرآنياً جديداً خصَّصه القرآن بأناس من النصارى في زمن معين ابتدع فيها أولئك الناس هذه الرهبانية، التي أصبحت علماً عليهم وقد ذمَّها الله بقوله: (ابتدعوها)، ناهياً المسلمين عن الإتيان بمثلها.

وما زالت الكلمة بمعناها الاصطلاحي هذا شائعة إلى اليوم عند طوائف من الناس.

---

(1) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٥، ج٢٩، ص٢١٤.
(2) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (رهب).
(3) النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، ص٩٥-٩٦ يصف المتجردة، وقد كان في إحدى دخلاته على النعمان قد فاجأته فسقط عنها نصيفها فغطت وجهها بمعصمها. والأشمط: الأشيب، والصرورة: اللازم لصومعته.

الزكـــاة

وردت لفظة (الزكاة) في اثنتين وثلاثين آية، فضلاً عن مشتقاتها المتعددة التي كثرت في القرآن، مثل: زكّى، تزكّى، أزكى، زكيّة وغيرها من المشتقات[١]. ومن الآيات التي وردت فيها الزكاة: M وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا © لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ L البقرة/١١٠. M O P Q R S T U L الأحزاب/٣٣.

والزكاة في اللغة من زكا الزّرع يزكو زكَاءً وزُكُوّاً: ازداد ونما[٢]، (والزكاة، ما أخرجه الله من الثمر. وزكّى يزكي تزكية، والزكاة: الصلاح، تقول: رجل زكي: تقي، ورجال أزكياء: أتقياء. وزكا الرجل زُكُواً: صلُحَ، قال تعالى: M 8 9 : ; < L النور/٢١ وقالوا: هذا الأمر لا يزكو بفلان: أي لا يليق به، أنشد صاحب اللسان:

والمـــال يزكـــو بـــك مـــستكبراً يختـــال قـــد أشـــرق للنـــاظر[٣]

(عرف العرب في الجاهلية مادة (زكا) بمعنى الزيادة والنماء، فكانوا يطلقون على الواحـد خسا وعلى الاثنين زكا، لأن الاثنين أزكى من الواحد، والعرب تقول: خسا أم زكا. (والزكاة في القرآن: ما أخرجته من مالك لتطهره به)[٤]، وفي المصباح: (سُمي القدر المخـرج مـن المـال زكاة؛ لأنه سببٌ يرجى به الزكاة)[٥].

قال ابن الأثير: الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمَدح، وكل ذلك استعمل في القرآن والحديث[٦]. يقول صاحب المفردات: (أصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله عز وجل، ويُعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية، يُقال: زكا الزرع يزكو: إذا حصل منه نمو

---

(1) انظر: عبدالباقي، محمد فؤاد، (٢٠٠١). المعجم المفهرس لألفاظ القـرآن الكـريم، (د.ط)، القـاهرة، دار الحديث، مادة زكا.

(2) الفراهيدي، العين، مادة (زكو)، ابن منظور، لسان العرب، مادة (زكا)، الزبيدي، تاج العروس، مادة (زكو).

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (زكا).

(4) المصدر السابق، مادة (زكا).

(5) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، (د.ت). المصباح المنير في غريب الـشرح الكبيـر للرافعـي، (د.ط)، بيروت، لبنان، المكتبة العلمية، ج١، ص٢٥٤، مادة (الزكاة).

(6) الزبيدي، تاج العروس، مادة (زكو).

وبركة، وقوله عز وجل: M µ ¶ ¸ طَعَامًا L الكهف/١٩ إشارة إلى ما يكون حلالاً لا يُستوخم عقباه، ومنه الزكاة لما يُخْرِجُ الإنسان من حق الله عز وجل إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النفس: أي تنميتُها بالخيرات والبركات) [1].

من كلام الراغب الأصفهاني، يتبين أن القرآن الكريم استعمل المعنى الأصلي لمادة (زكا) الذي هو ازداد ونما، والمعاني المجازية التي تفرعت عنها كالصلاح والبركة والتطهير، يقول تعالى: M@ A B C L الشمس/٩. M . / 0 1 2 3 L النازعات/١٨.

ثم استعمل القرآن المعنى الاصطلاحي الإسلامي، وهو القَدْر الذي يخرجه المسلم من ماله إذا اكتمل نصاب ماله، وهو فريضة على المسلم كل عام، فالزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام، وقد اقترنت بالصلاة في معظم الآيات التي ذكرت فيها، دلالة على أنهما في منزلة واحدة، (فالصلاة من وجهة اجتماعية سلوكية، والزكاة من وجهة اقتصادية، دعامتان أساسيتان في بناء المجتمع الإسلامي)[2].

وبعدُ، فإن الزكاة مصطلح قرآني جديد صنعه القرآن بهذه البنية ومن ثمَّ طوّر دلالته عن المعنى اللغوي الأصلي، (وليس من شك أنها لم تكن معروفة في الجاهلية بهذا المعنى؛ لأن العرب في الجاهلية لم يعرفوا نظاماً اقتصادياً محدداً... أما القرآن فقد حدد للناس نظاماً إسلامياً شاملاً كاملاً في كيفية التعامل بالمال، يقوم على قاعدة رئيسية أن المال كله لله، وأن الإنسان مستخلف فيه)[3].

السحت

وردت لفظة (السحت) في القرآن الكريم ثلاث مرات في سورة واحدة هي سورة المائدة، يقول تعالى: M ! " # $ L المائدة/ ٤٢.

ويقول تعالى: M t u v w x y z { | } ~ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ L المائدة/ ٦٢.

---

(1) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (د.ت). المفردات في غريب القرآن، (د.ط)، مصر، المطبعة الميمنية مصطفى البابي الحلبي، ص٢١٣.
(2) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢١٣.
(3) المرجع السابق، ص٢١٣.

ويقول تعالى: M لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن © ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ L المائدة/٦٣.

والسحت في اللغة: (كل حرام قبيح الذِّكر يلزم منه العار نحو ثمن الكلب والخمر والخنزير. والسحت: الحرام الذي لا يَحِلُّ كسبُه؛ لأنه يسحت البركة: أي يذهبها. وفي الحديث: "من السحت كَسبُ الحجّام وثمن الكلب ومهر البغي"[١]

وأسْحَتَ الرجلَ: استأْصَلَ ما عنده، من هنا قيل في: Mفَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ L أي يستأصلكم)[٢]، قال الفرزدق:

وعَضُّ زمانٍ يا ابن مروانَ لم يَدع   من المال إلا مُسْحَتَاً أو مُجَرَّفُ[٣]

(والعرب تقول: سَحَتَ وأَسْحَتَ. والسحت صار عَلَمَاً على الرشوة، ففي حديث ابن رواحة في خرص النخل أنه قال ليهود خيبر لما أرادوا أن يرشوه: "أتطعموني السحت"؟ أي الحرام، فسمّى الرشوة سحتاً)[٤].

وقد أجمعت كتب التفسير على أن السحت هو الرشوة، وقد نزلت آيات السحت تنهى المسلمين عنه إذ كان منتشراً في بني إسرائيل، ذلك أن الحاكم في بني إسرائيل إذا جاءه من كان مبطلاً في دعواه برشوة سمع كلامه ولم يسمع من خصمه[٥].

جاء في تفسير القرطبي: أصل السحت في اللغة: الهلاك والشدة،[٦] وهذا قوله تعالى: Mفَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ L. وسُمي المال الحرام سحتاً؛ لأنه يسحت الطاعات ويسحت مروءة الإنسان: أي يذهبها ويستأصلها[٧].

---

(1) البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، (١٩٨٥). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبطه وفسر غريبه: بكري حياني، (ط٥)، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ج٤، ص٣٧.

(2) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (سحت).

(3) الفرزدق، أبو فراس همام بن غالب، (١٩٥٨). ديوان الفرزدق، تحقيق: عمر فاروق الطباع، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ص٣٨٦، مسحتاً: المال المتلف الذي دخله الغش والحرام، ومجرّف: الذي بقي منه بقية.

(4) الزبيدي، تاج العروس، مادة (سحت).

(5) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير: م٦؛ ج١١، ص١٨٥.

(6) القرطبي، تفسير القرطبي، م٣، ج٥، ص١٨٣.

(7) المصدر السابق، م٣، ج٥، ص١٨٤.

وإذا نظرنا في سياق الآيات التي تتحدث عن السحت، وَرَبْطِ القرآن العجيب المتكرر بين لفظ (الأكل) ولفظ (السحت)، ووقفنا في الوقت نفسه على ما جاء في تفسير القرطبي في قوله: وأصله كَلَبُ الجوع، ورجل مسحوت المعدة: أكول من النهم[١]. ورجل مسحوت الجوف: أي لا يشبع[٢] أدركنا هذا الربط بين الأكل والسحت لا الشرب والسحت مثلاً، قال رؤبة يصفُ يونس عليه السلام والحوت الذي التهمه:

والليلُ فوق الماء مُستميتُ يُدْفَعُ عَنْهُ جوفه المسحوتُ[٣]

فالقرآن الكريم بهذا التعبير: (أكّالون للسحت) بصيغة المبالغة للتكثير، والتعبير بـ: (وأكلهم السحت) يرسم صورة متحركة لمن يصفهم بأنهم يتسابقون تسابقاً في الإثم والعدوان وأكل الحرام، وهي صورة رسمها للتبشيع والتشنيع، وأكل الحرام سمة يهود في كل آن[٤]. وهذا التعبير القرآني مصداق قول الرسول عليه الصلاة والسلام: "إنه لا يربو لحم نَبَتَ من سُحْتٍ إلا كانت النار أولى به"[٥].

فالسحت إذن بعد البحث يتبين أنه مصطلح قرآني جديد، استحدثه القرآن الكريم من المعنى الأصلي له، لم تعرفه حياة الجاهلية ولم يرد في أشعارها[٦].

---

(1) المصدر السابق، م٣، ج٥، ص١٨٤.

(2) الفراهيدي، العين، مادة (سحت).

(3) ابن العجاج، رؤبة، (١٩٧٩). مجموع أشعار العرب (ديوان رؤبة بن العجاج)، إعداد: وليم بن الورد البروسي، (ط١)، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ص٢٧.

(4) قطب، في ظلال القرآن، م٢، ج٦، ص٩٢٨.

(5) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (د.ت). الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، باب ما ذكر في فضل الصلاة، ج٢، ص٥١٣، رقم الحديث (٦١٤).

(6) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٣٣٢.

الطّامـــّة

وردت (الطّامة) في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة النازعات، قـــال تعـــالى: M | { ~ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ L النازعـــات/ ٣٤-٣٥ ولـــم تـــذكر أي مـــن مشتقاتها.

والطّامة في اللغة من طمَّ الشيء بالتراب[1]، قال ذو الرمة:

كـــأنّ أجـــلادَ حاذَيْهـــا وقـــد لَحِقَـــتْ أحشاؤها من هَيـــامِ الرَّمـــلِ مَطْمُـــومُ[2]

طمَّ إناءه، ملأه[3]، وطمَّ الماءُ يَطِمُ طَمّاً وطُموماً: علا وغمَرَ، وكل ما كَثُـــر وعـــلا حتـــى غلب فقد طَمَّ يَطِمُّ ويَطُمُّ الشيءَ طَمّاً: غَمَرَهُ، وأصله: عَظُمَ[4]. والعرب تقول: جاء بالطِّم والـــرِّم، أي بالرطب واليابسِ[5].

والطّامة: التي تطِمُّ على ما سواها: أي تزيد وتغْلِب[6]، والطامة: الداهية تغلب ما ســـواها. قالوا: جاء السيل فطّمَّ كل شيء: أي علاه، ومن ثَمَّ قيل: فوق كل شيء طامـــة، ومنـــه ســـميت القيامة طامة، قال الفراء: الطامة القيامة تَطُمُّ على كل شيء ويُقال: تَطِمُّ. قال الزجـــاج: الطامـــة هي الصيحة التي تَطِمُّ على كل شيء[7]. والطّامة: الشيء العظيم، والطُّمة من الناس: الجماعـــة، وطميم الناس: أخلاطهم وكثرتهم، والطَّمّة: الضلال والحيرة، وطَمّـــت الفتنـــة: إذا اشـــتدت[8]. والطامّة: يوم القيامة، قال ابن عباس: سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع[9]. وقيـــل: هي النفخة الثانية واشتقاقها من قولك: طَمّ الأمرُ إذا علا وغلب[10] فالطامة إذا جاءت (غطـــت على كل شيء، وطمت على كل شيء؛ على المتاع الموقوت، وعلى الكون المتين المقدر المنظم،

(1) الفراهيدي، العين، مادة (طمم).
(2) ذو الرمة، غيلان بن عقبة، ديوان ذي الرمة، (١٩٨٢م). تحقيق: عبدالقدوس أبو صالح، (ط١) – بيـــروت، لبنان، مؤسسة الإيمان، ج١، ص٤٢٤. الحاذان: أدبار الفخذين، لحقت أحشاؤها: ضَمَرت، هَيام الرمل: مـــا تناثر من الرمل.
(3) الفراهيدي، العين، مادة (طمم).
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (طمم).
(5) الميداني، مجمع الأمثال، م١، ص١٦١.
(6) الفراهيدي، العين، مادة (طمم).
(7) ابن منظور، لسان العرب، مادة (طمم).
(8) الزبيدي، تاج العروس، مادة (طمم).
(9) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، (د.ت). تفسير ابن كثير، (د.ط)، بيروت، دار الأندلس، م٧، ص٢١٠.
(10) ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد، (د.ت). التسهيل لعلوم التنزيل، (د.ط)، (د.م)، دار الفكر، م٢، ج٤، ص١٧٧.

وعلى السماء المبنية والأرض المَدْحُوَّة، والجبال المرساة والأحياء والحياة، وعلى كل ما كان من مصارع ومواقع، فهي أكبر من هذا كله، وهي تطم وتعم على هذا كله).[١]

فالطامة كأخواتها من الحاقة والقارعة والصاخة وغيرها، صفة من صفات يـوم القيامـة، إلى جانب كونها مرحلة من مراحل يوم القيامة بحسب قول المفسرين: إنها النفخة الثانيـة، وقـد اشتقت دلالتها من المعنى اللغوي الأصلي ولم تعرفها العرب بهذه المعاني، فهي مصطلح قرآنـي جديد تولد في البيئة الإسلامية، حملت في طياتها كل المعاني اللغوية التي أوردتها معاجم اللغـة من غلبة وعلو على كل شيء، ومن عظمة ودهاء وهول وجمع للناس وخلـط لهـم، وحيـرة وضلال يصيبهم، وشدة عليهم في ذلك اليوم الرهيب.

التغابن

وردت لفظة التغابن مرة واحدة في سورة سميت سورة التغـابن، يقـول تعـالى: M يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ L التغابن/٩.

والغَبْنُ: مصدر غَبِن الرجلُ في البيع، غَبْناً وغَبَناً، وهو من غَبَنَه يَغْبِنُه غبْنـاً. فهـو غَـبِنٌ ومغبون[٢]، إذا نَقَصَه[٣]. والغَبَن: ضعف الرأي، وقيل: النسيان، وغَبَنَ الرجلَ يغْبِنُه غَبَناً: مـر بـه وهو مائل فلم يره ولم يفطن له. قيل: الغَبْن: (بالتسكين) في البيع، والغَبَن (بالتحريك) في الرأي[٤].

وغَبِن دينَه وعقلَه، فهو غبين العقل والدين[٥]. وقد شـاع معنـى الغـبن فـي الحيـاة الإسلامية، وعلى هذا المعنى نفهم حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): "نعمتـان مغبـون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"[٦]. أي إن المرء يظلم نفسه إذا لـم يـستغل صـحته وفراغه في طاعة الله، كأن صحته وفراغه ظلماه وأبعداه عن الصواب. والتغابن: أن يغـبن القومُ بعضُهم بعضاً. ويوم التغابن: يوم البعث وسُمي بذلك لأن أهل الجنة يَغْبِن فيه أهلَ النار بما يصير إليه أهل الجنة من النعيم، ويَلْقَى فيه أهل النار من العذاب الجحيم. سُئِل الحسن عن

(1) قطب، في ظلال القرآن، م٦، ج٣٠ ص٣٨١٨.
(2) ابن منظور، لسان العرب، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (غبن).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (غبن).
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (غبن).
(5) ابن دريد، الجمهرة، مادة (غبن).
(6) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الزهد، باب الصحة والفراغ، ج٤، ص٥٥٠، رقم الحديث (٢٣٠٤).

قوله تعالى: M ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ L، فقال: غَبَنَ أهلُ الجنة أهلَ النار؛ أي استنقصوا عقولهم باختيار الكفر على الإيمان[١].

والعرب لم تعرف هذا المعنى في شعرها، وكل ما عرفت من معنى الغَبْن هو: ثني الشيء من دَلو أو ثوب لينقص من طوله، وما قُطع من أطراف الثوب فأُسْقط[٢]، قال الأعشى:

ومـــا إنْ علـــــى جـــــارِه تَلْفَـــةٌ يساقِطُهـــا كَـسِقَـــاط الغَبـــــَن[٣]

ومما استعمله العرب في المعنى اللغوي الأصلي من تغابن في التجارة وضعف في الرأي، قال المتنخل الهذلي:

وَيْلُمِّــه رجــلاً تأبـــى بـــه غَبَنـــاً إذا تجــرّد لا خـــالٌ ولا بَخَـــلُ[٤]

والتغابن في كتب التفسير اسم من أسماء يوم القيامة يقول ابن عباس: ذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار، قال مقاتل بن حيان: لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ويذهب بأولئك إلى النار[٥]. (والتغابن يوم القيامة وهو مستعار من تغابن الناس في التجارة، وذلك إذا فاز السعداء بالجنة، فكأنهم غبنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء؛ فالتغابن على هذا بمعنى الغبن، وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونه بين اثنين كقولك: تضارب وتقاتل، إنما هي فعل واحد كقولك تواضع. قال ابن عطية وقال الزمخشري: يعني نزول السعداء منازل الأشقياء، ونزول الأشقياء منازل السعداء، والتغابن على هذا بين اثنين، قال: وفيه تهكم بالأشقياء؛ لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغبن للسعداء)[٦]. بهذا المعنى الذي أوردته كتب التفسير للتغابن، يكون مصطلحاً قرآنياً جديداً لم تعرفه العرب، ولم

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (غبن)
(2) المصدر السابق، المادة نفسها.
(3) الأعشى، ميمون بن قيس، (١٩٩٤) ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد أحمد قاسم، (ط١)، بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي، ص٤٢٤. وجاء في النسخة التي حققها محمد محمد حسين (كسقاط اللجن)، ص٦٩. واللجن: نبات.
(4) الدار القومية للطباعة والنشر، ديوان الهذليين، ج٢، ص٣٤.
(5) ابن كثير، تفسير ابن كثير، م٧، ص٢٨.
(6) ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، م٢، ج٤، ص١٢٤.

يأت في شعرها، فالتغابن صفة من صفات يوم القيامة ومشهد من مشاهد يوم القيامة، (وهو تصوير لما يقع من فوز المؤمنين بالنعيم، وحرمان الكافرين من كل شيء منه ثم صيرورتهم إلى الجحيم، فهما نصيبان متباعدان... فهو تغابن بهذا المعنى المصور المتحرك[١].

الفرقان

وردت (الفرقان) في ستة مواضع في خمس سور من القرآن، بهذا اللفظ (الفرقان) معرفة بأل، ومرة واحدة نكرة بصيغة (فرقاناً).

قال تعالى: M V W X Y Z [\ L البقرة/٥٣.

وقال تعالى: M n o p q r s L البقرة/١٨٥.

وقال تعالى: M 3 4 5 6 7 8 9 : ; < L آل عمران/٣-٤.

وقال تعالى: M 5 6 7 8 9 : ; < = L الأنفال/٤١.

وقال عز وجل: M Q R S T U V W X L الأنبياء/٤٨.

وقال تعالى: M تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ © لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا L الفرقان/١.

وقال تعالى: M L M N O P Q R S T L الأنفال/٢٩.

والفرقان في معاجم اللغة من فَرَق يَفرُق فرقاً، وهو جمع الفَرْق والفَرَق، وهو مكيال ضخم لأهل المدينة معروف، قيل: أربعة أرباع، وقيل: ستة عشر رطلاً،[٢] قال خداش بن زهير:

يأخـذون الأرْش فـي إخـوتِهم فَـرَق السَّمْن وشـاةً فـي الغـنم[٣]

لكنّ الفرقان في القرآن يختلف تماماً عما هو في الأصل اللغوي، فالفرقان بالنظر في الآيات التي ذكرت فيها من خلال النظر فيها هو: التفريق بين الحق والباطل والحجة والشبهة سواءٌ أكان بما يدركه البصر أم تدركه البصيرة[٤].

---

(1) قطب، في ظلال القرآن، م٦، ج٢٨، ص٣٥٨٨.

(2) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (فرق).

(3) ابن منظور، لسان العرب، لم أجده فيما اطلعت عليه في المجموعات الشعرية، والأرْش: ما يأخذه المشتري من البائع إذا اطّلع على عيب في المبيع، وقيل: الرشوة.

(4) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (فرق).

من هنا كان الفرقان في القرآن مصطلحاً جديداً بهذا المعنى الجديد، فكان علماً على كل كتاب سماوي أنزله الله تعالى ففرق به بين الحق والباطل؛ (فالتوراة فرقان، والإنجيل فرقان، والزبور فرقان، والقرآن فرقان)[1] يقول تعالى: M Q R S T U L الأنبياء/٤٨ ويقول سبحانه: Mتَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ © L الفرقان/١.

وكان علماً على المعجزات التي رافقت الكتب السماوية، التي هي فرقان أصلاً، قال تعالى: M V W X Y Z [\ L وقال تعالى: M+ , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < L وقد وجدت ما يؤكد هذا عند المفسرين، يقول الفخر الرازي: (هي المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال الكتب لتفرق بين دعوى الأنبياء ودعوى الكاذبين)[2]. كما كان عَلَماً على غزوة بدر الكبرى؛ إذ فرّق فيها الله بين الحق والباطل، فنصر المسلمين على قِلَّتهم على الكافرين على كثرتهم، فانتصر المسلمون بعقيدتهم الراسخة بأن هذا الدين حق، وبإيمانهم أن النصر من عند الله، وبدعاء رسول الله في هذه المعركة الفاصلة في تاريخ الإسلام، فرأيته (يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد! وأبو بكر يقول: يا نبي الله: بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك)[3] فكان ذلك، فسمي يوم بدر في القرآن يوم الفرقان: يقول تعالى: M5 6 7 8 9 : ; < = L الأنفال: ٤١

جاء في تفسير لفظة الفرقان، أن الفرقان هو القرآن، وقد سمي فرقاناً لأنّه (فَرْق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر، ولأن فيه بيان ما شرع من حلال وحرام)[4] (ولأنه فَرْق في النزول كما قال تعالى: M , - . / 0 1 2 L الإسراء/١٠٦ وهذا أقرب لأنه قال: Mنَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ L الفرقان/١ ونزّل تدل على التفريق، أما قوله تعالى: (أنزل) فتدل على الجمع،

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس، مادة (فرق).

(2) الفخر الرازي، التفسير الكبير: م٤، ج٧، ص١٤٠.

(3) ابن هشام، تهذيب سيرة ابن هشام، ص١٤٦.

(4) القرطبي، تفسير القرطبي، م٧، ج١٣، ص٢.

لذلك قال تعالى في سورة آل عمران: M + , - . / 0 1 2 3 4
5 L آل عمران/٤)[١] وجميعنا يعلم أن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحـــدة إنمـــا نـــزل متواتراً).

وقد اختلف المفسـرون في الفرقـان التي ذكـرت في سورة البقـرة في الآيـة (١٨٥): M n o p q r s L.

فأقول: إن هذه الآية تدل دلالة قاطعة على أن القرآن غير الفرقـان، وأن الفرقـان لـيس خاصاً فقط بالقرآن كما يحب بعض الناس أن يجزم، يقول تعـالى: M h i j k l m n o p q r s Lوقد ذهب الـرازي إلـى أن (الهدى والفرقان) هما: التوراة والإنجيل: أي إن القرآن هو نفسه هدىً للناس لكن فيه أيضاً هدى من الكتب المتقدمة[٢]، وهذا قول مقبول ذلك أن الكتب السماوية منزلة مـن رب واحـد والـدين واحد هو توحيد الله عز وجل.

أما (فرقاناً) التي في آية الأنفال التاسعة والعشرين فلا تختلف أبداً عن الفرقان في غيرهـا من السور (فيجعل لكم فرقاناً) أي: يفرق بينكم وبين الكفار، فاللفظ مطلق ويجـب حملـه علـى جميع الفروق بين المؤمنين والكفار، وهو إما في أحوال الدنيا وإما في أحوال الآخرة[٣].

ولا بد من الإشارة إلى أن كتب الأشباه والنظائر (الاشتراك اللفظي) قد عَدَّت الفرقان مـن هذا النوع، إذ له ثلاثة أوجه هي: النصر كمـا فـي قولـه تعـالى: M 5 6 7 8 9 : L الأنفال: ٤١ والقـرآن كمـا فـي قولـه: Mتَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ © L، والمخرج في قوله تعالى: M p q r s Lيعني المخرج فـي الـدين مـن الشبهة والضلالة[٤]. وأيّاً كان المعنى فإن دلالة الجذر شيء واحد تدل على التفريق بـين الحـق والباطل ولكن باختلاف الوسيلة وما يوحي به السياق[٥].

---

(1) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٢، ج٢٤، ص٤٠.
(2) المصدر السابق، م٣، ج٥، ص٧٥.
(3) انظر: المصدر السابق: م٨، ج١٥، ص١٢٣.
(4) انظر: الأزدي، أبو عبدالله هارون بن موسى، (١٩٨٨). الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: حاتم صالح الضامن، (د.ط)، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ص٥٦.
(5) انظر الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، ص٢٠٢.

الفرقان إذن مصطلح قرآني جديد لم تعرفه الجاهلية، ولم يُذكر في أشعارها، وهو في دلالته العامة كل ما يفرق بين الحق والباطل.

الفسوق

ورد (الفسوق) في القرآن في أربع آيات، ووردت مشتقاتها في خمسين آية، والآيات التي ورد فيها الفسوق هي: قال تعالى: M (* + , - . / 0 L البقرة/١٩٧. وقال تعالى: Mوَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡ L البقرة/٢٨٢. وقال تعالى: M V W X Y Z L الحجرات/٧. وقال تعالى: Mبِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ L الحجرات/١١.

والفسوق والفسق أصله من قولهم: انفسقت الرُّطبة: إذا خرجت من قشرها، ومنه اشتقاق الفاسق لانفساقه من الخير، أي انسلاخه عنه[١]. وكأن الفأرة إنما سُميت فويسقة لخروجها من جحرها على الناس[٢].

جاء الإسلام فأعطى للفسق معنى جديداً مشتقاً من المعنى اللغوي الأصلي، فأصبح الفسق: (الخروج عن أمر الله وتركه)[٣]، وهذا المعنى تولد في ظل البيئة الإسلامية لم تعرفه العرب من قبل، يقول السيوطي: (لم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى)[٤]. وبهذا فإن الفسوق مصطلح قرآني جديد لم تعرفه العرب بدلالته الشرعية التي أعطاه إياها القرآن، قال ابن الأعرابي: (لم يُسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق، قال: وهذا عجيب، وهو كلام عربي، ولم يأت في شعر جاهلي)[٥].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (فسق).

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فسق).

(3) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، مادة (فسق).

(4) السيوطي، المزهر، ج١، ص٢٩٥.

(5) المصدر السابق، ج١، ص٣٠١.

يقول الأصفهاني في الفسق: إنه (أعم من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تُعُورِف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يُقال الفاسق لمن التزم حُكم الشرع، وأقرّ به ثم أخَلَّ بجميع أحكامه أو ببعضه..، والظالم أعم من الفاسق)[١].

والفسق بهذا – كما يقول بعض فقهاء اللغة- من الألفاظ الإسلامية، لا يعرف إطلاقها على هذا المعنى قبل الإسلام، وإن كان أصل معناها الخروج؛ فهي من الحقائق الشرعية التي صارت في معناها حقيقة عُرفية في الشرع[٢]، وهناك آراء كثيرة في الفسق وأحكام الفاسق لسنا في معرض الحديث عنها[٣].

القصاص

ذكر القِصاص في أربعة مواضع في القرآن الكريم، ثلاثة منها في سورة البقرة، وواحد في سورة المائدة، يقول تعالى: M Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e f g L البقرة/١٧٨. وقال تعالى: M وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي © لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ L البقرة/١٧٩. وقال تعالى: MW X Y Z [\ L البقرة/١٩٤. وقال تعالى: Mوَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ ´ µ L المائدة/٤٥.

والقِصاصُ في اللغة: (التَّقاصُ في الجراحات والحقوق، واقْتَصَّ منه: أُخِذَ منه، واسْتَقَصَّ منه: طلب أن يُقَصَّ منه. وأقصَّ الرجلُ من نفسه: إذا مَكّن من الاقتصاص منه، وهو أن يُفْعَلَ به مِثْلُ فِعْلِه، مِنْ قَتْل أو قَطْع أو ضَرْب أو جَرْح. والقَصَصُ: اتباع الأثر قال تعالى: M J K L M L الكهف: ٦٤.

والقِصاصُ والقِصاصاءُ والقُصاصاء: القَوَدُ، وهو القتل بالقتل، أو الجَرْح بالجَرْح)[٤].

يقول صاحب الجمهرة: والقِصاصاء مما لا يُعْرف، وقد زعموا أن أعرابياً وقف على بعض الأمراء بالعراق فقال: القِصَاصَاءَ أصلحك الله؛ أي خذ لي القِصَاصَ[٥].

---

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٣٨٧.
(2) الزبيدي، تاج العروس، مادة (فسق).
(3) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠.
(4) الفراهيدي، العين، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس، مادة (قَصَصَ).
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (قصص).

وقد ذكرت كتب التفسير المعنى اللغوي لمادة (القِصَاص)، ومن ثم ذهبت في تفسير معنى القِصاص، ومناسبة فرضه وحكمه، فقد ذكر القِصاص في القرآن في مناسبات مختلفة، (وكانت العربُ إذا قُتل فيهم عبدٌ قتلوا مقابله حرّاً من قبيلة القاتل، وقتلوا بالمرأة رجلاً، وبالوضيع شريفاً، وبالرجل رَجلين بل ومئة مقابل الواحد)[١]، جاء الإسلام مستبقياً ومقرراً ومرسخاً شريعة القِصاص، (ملبية فطرة الغضب للدم وطبيعتها، لكن بشكل عادل قائم على مبدأ المساواة في الدماء والعقوبة؛ فالجميع سواء أمام شرع الله. كما فَرَض الإسلام على القاتِل الاستسلامَ لولي المقتول إذا أراد هذا الولي القتلَ، كما فرض على ولي المقتول عدم التعدي على غير القاتل، كما كانت العرب تفعل في جاهليتها)[٢]، فكان هذا الشكل الإسلامي من القِصاص (حياة للناس بمعناها الأشمل والأعم، حياة مطلقة؛ إذ إن القصاص إذا كفّ الجاني عن إزهاق حياة واحدة، فإنه يكفه عن الاعتداء على الحياة كلها)[٣] لتلك المعاني كلها نزل قوله تعالى: M Y Z [\ ] ^ ... L البقرة/١٧٨ وقوله: M وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي © L البقرة/١٧٩.

وعندما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم، كانت اليهود قد خالفت ما جاء في التوراة من أن النفس بالنفس، إذ عرف اليهود القِصاص، (عن ابن عباس قال: كان في بني إسرائيل القِصاص ولم يكن فيهم الدية)[٤]؛ إذ كانت دية النضيري أكثر، ولم يكن النضيري يُقتل بالقرظي، فراجعهم رسول الله، فحكم بالاستواء، فقالت بنو النضير: قد حَطَطْتَ منَّا. فنزل قوله تعالى: M ~ عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ © بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ ´ µ ¶ L المائدة/٤٥، فالقِصاص أو العفو كان فيهم، ولم تكن الدية[٥]. يقول صاحب الظلال: (فالقصاص في التوراة كان حتماً ولا تنازل فيه ولا تصدق به ولا كفارة) [٦].

---

(1) انظر: الطبري، تفسير الطبري: م٢، ج٢، ص٦٠، الفخر الرازي، التفسير الكبير: م٣، ج٥، ص٤٤، القرطبي: تفسير القرطبي: م١، ص٢٤٥.
(2) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير: م٣، ج٥، ص٤٤، القرطبي: تفسير القرطبي، م١، ج٢، ص٢٤٥.
(3) قطب، في ظلال القرآن، م١، ج٢، ص١٦٥.
(4) انظر: الطبري، تفسير الطبري، م٤، ج٦، ص١٦٧، الفخر الرازي، التفسير الكبير: م٦، ج١٢، ص٧ ، القرطبي، تفسير القرطبي: م٣، ج٥، ص١٩١.
(5) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: م٢، ص٨.
(6) قطب، في ظلال القرآن، م٢، ج٦، ص٨٩٨.

وعندما صدّت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة ست للهجرة عن العمرة، رجع موعوداً من ربه أن يؤديها في السنة القابلة، فكان له ذلك في ذي القعدة سنة سبع للهجرة فكانت عمرة القضاء[١]، وفيها قال تعالى: WM X Y Z [\ ^ _ ` a b c d e f L البقرة/١٩٤.

(وقد جعل الله البيت الحرام واحة للأمن والسلام في المكان، والأشهر الحرم واحة للأمن والسلام في الزمان، تصان فيها الدماء والحرمات والأموال، فمن انتهك هذه الحرمات فلا تصان حرماته؛ وهذا معنى M [\ L)[٢]، ولكن بشرط ألا يكون انتهاك الحرمات من المسلمين على سبيل الابتداء، بل على سبيل القِصاص[٣].

جاء في تفسير معنى القِصاص: "القِصاص مأخوذ من: قصُّ الأثر: وهو اتباعه فكأن القاتل سلك طريقاً من القتل فقصَّ أثره فيها، ومشى على سبيله في ذلك، والقصُّ: القطع"[٤]

أقول: وإن كان القِصاصُ بمفهومه أَخْذاً بالثأر، إلا أنه جاء وفق شرع عادل محكم، هو شرع الإسلام، إذ أضاف إليه الإسلام مبدأ المساواة، ومن ثمَّ حُكم القِصاص يكون في قتل العمد، كما أضاف إليه (العفو) الذي هو قبول الدية أو المسامحة بالقِصاص والدية معاً، ومن ثمَّ فالقصاص حُكْمٌ رباني يقيمه أولو الأمر كالحاكم أو من هو في منزلته، فليس لكل امرئ أن يأخذ حقه بيده، تلك المعاني كلها هي التي جعلت (القِصاص) مصطلحاً قرآنياً جديداً لم تعرفه العرب، إذ لم تذكره في أشعارها، يقول الفخر الرازي في مَعْرِض تفسيره لآية M وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ L: (اتفق علماء البيان على أن آية M وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ L هي الإيجاز مع جمع المعاني باللغةً، بالغةً أعلى الدرجات؛ ذلك أن العرب عبّروا عن هذا المعنى بألفاظ كثيرة، كقولهم: قتل البعض إحياء للجميع، وأَكثِروا القتلَ ليَقِلَّ القتلُ، والقتل أنفى للقتل، والقتل أوقى

(1) الطبري، تفسير الطبري، م٢، ج٢، ص١١٥، الفخر الرازي، التفسير الكبير: م٣، ج٥، ص١١٥، القرطبي، تفسير القرطبي، م١، ج٢، ص٣٥٤.
(2) انظر: قطب، في ظلال القرآن، م١، ج٢، ص١٩١.
(3) الفخر الرازي، التفسير الكبير: م٣، ج٥، ص١١٥.
(4) الطبري، تفسير الطبري، م٢، ج٢، ص٦٠، الفخر الرازي، التفسير الكبير: م٣، ج٥، ص٤٤، القرطبي، تفسير القرطبي، م١، ج٢، ص٢٤٥.

للقتل)[١]. فنهاهم الله عن ذلك؛ (لأن القتل ظلماً لا يكون نافياً للقتل، بل سبباً في زيادته، على عكس القصاص الذي أمر به الله عز وجل)[٢].

فالقصاص إذن منهج رباني، جاء به الإسلام ضابطاً للغرائز البشرية، ومهذباً لفعل الثأر الذي كان منتشراً ومتفشياً بين العرب، فجاء القصاص حاكماً الناس في دنياهم بعيداً عن الأعراف البشرية، وهو حُكم يجب ألا يؤخذ بشعور الانتقام، بل بشعور حكم أقرّه الإسلام تيسيراً لأمور الناس وتخفيفاً عليهم، واضعين بعين الاعتبار تقوى الله عند طلب القصاص أو العفو فيه؛ (فمشروعية القصاص مصلحة عامة، وإبقاء القاتل والعفو عنه مصلحة خاصة به فتقدم المصلحة العامة لتعذر اجتماعهما)[٣].

الكفارة

ورد ذكر الكفارة في القرآن الكريم أربع مرات في ثلاث آيات في سورة واحدة هي سورة المائدة، وهي كالآتي:

قال تعالى: M وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ ´ µ ¶ L المائدة/٤٥.

وقوله تعالى: M لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ © يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ ´ µ ¶ ¸ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ L المائدة/٨٩.

وقال تعالى: M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ ´ µ ¶ ¸ فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ... أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ L المائدة/٩٥.

والكفارة في اللغة مِنْ كَفَرَ، بمعنى الستر والتغطية، وقد استعملوا هذا المعنى في أشعارهم، فسمَّوا الليل كافراً لأنه ستر وغطاء[٤]، قال لبيد:

---

(1) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير: م٣، ج٥، ص٤٩.
(2) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(3) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: م٢، ص١٥.
(4) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (كفر).

يعلـــو طريقـــــة متنهـــــا متواتـــــــرٌ فـــي ليلـــة كَفَـــرَ النجـــومَ غَمامُهـــا[١]

(وسَمَّوا النهر العظيم كافراً، لأنه يغطي ما فيه)[٢]، قال المتلمس:

أَلْقَيْتُها في الثِّنـــي مِـــنْ جَنْـــب كـــافرٍ كـــذلك أَقْنُـــو كُـــلَّ قِـــطٍّ مُـــضَلِّـــلِ[٣]

وعرفت الجاهلية معنىً مجازياً للكفر، وهو ســـتر النعمـــة وجحودهـــا ونكرانهـــا، فبعـــد أن كانت ستر الأشياء المحسوسة أصبحت تشمل ســـتر الأشـــياء المعنويـــة كـــستر النعمـــة[٤]، قال الأعشى:

فـــلا تَحْـــسَبَنِّي كـــافراً لـــك نعمـــةً علـــيَّ شـــهِيدٌ شـــاهِدُ اللهِ فاشـــهَدِ[٥]

ثم توسعت مجموعة ممن سُمُّوا بالحنفاء والموحدين قبل الإسلام، في معنى (كفـــر) حتـــى أصبحت صفة لمن يكفر بآيات ربه[٦]، (فكأن الكافر مغطىً على قلبه)[٧]. منهم أمية بـــن أبـــي الصلت، إذ يقول:

إنَّ آيـــــاتِ ربِّنــــــا ثاقبـــــــــات مـــا يُمـــــاري فيهـــن إلا الكفـــور[٨]

وهذا المعنى الأخير هو المعنى الاصطلاحي القرآني للفظة (كفر)، فـــالكفر فـــي القـــرآن نقيض الإيمان، مع التنبيه إلى أن القرآن استعمل المعنى الأصلي لمادة (كفر) الـــذي هـــو ســـتر الشيء وتغطيته، قال تعالى: M = > ? L آل عمران/١٩٥، كما استعمل (كفر)

---

(1) العامري، لبيد بن ربيعة، (١٩٦٢). شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق: إحسان عبـــاس، (د.ط) الكويـــت، وزارة الإرشاد والأنباء، ص٣٠٩، وفي رواية (متواتراً). والمتواتر: المطر المتتابع.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كفر).

(3) الضبعي، المتلمس، (١٩٧٠). ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق: حسن كامـــل الـــصيرفي، (ط٢) دمـــشق، المطبعة التعاونية، ص٦٥، والقط: الكتاب، مضلل: الردي الذي فيه ضلال.

(4) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٧١.

(5) الأعشى، ديوان الأعشى، ص٢٤٣.

(6) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٧١.

(7) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (كفر).

(8) ابن أبي الصلت، ديوان أمية بن أبي الصلت (فيما نسب إليه من شعر)، ص٣٩١، وفـــي روايـــة (بينـــات) ورواية (باقيات).

بمعنى النكران والجحود، قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 L لقمان/١٢ في حين ذُكر (الكفر) بمعناه الاصطلاحي القرآني في خمسمئة وأربع وعشرين آية.

والكفارة مشتقة من (كَفَرَ) بمعنى الستر والتغطية، وهي ما كُفِّر به من صدقة أو صوم أو نحو ذلك، قال بعضهم: كأنّه غُطي عليه بالكفارة، وسميت الكفارات كفارات؛ لأنها تكفّر الذنوب؛ أي تسترها، والتكفير: ستر الذنب وتغطيته[١].

وهكذا، فإن كان (الكُفر) و (الكافر) مصطلحين قرآنيين جديدين في دلالتهما، (فالكفارة) أيضاً مصطلح قرآني جديد لم تعرفه العرب، إذ وُلِد في ظل البيئة الإسلامية الجديدة، فالعرب لم تعرف الكفارة بمعنى (ما يفعله المرء من عمل صالح أو صدقة أو صوم ليغفر الله له سيئة اقترفها، أو عملاً غير صالح عمله، أو يميناً حلف به)[٢]. فهي تغطية على فعله الذي اقترفه[٣].

النفاق والمنافق

وردت لفظة (النفاق) في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: M B C D F G H I J L التوبة/١٠١ و (نفاقاً) وردت مرتين في قوله تعالى: M z { | } ~ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ L التوبة/٧٧ وقوله تعالى: M h i j k L التوبة/٩٧ و (نافقوا) وردت مرتين في قوله تعالى: M + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L آل عمران/١٦٧ وفي قوله تعالى: M : ; < = > ? @ A B C D E F G H I L الحشر/١١.

ووردت (المنافقات) في خمس آيات، و(المنافقون) في ثماني آيات، و(المنافقين) في تسع عشرة آية.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (كفر).

(2) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٧٣.

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (كفر).

والنفاق من نَفَقَ وقد عرفت العرب هذه المادة اللغوية بمعان عدة منها: نفقت الدابة، تَنْفُق نُفُوقاً: أي ماتت[١]، ونَفَقَ البيع نَفَاقاً (بالفتح): راج[٢]، قال صاحب الجمهرة: النَّفاق: ضد الكساد: نَفَقَ ينفُقُ فهو نافق[٣]، ونَفَق مالهُ ودِرهمه وطعامه نَفْقاً ونَفَاقاً (ونَفِق) كلاهما نَقُص وقلَّ[٤]. والنّفق: السرب في الأرض له مَخلصٌ إلى مكان[٥] أو كما قال صاحب اللسان: سرب في الأرض مشتق إلى موضع آخر[٦]، ومن المعاني التي عرفتها العرب أيضاً، النُّفقة والنافقاء: موضع يرققه اليربوع في جحره، فإذا أُخذ (أُتي) من قِبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه وخرج فانتفق فيها[٧]، قال امرؤ القيس:

خَفَاهُنَّ من أنفاقِهِنّ، كأنما خفاهنّ وَدْقٌ من عَشِيٍّ مجلِّبِ[٨]

قال أبو عبيدة: من هنا سُمي المنافق منافقاً، فهو يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه[٩]، ومنه اشتقاق المنافق لخروجه من الدين، والاسم النِّفاق[١٠]، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، الذي هو من يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفاً، وهو مأخوذ من النافقاء لا من النفق وهو السرب[١١].

(1) الفراهيدي، العين، مادة (نفق).
(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفق).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (نفق).
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفق).
(5) الفراهيدي، العين، مادة (نفق).
(6) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفق).
(7) الفراهيدي، العين، وابن منظور، لسان العرب، مادة (نفق).
(8) امرؤ القيس، ابن حجر الكندي، (١٩٨٤) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٤)، القاهرة، دار المعارف، ص٥١. خفاهن: أظهرهن وأخرجهن، الودق:: المطر، مجلب: الذي له جلبة.
(9) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفق).
(10) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (نفق).
(11) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفق).

يقول ابن خالويه: إن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة، والمنافق اسم إسلامي لم يُعرف في الجاهلية، وهو من دخل في الإسلام بلسانه دون قلبه، سُمي منافقاً مأخوذ من نافقاء اليربوع[١].

وقول ابن خالويه هذا يدل على أن النفاق مصطلح قرآني جديد مخصوص الدلالة في القرآن، وقد صنع منه القرآن لفظاً جديداً أيضاً هو المنافق كما قال بذلك ابن خالويه وصاحب اللسان، ولا يقدح في هذا الحكم ما روي عن طرفة بن العبد قوله:

وأما رجالٌ نافقوا في إخائهم ولَسْتُ إذا أَحَبَبْتُ حُراً أَنَافِقُه[٢]

فهذا البيت لا ينفي الحكم بأن النفاق مصطلح جديد؛ (لأنه إن صحّ فهو يدل على عدم شيوع معنى النفاق في العصر الجاهلي، بالإضافة إلى أن بيت الشعر السابق منسوب إلى طرفة، ولم يتحقق شارح الديوان من تأكيد نسبته إليه)[٣].

---

(1) السيوطي، المزهر، ج١، ص٣٠١.

(2) ابن العبد، ديوان طرفة بن العبد، ص١٧٩.

(3) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٦٦.

المبحث الثاني

ألفاظ أضفى عليها القرآن دلالات جديدة

الأمـــة

وردت لفظة الأمة في القرآن الكريم في تسع وأربعين آية، ولفظة (أمم) في اثنتي عـــشرة آية، هذا فضلاً عن مشتقات الكلمة الأخرى مثل إمام وأئمة وغيرها. ومن تلك الآيات:

قال تعالى: L 6 5 4 3 2 1 0 / . - M القصص: ٢٣.

وقال تعالى: L V U T S R Q P O N M البقرة: ٢١٣.

وقال تعالى: L ? > = < ; : 9 8 7 6 5 M النحل: ١٢٠.

وقـــال تعـــالى: L 5 4 3 2 1 0 / . - , + M يوسف: ٤٥.

والأمة في اللغة من (أمم)، والأمُّ بمعنى القصد، قال: الأمة في اللغة من القصد[١]، يُقـــال: أمَمْتُه: إذا قصدته[٢].

والأمة في اللغة تحمل معاني عدة، فقالوا: الأُمة: الرجل الجامع للخير والإمام، وبه فـــسر قوله تعالى: L 8 7 6 5 M النحل: ١٢٠ والأمة، جماعة أُرسل إليهم رســـولهم سواء آمنوا أو كفروا. والأُمة: الجنس من كل حيوان غير بني آدم أمة على حدة، ومنـــه قولـــه تعالى: L N M L K J I H G F E D C M الأنعام: ٣٨ ومنه قولـــه عليه السلام: "لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها، فاقتلوا منها الأسود البهيم"[٣] والأمـــة: الحين، قال تعالى L Z Y X W V U M هود:٨ والأمة: الوَجْه والنشاط والطاعة والعالِم، والأمة لله تعالى خَلْقَه، والأمة: القامة[٤]، قال الأعشى:

فــــــإنَّ معاويــــــةَ الأكرمــــــينْ عِظـــامُ القِبـــابِ، طِـــوالُ الأُمَـــمْ[٥]

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أمم).

(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (أمم).

(3) العجلوني، إسماعيل بن محمد، (١٩٨٣). كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تصحيح وتعليق: أحمد القلاش، (ط٣)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج٢، ص٢١٤، رقم الحديث (٢١٢٢).

(4) الزبيدي، تاج العروس، مادة (أمم).

(5) الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص٩١ الأُمَمْ: القامات.

والأمة من الرجل: قومه وجماعته، قال الأخفش: هو في اللفظ واحِد وفي المعنى جمع[١]. والإِمَّة والأُمة: الشرعة والدين والطريقة، يقال: فلان لا أمة له، أي لا دين له ولا غلة له[٢]، والإِمَّةُ: النعمة، والأُمة: المِلة[٣]، قال النابغة الذبياني:

حَلَفْتُ فلمْ أترِكْ لنفسِكَ رِيبةً وهل يأثَمَنْ ذو إمَّةٍ وهو طائعُ[٤]

تلك المعاني كلها تعود إلى أصل واحد هو القصد حسب قول صاحب اللسان، إذ يقول: (وأصل هذا الباب كله من القصد، يُقال: أَمَّمت إليه: إذا قصدته، فمعنى الأمة في الدين: أن مقصدهم مقصد واحد، ومعنى الأمة في النعمة: إنما هو الشيء الذي يقصده الخلق ويطلبونه، ومعنى الأمة في الرجل المنفرد الذي لا نظير له أن قَصْدَه منفرد من قَصْدِ سائر الناس). [٥]

القرآن الكريم استعمل من تلك المعاني أربعة معانٍ، هي: الجماعة، والدين، والرجل الواحد الذي على دين الحق، والحين.

إن الجماعة هو المعنى الأشهر للفظة الأمة، ويتبين ذلك من أقوال أصحاب المعاجم التي سبق عرضها، وكذا اتفق على ذلك أهل اللغة وجعلوه المعنى الأصلي، يقول الراغب الأصفهاني: (الأمة: كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً)[٦]. وكذا عند المفسرين.

وقد جاء هذا المعنى في السياق القرآني، ومنه قوله تعالى: M ! " # $ % & ' (* L الأعراف: ١٦٤. وقال تعالى: M W X Y Z [\ ] L النساء: ٤١.

كما جاءت الأمة في القرآن بمعنى الدين، والملة والطريقة، قال تعالى:

---

(1) الزبيدي، تاج العروس، مادة (أمم).

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أمم).

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (أمم).

(4) النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، ص٣٥.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أمم).

(6) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٢١.

M بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ L الزخرف: ٢٢. وقال تعـــالى: Mوَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ L النحل/٩٣.

وجاءت الأمة في القرآن الكريم بمعنى الرجل المنفرد الجامع للخير، وكل من كان علـــى دين واحد مخالفاً لسائر الأديان فهو أمة على حدة(١)، ومنه قوله تعالى في آية واحدة، إذ لم يـــأت وصف لرجل في القرآن بأنه أمة إلا إبراهيم عليه السلام، يقـــول تعـــالى: M 5 6 7 8 9 : ; L النحل/١٢٠. وما ذلك إلا (لأنه قد جمع الخيرات له حتى اتخذه خليلاً مـــن اجتماع خصال الخيرات فيه، وذلك: الوفاء، والشكر، والصبر، والإيمان، والإسلام، والحنيفيـــة، والقنوت، والهدى، والاجتباء، والأوّاهية، والإنابـــة، والبركـــة، والاصـــطفاء، والحلـــم، واليـــد، والبصر، والحكم، والنبوة، والرسالة، والخلة، وسلامة القلب، والصديقية، وثنـــاء الـــرب عليـــه، والحجة، والصلاح، والرشد، والإحسان، والإخلاص، وكل ذلك مذكور في التنزيل) (٢).

والمعنى الأخير الذي ذكره القرآن للفظة الأمة هو الحين، من ذلك قوله تعـــالى: M U V W X Y Z L هود/٨. وقـــال تعـــالى: M + , - . / 0 1 2 3 4 5 L يوسف/٤٥. ولم تُذكر بهذا المعنى سوى في هاتين الآيتين.

ولكن ما الجديد في لفظة الأمة حتى باتت مصطلحاً إسلامياً مع أن القرآن اســـتعملها فـــي أكثر من معنى؟

لقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم المدلول الإسلامي للفظة (الأمة) في حديثه إذ يقول عليه السلام برواية أبي هريرة: " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهـــودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار"(٣).

---

(1) الفراهيدي، العين، مادة (أمم).

(2) فرحات، أحمد حسن، (١٩٨٣). الأمة في دلالتها العربية والقرآنيـــة، (ط١)، عمـــان، الأردن، دار عمـــار، ص٣٣. والأواهية: شدة العاطفة ورقة القلب وكثرة التفجع والترحم.

(3) النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ج٢، ص٣٦٤، رقم الحديث (٣٨٤).

فالأمة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أمته في زمنه وبعد زمنه، من آمن ومن لم يؤمن، هذه هي الأمة بمدلولها الإسلامي الجديد، يقول سيد قطب: (الأمة في التعريف الإسلامي هي مجموعة الناس التي تدين بعقيدة واحدة وتصور واحد، وتدين لقيادة واحدة، وليست كما هي في المفهوم الجاهلي القديم أو الحديث: مجموعة الناس التي تسكن في إقليم واحد من الأرض، وتحكمها دولة واحدة، فهذا مفهوم لا يعرفه الإسلام، إنما هي من مصطلحات الجاهلية القديمة أو الحديثة) [١].

فالأمة بالمعنى الإسلامي إذن: هي انتماء ديني عقدي، وليست انتماء عنصر لجنس من الأجناس، أو عرق من الأعراق[٢]. وهذا مدلول إسلامي أكده القرآن الكريم حين قال رب العزة: M 1 2 3 4 5 6 7 8 9 L البقرة/١٢٨.

وقوله تعالى: M . / 0 1 2 3 4 L آل عمران/١١٠.

وقوله تعالى: M T U V W X Y Z L الأعراف/١٨١.

وبهذا المعنى كانت (الأمة) مصطلحاً قرآنياً جديداً، لم تعرفه العرب بهذه الدلالة المخصوصة.

التيمم

ورد الفعل (تيمموا) الذي مصدره (التيمم) في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، هي:

في قوله تعالى: Mq r s t u L (البقرة: ٢٦٧).

وفي قوله تعالى: Mوَإِن © مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ´ µ ¶ ¸ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا L (النساء: ٤٣).

(1) قطب، في ظلال القرآن، م٣، ج٩، ص١٣٨٥.

(2) فرحات، الأمة في دلالتها العربية والقرآنية، ص٤٣.

وفي قوله تعالى: M 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E
F G H I J K L M N O P R S
T U V W X Y Z [\ ] ^ _
` L. (المائدة: ٦).

والتيمم في معاجم اللغة من (أَمَّ، أي قَصَدَ. والأَمُّ (بفتح الهمزة) القصد والتوخي، يقال: أَمّ يَؤُمُّهُ أَمّاً قصَدَه وتوخّاه) [1]، وهذا المعنى الذي جاء في شعر العرب، قال رؤبة:

أَزْهَر لم يُولَد بِنَجْمِ الشُّحِّ   مُيمَّم البَيْتِ كريم السَّنْحِ[2]

وقال الأعشى:

تَيَمَّمتُ قيساً وكم دُونَه   من الأرضِ من مَهْمَهٍ ذي شَزَنْ[3]

وقال المتلمس:

ولَنْ يَلْبثَ العصران: يومٌ وليلةٌ   إذا طَلَبَا أن يُدْرِكَا ما تيمَّمَا[4]

استعمل القرآن الكريم في آية سورة البقرة M q r s t u L يمم بمعناها اللغوي الأصلي، أي لا تتوخوا، فارتبطت هنا بالإنفاق، وهو موضوع بعيد كل البعد عن الموضوع الذي ارتبطت به (يمم) في آية سورة النساء وآية سورة المائدة. إلا أن (الأمّ) في سورة النساء وسورة المائدة يرتبط بمعنى (الأم) في اللغة، وهو القصد. لكن الجديد في آيتي النساء والمائدة هو التيمم بالصعيد: Mفَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا L (أي: توخوا واقصدوا أطيب الصعيد، وقد كَثُر استعمال هذه الكلمة حتى صار التيمم دلالة على مسح الوجه واليدين بالتراب،

---

(1) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (أمم). وليس (يمم) كما قد يظن للوهلة الأولى.
(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أمم)، لم أجده في ديوان رؤبة.
(3) الأعشى، ديوان الأعشى، ص٦٩ مهمه: فياف، والشزن: الغلظ.
(4) الضبعي، ديوان المتلمس، ص٣٤. وقد ورد البيت – أيضاً- في ديوان: الهلالي، حميد بن ثور، ص٨. وقد نسبه الزمخشري في أساس البلاغة، مادة (عصر)، للمتلمس، في حين نسبه أبو تمام في كتاب الوحشيات لحميد بن ثور الهلالي، ص٢٨٨.

وهذا هو التيمم الشرعي)[١]، وهو معلق بعدم وجود الماء، وهو بدل الوضوء، ومبني على التخفيف، والواجب فيه تطهير عضوين هما الوجه واليدان فقط[٢]، وقد خُصَّت أمة سيدنا محمد بالتيمم توسعة عليها[٣]، هذه المعاني كلها هي ما جعلت (التيمم) مصطلحاً قرآنياً جديد الدَّلالة.

ولا بد من الإشارة إلى أنه اختلف أيتهما هي آية التيمم، آية سورة النساء أم آية سورة المائدة، قال القاضي أبو بكر بن العربي: (هذه معضلة ما وجدت لدائها من دواء عند أحد، هما آيتان فيهما ذِكر التيمم، إحداهما في النساء والأخرى في المائدة، فلا نعلم أية آية عنت بها عائشة)[٤] (بقولها: "فأنزل الله آية التيمم"، ثم قال: وحديثها يدل على أن التيمم قبل ذلك لم يكن معلوماً ولا مفعولاً لهم)[٥].

وقول السيدة عائشة، ومن ثم تعليق القاضي أبي بكر يدل دلالة قاطعة على دلالة التيمم الجديدة، الذي يكون (بخبطة واحدة بالكفين على صعيد طاهر، ثم نفضهما ثم مسح الوجه، ثم مسح اليدين إلى المرفقين، أو بخبطتين خبطة يُمسح بها الوجه، وأخرى يُمسح بها الذراعان)[٦].

يقول صاحب كتاب (في ظلال القرآن): ليس المراد من الوضوء والغسل والتيمم مجرد النظافة فقط، بل ربما هو استعداد نفسي للقاء الله بهذا العمل الذي يفصل بين شواغل الحياة اليومية العادية، واللقاء العظيم مع الخالق[٧].

والوضوء والغسل تطهر جسدي وتهيؤ روحي، في حين أن التيمم يحقق التطهر الروحي دون الجسدي لتعذر استخدام الماء، فيستعاض عنه بتحقق الشطر الأقوى وهو التطهر الروحي[٨].

فالتيمم إذن مصطلح قرآني جديد (خصصه لحالة واحدة وهو الوضوء على البدل)[٩].

---

(1) القرطبي، تفسير القرطبي، م٣، ج٥، ص٢٣٢، العسقلاني، فتح الباري، م١، ص٤٣١.
(2) الفخر الرازي، التفسير الكبير م٦، ج١١، ص١٣٤، ١٣٥.
(3) القرطبي، تفسير القرطبي، م٣، ج٥، ص٢٣١.
(4) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله، (١٩٨٨). أحكام القرآن، راجعه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ج١، ص٥٦١-٥٦٢.
(5) القرطبي، تفسير القرطبي، م٣، ج٥، ص٢٣٣.
(6) انظر: قطب، في ظلال القرآن، م٢، ج٥، ص٦٦٩.
(7) انظر: المرجع السابق، م٢، ج٥، ص٦٧٠.
(8) انظر: المرجع السابق، م٢، ج٦، ص٨٤٩-٨٥٠.
(9) أبو عودة، التطور الدلالي، ص١٨٧.

التبتل

جاءت لفظة (التبتل) مرة واحدة في القرآن الكريم، في حالة النصب، يقول تعالى في الآية الثامنة من سورة المزمل: L Q P O M المزمل: ٨، فجاءت اسم مصدر إذ إن مصدر (تَبَتَّل) هو (تَبَتُل)، وفعل المصدر (تبتيل) هو (بَتّل)، فكان (التبتيل) اسم مصدر هنا باجتماعه مع غير فعله (تبتل).

جاء في معاجم اللغة أن التبتل: (القطع، وقيل: الحق، وقيل: تمييز الشيء عن الشيء، والتبتل: ترك النكاح والزهد فيه والانقطاع عنه، وانبتل في سيره: جدَّ ومضى. والبتيل: فسيل النخل يبتل عنه: أي يقطع عنه ويعزل.

ويُقال للمرأة إذا تزينت وتحسنت: إنها تتبتل، وإذا تركت النكاح: تبتلت، وبهذا يُعد التبتل من الأضداد. والمرأة المُبتَّلة هي التي حَسُنَ كل عضو منها، أي منقطعة الخَلْق عن النساء فلها عليهن فضل)(1)، قال الأعشى:

مبتلـةٌ هيفـاءُ رَودٌ شـبابُها لها مُقْلَتَـا رِئْـمٍ وأسـودُ فـاحمُ(2)

ومنه قولهم: صدقة بتلة: أي منقطعة عن صاحبها(3).

وقد أجمع المفسرون على أن التبتل هو الإخلاص، وذلك بالانقطاع عن كل ما سوى الله. ويُقال لمريم أم عيسى عليه السلام البتول؛ لانقطاعها إلى الله في العبادة، ويُقال للراهب المنقطع للعبادة متبتل(4) يقول امرؤ القيس:

تُـضيءُ الظـلامَ بالعِـشاء كأنهـا مَنـارةُ مُمْـسَى راهـبٍ متبتـل(5)

---

(1) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، (١٩٧٩) تاج العروس وصحاح العربية، (المعروف بالصحاح)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطّار، (ط٢)، بيروت، دار الملايين، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (بتل).
(2) الأعشى، ديوان الأعشى، ص١٢٧، رئم: الظبي الأبيض.
(3) القرطبي، تفسير القرطبي: م١٠، ج١٩، ص٤٤.
(4) انظر: الطبري، تفسير الطبري: م١٢، ج٢٩، ص٨٣ – الفخر الرازي، التفسير الكبير: م١٥، ج٣٠، ص١٥٧- القرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج١٩، ص٤٤.
(5) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، ص١٧.

وقال ربيعة بن مقروم الضبي:

لــو أنهــا عَرَضــتْ لأشــمطَ راهــبٍ　　فـــي رأسِ مُـــشْرِفةِ الـــذُّرا متبتـــلِ
لـــصبا لبهجتهـــا وحـــسنِ حـــديثها　　ولَهَـــمَّ مـــن ناموســـه بِتَنـــزُّلِ[١]

وأصل التبتل عند العرب: القطع[٢]، وقال القرطبي أصله: التفرد؛ أي الانقطاع عـن النـاس والجماعات وهذا التبتل قد نهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام[٣]، ومن هذا الباب يُنهـى عـن التبتل الذي هو ترك النكاح والزهد فيه؛ لأنه باب شرٍّ في فساد الأخلاق ومن ثمَّ المجتمعات.

وإنْ عُرف التبتل في الجاهلية بوجود الحنيفية، إلا أن القرآن أعطاه مفهوماً جديداً فالتبتل ليس الانقطاع عن الناس والجماعة فلا خير فيمن لا يخالط الناس، والتبتل ليس انفرادياً بـل هـو أمـر جماعي لذا قال تعالى M O P Q L ولم يقل (تبتلاً) ذلك أن التبتل صفة قائمة للحدث كما هو، في حين أن التبتيل دعوة للتعميم والإطالة في هذا الأمر والاستمرار فيه ففيه دعوة للمـشاركة، ذلك أن الإسلام دين الجماعة يقول الفخر الرازي: (وتبتل إليه تبتلاً، وبتِّل نفسك إليه تبتـيلاً، لكنـه تعالى قال: M O P Q L المزمل: ٨ فالمقصود هو التبتل، أما التبتيـل فهـو تـصرف، والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلاً إلى الله؛ ذلك أن المشتغل بغير الله لا يكون منقطعاً إليه، لكن لا بد من التبتيل حتى يحصل التبتل؛ فذكر (التبتل) أولاً إشعاراً بأنه المقصود بالذات، ثم ذكر (التبتيل) ثانياً إشعاراً بأنه لا بد منه ولكنه مقصود بالغرض)[٤]. وهذا صحيح فالمرء بإخوانـه؛ فـإن تعـود التبتيل مع الجماعة فصبر على عبادة ربه بشوق ومحبة اعتاد التبتل بمفرده وذاق حلاوته.

ومن المعاني التي أعطاها القرآن للتبتل أنه ليس حكراً على أحد من الناس، فالتبتل أمر إلهي لكل مسلم، وليس هو مخصوصاً لأحد كما كان هو عند النصارى، فرهبانهم هم من يتبتلون إلى الله، كما أن التبتل لا يعني الانقطاع عن الدنيا بل إن التبتل أمر إلهي يجمع كل إنسان مسلم إلى جانبـه الحياة الدنيا فيحياها بأمر الله وطاعة الله وتقوى الله، كل هذه المفاهيم التي أعطاها القـرآن للتبتـل

---

(1) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ج٢٢، ص١٠٢.
(2) الفخر الرازي، التفسير الكبير: م١٥، ج٣٠، ص١٥٧.
(3) انظر: القرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج١٩، ص٤٤.
(4) الفخر الرازي، التفسير الكبير: م١٥، ج٣٠، ص١٥٨.

جعله مصطلحاً قرآنياً استمد مفهومه من نظام الإسلام، وهي (درجة سامية لا يرقى إليها إلا كلٌ من طهر قلبه من شوائب الدنيا كلها)[١] فالتبتل في السياق القرآني إذن مصطلح قرآني جديد الدلالة، عرفت العرب مادته قبل الإسلام، لكنه استمد دلالة جديدة من روح الإسلام الحنيف.

الجحيم

ورد ذكر لفظة (الجحيم) معرفة وغير معرفة خمساً وعشرين مرة، ومرة واحدة بصيغة (جحيماً) في سورة المزمل يقول تعالى: L o n m l M المزمل/١٢.

الجحيم في معاجم اللغة: النار الشديدة التأجج والالتهاب، جَحَمَت تَجْحَم جُحوماً، وجاحِمُ الحرب: شدة القتل في معركتها. والجَحْمَة: العين بلغة حمير، وعين الأسد في كل لغة. والأجحم: الشديد حُمرة العين مع سعتها[٢]. والجحيم: اسم من أسماء النار، وأصله ما اشتد لهبه من النار. وجحمة النار: توقدها وكل نار توقد على نار: جحيم، فهي تجحم جحوماً أي توقد توقداً[٣]، قال ساعدة بن جؤبة:

إنْ تَأتِه في نهارِ الصَّيف لا تَرَهُ إلا يُجَمِّع ما يصلى من الجُحَمِ[٤]

وقال أيضاً:

وأَحْصَنَهُ ثُجْرُ الظُّباتِ كأنها إذا لم يُغَيِّبها الجفير جحيمُ[٥]

وجمر جاحم: إذا اشتد اشتعاله، ومنه اشتقاق الجحيم، والله أعلم[٦] والجاحم: الجمر الشديد الاشتعال، والجاحم من الحرب: معظمها[٧]، والجاحم: المكان الشديد الحر[٨]، قال الأعشى:

---

(1) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٠٩.
(2) الفراهيدي، العين، مادة (جحم).
(3) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (جحم).
(4) الدار القومية للطباعة والنشر، ديوان الهذليين، ج١، ص١٩٢.
(5) المصدر السابق، ج١، ص٢٣١ والثُّجْر: الظُّبات العِراض النُّصول، والجفير: الكنانة.
(6) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (جحم).
(7) الزبيدي، تاج العروس، مادة (جحم).
(8) ابن منظور، لسان العرب،، مادة (جحم).

يُعِـــدُّون للهيجـــاء قبــل لقائهـــا   غداةَ احتضارِ البأسِ، والمـوتُ جـاحمُ[١]

وقال:

بِمُـشْعِلَةٍ يَغْـشَـى الفـراشَ رَشَاشُـها   يبيتُ لهـا ضَـوءٌ مـن النّـارِ جـاحمُ[٢]

والجحيم كلمة عربية، لم يختلف عليها العلماء[٣].

فالجحيم من خلال الشواهد السابقة، تبيَّن أنها كلمة دلَّت عند العرب على شدة النار ولهيبها، وشدة الحرارة؛ حرارة الشمس أو حرارة النار أو حرارة الحرب، أو أي شدة تصيب الإنسان في حياته[٤].

لقد عَدَّت معاجم اللغة الجحيم اسماً من أسماء النار، وأعتقد أن هذا غير دقيق؛ ذلك أن النار ذُكرت في القرآن أيضاً، وقد انطلق هذا البحث على أساس متين هو أنه لا ترادف في القرآن، لذا فإن الجحيم ليس اسماً من أسماء النار، بل هي (صفة من صفات النار)[٥]. إذ إن القرآن الكريم خصَّص الجحيم لوصف النار، فأصبحت بذلك مصطلحاً قرآنياً جديداً[٦]. وأود التنويه إلى أن النار التي أججها قوم سيدنا إبراهيم وُصفت في القرآن بصفة الجحيم، ذلك تشبيهاً لها بجحيم الآخرة؛ لأنها نار عظيمة في مهواةٍ تجحم جحوماً: أي توقد توقداً[٧]، قال تعالى: M قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ L الصافات: ٩٧. وهذا لا يؤثر على عَدِّها مصطلحاً جديداً. ثمَّ إن القرآن خصص للجحيم أناساً، فأطلق عليهم مصطلحاً جديداً هو (أصحاب الجحيم). قال تعالى: M Y Z [\ ] ^ _ L المائدة: ٨٦.

---

(1) الأعشى، ديوان الأعشى، ص٤٦٨، نسخة المحقق: محمد أحمد قاسم.
(2) الأعشى، ديوان الأعشى، مشعلة: طعنة. ص١٣١.
(3) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٤١٩.
(4) المرجع السابق، ص٤٢٠.
(5) المرجع السابق، ص٤١٩.
(6) المرجع السابق، ص٤٢٠.
(7) ابن منظور، لسان العرب، مادة (جحم).

الحج

جاء ذكر (الحج) في القرآن الكريم تسع مرات معرفة، ومرة غير معرفة، ومنها قوله تعالى:

M ! " # L البقرة/ ١٩٧.

M ; < = > ? @ A B C L التوبة: ٣

M | { ~ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا L آل عمران/ ٩٧

والحج في اللغة: كثرة القصد إلى من يُعظَّم(١)، وحَجّه يحُجُّه حَجًّا. قصَدَهُ، وحججتُ فلاناً واعتمدته، قصدته. ورجل محجوج: مقصود، وحجَّ بنو فلانٍ فلاناً: إذا أطالوا الاختلاف إليه(٢)، قال المخبّل السعدي:

وأشْــهَدُ مِــنْ عــوفٍ حلــولاً كثيــرةً   يحجُّون سِــبَّ الزِّبرقــان المُزَعفــرا(٣)

أي يقصدونه ويزورونه، وهذا هو الأصل، ثم عُرف استعماله في القصد إلى مكة للنُّسك، والحج إلى البيت خاصة، كما يرى ابن السكيت(٤). والحج: القصدُ مطلقاً، وقيل: كثرة القصد لمعظم(٥)، ثم أصبح الحج: قصد التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة، تقول: حججت البيت أحجُّه حجّاً: إذا قصدته، وأصله من ذلك(٦).

مما سبق يتبين أنّ (الحج) أصله القصد مطلقاً، ثم خُصّص بالقصد إلى مُعَظَّم، ولم يكن عند العرب أعظم وأقدس من زيارة الكعبة والطواف حولها، وبهذا فقد عرفوا الحج، لكنه مختلط بعقائد مشوشة ومشوهة، فأكثرهم كان يأتي إلى الكعبة ليطوف حول ما فيها من أوثان وأصنام(٧).

---

(1) الفراهيدي، العين، مادة (حج).
(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حج).
(3) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد، (د.ت)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين وعبدالسلام هارون، (ط٢)، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج٢، ص٨١١.
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حج).
(5) الزبيدي، تاج العروس، مادة (حج).
(6) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٢٧-٢٢٨.
(7) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وقد كان العرب يحجون إلى البيت كل عام، لذا سمّوا السنة حجة[1]، قال زهير:

وقفتُ بها مِنْ بعـدِ عِـشْرينَ حِجَّـةً فَلأْيـاً عَرَفْـتُ الـدارَ بعـد تَـوهُّم[٢]

وقيل حَجّة وحِجّة. روي عن الأثرم وغيره: ما سمعنا من العرب: حَجَجتُ حَجّة، ولا رأيتُ رَأية، وإنما يقولون حججتُ حِجّة، قال: الحَجُّ والحِجُّ ليس عند الكسائي بينهما فرقان. وغيره يقول: الحَجُّ حج البيت، والحِجُّ: عمل السَّنة. قال الكسائي: كلام العرب كله على فَعَلْتُ فَعْلة إلا قولهم: حججتُ حِجّة، ورأيتُ رُؤية. والحِجّة: السَّنة والجمع: حِجج، والحُجة: البرهان[٣].

وبعد، فالعرب أدركوا أن في الحج معنى تكفير الذنوب، وهو معنى تحمله كلمة (الحج) بدلالتها الإسلامية، لكن عرب الجاهلية كانوا يحجون إلى الأصنام التي يظنون أنها تقربهم إلى الله[٤]، قال الشاعر:

تركتُ احتجاج البيت حتى تظاهرت علـيَّ ذنـوبٌ بعـدهنَّ ذنـوب[٥]

جاء الإسلام فجعل الحج عبادة لله عز وجل، وجعله الركن الخامس من أركانه، محدَّدَ الزمان والمكان والمناسك، في حين لم تعرف الجاهلية هذه الشروط، وبهذا فإن الحج مصطلح قرآني، ليس بجديد على العرب ولكن القرآن خصَّص دلالته، وأعطاه مفهوماً جديداً لم تعرفه الجاهلية[٦].

---

(1) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٢٩.

(2) ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى، (١٩٩٥). شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، (ط٢)، القاهرة، دار الكتب المصرية، ص٧.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حج).

(4) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٢٩-٢٣٠.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حج).

(6) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٣٠-٢٣١.

الأحزاب

وردت (الأحزاب) في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة في عشر آيات في ست سور، كما ورد مفردها (حزب) مضافاً وغير مضاف، ومثناة (الحزبين).

والأحزاب في كتب المعاجم (من حَزَبَ الأمر يَحْزُبُ حَزْباً: إذا أنابك. وحزبني الأمر: إذا اشتد علي، والاسم: الحُزَابة، وأمر حازِب وحزيب: إذا كان شديداً.

وتحزَّب القوم وتحازبوا: تجمعوا ومَالأ بعضُهم بعضاً، والحِزْب: أصحاب الرجل على رأيه وأمره، وركنه الذي يلجأ إليه، قال العجاج:

لقـــد وَجَـــدْنا مُـــصْعَبَاً مُسْتَـــصْعَباً   حـــين رمـــى الأحـــزابَ والمُحزِّبـــا[١]

والحزب: جماعة الناس والجمع أحزاب، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وإن لمْ يلق بعضهم بعضاً.

والحِزْبُ: الوِرْدُ، وهو النوبة في ورود الماء، ومنه أخذ الحِزْب بمعنى ورد الرجل من القرآن والصلاة. يقول صاحب التاج: وحزّبت القرآن: جعلته أحزاباً، وهو إطلاق إسلامي)[٢].

(والحِزْبُ: السلاح)[٣]، (وجاء في الصحاح: تطلق على طوائف كانوا تألبوا وتظاهروا على محاربة الأنبياء عليهم السلام، وهو إطلاق شرعي)[٤].

وقد فسرت كتب التفسير (الأحزاب) بمعانٍ عدة وفقاً لمواضعها في الآيات، فقالوا (الأحزاب) هم أهل المِلل المتحزبون، وهم أهل أديان شتى، أو هم اليهود والنصارى وسائر الكفار[٥]، كما في قوله تعالى: M : ; < = > ? @ B C D E F L الرعد/ ٣٦ وقال تعالى: M فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ L مريم/ ٣٧ حيث اختلفت الفرق من أهل النصارى، وقيل من (اليهود

---

(1) ابن رؤبة، العجاج، (١٩٧١). ديوان العجاج، تحقيق: عزّة حسن، (د.ط)، بيروت، مكتبة دار الشرق، ص٩٤.

(2) الزبيدي، تاج العروس، مادة (حزب)، وقال الزبيدي: أغفله صاحب لسان العرب والصحاح.

(3) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (حزب).

(4) الزبيدي، تاج العروس، مادة (حزب)، ولم أجده في الصحاح، (مادة حزب).

(5) الطبري، تفسير الطبري، م٧، ج١٣، ص١١٠ – الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٠، ج١٩، ص٤٨ – القرطبي، تفسير القرطبي، م٥، ج٩، ص٣٢٦.

والنصارى) في أمر عيسى عليه السلام[١]. وكما في قوله تعالى: M T U V W Y Z [\ ] ^ _ L الزخرف/ ٦٥. وقالوا: (الأحزاب) هم طوائف من المشركين من (قريش وغطفان واليهود) اجتمعوا لحرب المسلمين[٢] فكانت غزوة الأحزاب التي جاءت سورة في القرآن نسبة إلى هذه الغزوة: قال تعالى: M يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ L الأحزاب/ ٢٠.

وقال تعالى: Mوَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ L الأحزاب/ ٢٢ واختلف في (الأحزاب) في بعض الآيات التي ذكرت فيها فقيل: هم الذين تحزبوا على النبي من مشركي قريش، وغطفان واليهود، وقيل في الأحزاب في الآيات نفسها هم الكفار من القرون الماضية، وهي مبالغة لوصفهم بالقوة والكثرة[٣]. بل إن القائل نفسه – أحياناً- تختلف أقواله: (قال مجاهد: هم قريش. وقال: هم القرون الماضية)[٤] وذلك في قوله تعالى: Mجُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ ´ µ L ص/١١ وقوله تعالى: Mوَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ L ص/ ١٣.

وهكذا يتبيّن أن المفسرين أوردوا للأحزاب معاني عدة، وكذلك فقد عدت كتب الوجوه والنظائر الأحزاب من هذا الباب، فأوردت لها أربعة وجوه تختلف نوعاً ما عما أوردته كتب التفسير، فقالوا: هم بنو أمية وبنو المغيرة وآل طلحة بن عبد العزى، وقالوا: هم فرق النصارى الذين اختلفوا في عيسى فظهرت بذلك النسطورية واليعقوبية والملكانية، وقالوا: هم كفار قوم نوح وعاد وثمود إلى قوم شعيب وفرعون، وقالوا: الأحزاب تعني: أبا سفيان في قبائل العرب واليهود حيث تحزبوا على النبي عليه الصلاة والسلام يوم الخندق[٥]. وحددت لكل معنى الآيات التي تحمل ذلك المعنى.

---

(1) الطبري، تفسير الطبري، م٨، ج١٦، ص٦٥، الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١١، ج٢١، ص١٨٨ وم١٤، ج٢٧، ص١٩١- القرطبي، تفسير القرطبي، م٨، ج١١، ص١٠٨ و م٨، ج١٢، ص١٠٩.

(2) القرطبي، تفسير القرطبي، م٧، ج١٤، ص١٥٧.

(3) الطبري، تفسير الطبري، م١٠، ج٢٣، ص٨٢/ ٨٣ – الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٣، ج٢٦، ص١٥٨/ ١٥٩ – القرطبي، تفسير القرطبي، م٨، ج١٥، ص١٥٣-١٥٥.

(4) الطبري، تفسير الطبري، م١٠، ج٢٣، ص٨٢.

(5) انظر: الأزدي، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص١٥٧/ ١٥٨.

وبعدُ فإن الأحزاب أيّــاً كان معناها في القرآن مما أوردته كتب التفسير، فإنها كانت عَلَماً على كل جماعة أو طائفة وقفت في وجه النبي الذي بعث في زمانها فحاربته وقاتلته، وهي من قال عنها رب العزة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ المجادلة/ ١٩، فبعد أن كانت (الأحزاب) عامة تطلق على أصحاب الرجل، أي رجل كانوا على رأيه وأمره، أصبحت في القرآن خاصة (بالطوائف والجماعة التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم السلام)[١] كلٌّ في زمانه، وهذا معنى ما أورده صاحب التاج في (الأحزاب)، (وهو إطلاق شرعي)[٢]؛ أي مرتبط بأمر التألب والتظاهر على أنبياء الله فقط، من هنا كان (الأحزاب) مصطلحاً قرآنياً جديداً مشتقاً من المعنى اللغوي الأصلي، لكنه خصِّصَ في السياق القرآني بعد أن كان عاماً.

الحاقــة

وردت لفظة الحاقة ثلاث مرات في ثلاث آيات متتاليات في سورة واحدة سُميت بالحاقة، يقول تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ الحاقة ٣/٢/١.

والحاقة في اللغة من حقق، وحَقَّ الشيءُ يَحِق حقّاً: وَجَبَ وُجوباً، والحق نقيض الباطل، والحَقَّةُ والحِقَّةُ من الحق والحَقَّة كأنها أخصُّ وأوجب، تقول هذه حَقَّتي أي حَقِّي، وحَقيقة الرجل: ما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته[٣]. وحقَّ الأمر يَحِقُّ ويَحُق حَقاً وحُقُوقاً: صار حقاً وثبت[٤]، إذا وَضحَ فلم يكن فيه شك. وأحقَقتُه إحقاقاً[٥]: أي أحكمتهُ وصححتُه، ويحُق عليك أن تفعل: أي يجب[٦]، قال الأعشى:

لَمحَقوقَـــةٌ أن تـــستجيبي لِـــصَوْتِـــهِ   وأن تعلمـــي أن المُعَـــــانَ مُوَفّـــق[٧]

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حزب).

(2) الزبيدي، تاج العروس، مادة (حزب).

(3) الفراهيدي، العين، مادة (حقق).

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حقق).

(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (حقق).

(6) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حقق).

(7) الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص٢٧٣.

والحق: الصدق واليقين بعد الشك وجمعه حُقوق وحِقاق. والتّحاق: التخاصم. والاحتقاق: الاختصام، ويقال مالي فيك حق ولا حِقاق: أي خصومة[(١)].

وردت كلمة الحق بهذا المعنى في الشعر الجاهلي، قال زهير:

فإن الحقَّ مقطعُه ثلاثٌ يمينٌ أو نِفَارٌ أو جِلاَءُ[(٢)]

وقال لبيد:

أنكرتُ باطِلَها وبُؤْتُ بحقِّها عندي ولم يَفْخر عليّ كِرَامُهَا[(٣)]

والحاقة: النازلة التي حقّت فلا كاذبة لها[(٤)]، والحاقة: الداهية، قال الزجاج: الساعة والقيامة، سُميت حاقة؛ لأنها تَحُق كلَّ إنسان من خير أو شر. قال الفراء: سُميت الحاقة لأنّ فيها حَوَاق الأمور والثواب. والحقّة: حقيقة الأمر، وقال: والعرب تقول: لمّا عرفتُ الحقّة مني هربت، والحقّة والحاقة بمعنى واحد[(٥)].

كما جعلت معاجم اللغة (الحاقة) اسماً من أسماء القيامة، وسارت كتب التفسير على النهج نفسه، فقد عدّتها اسماً من أسماء القيامة، (الحاقة من أسماء يوم القيامة؛ لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد)[(٦)] وقال صاحب (في ظلال القرآن) في الحاقة: (القيامة ومشاهدها وأحداثها تشغل معظم هذه السور، ومن ثم تبدأ السورة باسمها، وتُسمى به، وهو اسم مختار بجرسه ومعناه؛ فالحاقة هي التي تحق فتقع، أو تحق فتنزل بحكمها على الناس، أو تحق فيكون فيها الحق)[(٧)]، و(الحاقة هي القيامة، وسميت الحاقة؛ لأنها تحق أي يصح وجودها ولا ريب في وقوعها؛ ولأنها حقّت لكل أحد جزاءَ عمله أو لأنها تبدئ حقائق الأمور)[(٨)].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حقق).
(2) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٧٥ النفار: أي يتنافرون إلى الحاكم (رجل يحكم بينهم) والجِلاء: أن ينكشف الأمر وينجلي.
(3) العامري، ديوان لبيد بن ربيعة، ص٣١٨.
(4) الفراهيدي، العين، مادة (حقق).
(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حقق).
(6) ابن كثير، تفسير ابن كثير، م٧، ص٩٩.
(7) قطب، في ظلال القرآن، م٦، ج٢٩، ص٣٦٧٧.
(8) ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، م٢، ج٤، ص١٤١.

وبعد، فإن الحاقة صفة من صفات يوم القيامة وليست اسماً من أسمائها؛ وبخاصة أن في القرآن سورة اسمها (القيامة). ولم يعرف العرب في جاهليتهم الحاقة كصفة من (صفات القيامة)[١]، بما حملت هذه اللفظة من معاني الصدق والثبات والوجوب والإحكام واليقين، ولذا فإنها مصطلح قرآني جديد الدلالة.

الحلف والقسم

الحَلْفُ والقَسَمُ من الألفاظ التي عدتها معاجم اللغة مترادفة، وهي كذلك أيضاً عند الشعراء في العصر الجاهلي، إلا أنها ليست كذلك في القرآن الكريم.

وردت مادة (حَلَفَ) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاث عشرة آية، عَشْرٌ منها بصيغة (يحلفون) وواحدة لكل من: (حلفتم، لِيَحْلِفُن، حلاّف)

والحَلْفُ والحَلِفُ لغتان في القسم، الواحدة حَلْفَة[٢]، قال النابغة:

فإن كنتُ لا ذو الضِّغْنِ عني مكــذَّبٌ ولا حَلِفِـــي علـــى البـــراءة نـــافع[٣]

ورجلٌ حلاّف وحلاّفة، كثير الحلف، وحَالَف فلانٌ فلاناً، فهو حليفُه وبينهما حِلف؛ لأنهما تحالفا بالأيمان أن يَفِي كلٌّ لكل[٤].

وحَلَفَ: أقسم يَحْلِف حَلْفَاً وحِلْفاً وحَلِفاً ومَحْلوفاً[٥]، قال امرؤ القيس:

حَلفــتُ لهـــا بـــالله حَلْفَـــةَ فـــاجرٍ لناموا فما إنْ مِنْ حــديثٍ ولا صـــالِ[٦]

وقال زهير بن أبي سلمى:

فَمن مُبْلِغُ الأحلافِ عنـــي رسالـــــةً وذُبيـــانَ هل أقسمتـــمُ كـــلّ مَقْـــسَـــمِ[٧]

---

(1) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٣٦٤.
(2) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، مادة (حلف).
(3) الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، ص٣٧.
(4) الفراهيدي، العين، مادة (حلف).
(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حلف).
(6) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، ص٣٢. لناموا: لقد ناموا. صال: المستدفئ بالنار.
(7) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١٨.

قال ابن سيده: الحِلْفُ: العهدُ؛ لأنه لا يُعْقَدُ إلا بالحَلْفِ، والجمع أحلاف[1]، قال أبو ذؤيب:

فسوف تقولُ إنْ هــي لــم تجــدني: أخــانَ العهــدَ أم أَثِــمَ الحليــفُ[2]

قال ابن الأثير: وأصْل الحِلْف: المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفــاق، فمــا كان منه في الجاهلية على الفِتن والقتال بين القبائل والغــارات، فــذلك ورد النهــي عنــه فــي الإسلام[3]. وقد سمَّت العرب حُليفاً وحَليفاً[4].

تلك هي معاني مادة (حلف) التي عرفتها العرب، وقد عَرَفت (الحَلْف) بمعنى القسم ســواءٌ على الكذب أو الصدق. أما في القرآن فبالنظر إلى الآيات التي ورد فيها الحلف يتبين أن الحَلْــف هو اليمين في حال الكذب، وسأعرض هنا بعضاً من تلك الآيات:

يقول تعالى في المنافقين الذي تخلفوا ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غــزوة تبــوك: M > ? @ A B C D E F G H I L التوبة/٤٢.

ويقول تعــالى: M X Y Z [ ] ^ _ ` a b c d e f L التوبــة/٩٦. وقــال تعــالى: M d e f g h L المجادلة/١٤. وقال تعالى: M وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ L القلم/١٠.

أما القَسَمُ، فهو من قَسَمَ يَقسِم قَسْماً وقَسَمَاً وقِسْمَةً، وهي مصدر الاقتسام، والقِسْم: الحظ من الخير ويُجمع على أقسام. والقَسَمُ: اليمين ويجمع على أقسام، والفعل: أقسم، وأقسم بالله واسْتَقسَمَه وقاسمه: حلف له، وتقاسم القوم: تحالفوا، وأقْسَمَتُ: حلفت، وأصله من القَــسَامة، فــي حــديث الحسن: القَسَامة جاهلية؛ أي كان أهل الجاهلية يدينون بها[5]. جــاء فــي الجمهــرة: القَــسَامة: الجماعة من الناس يشهدون أو يحلفون على الشيء، وسُمُّوا قسامة لأنهم يقسمون على الشيء أنه

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حلف).
(2) الدار القومية للطباعة والنشر، ديوان الهذليين، ج١، ص٩٩.
(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حلف).
(4) الفراهيدي، العين، مادة (حلف).
(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قسم).

كذا وكذا أو لم يكن، وسَمّت العرب: قاسِماً وقسّاماً وقسيماً ومُقَسِّماً ومِقْسَماً[١]. وعرفت العــرب: حصاة القسم، قال الليث: كانوا إذا قلّ عليهم الماء في الفلوات عمدوا إلى قَعْب، فألقوا حصاة فـي أسفله، ثم صبوا عليه من الماء قدر ما يغمرها وقُسِم الماء بينهم على ذلك. وعرفوا: الاستقـسام بالأزلام، قال الزجاج: وهي سهام كانت لأهل الجاهلية مكتوب على بعضها أمرني ربي، وعلـى بعضها: نهاني ربي، فإذا أراد الرجل سفراً أو أمراً ضرب تلك القداح، فإذا خرج الـسهم الـذي عليه نهاني ربي لم يمضِ في أمره، فأعلم الله عز وجل أن ذلك حرام[٢].

هذه هي معاني مادة (قسم) ومشتقاتها عند العرب، ولم يفرق العرب في الاستعمال بينه وبين (حلف) إلا أن القسم في القرآن الكريم هو اليمين الصادق، وذلك من خلال النظـر فـي الآيات التي ذُكر فيها، وهي ثلاث وثلاثون آية، يقول تعـالى: BM C D E F G H I J L البلد/١-٢ ويقول تعالى: M _ ` a b L القيامة/٢ ويقول تعالى: %M & ' ( ) * + , - . L القلم/ ١٧ ويقـول تعالـى: Mفَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ L الواقعـة/ ٧٥-٧٦. وقوله تعالى: cM d e f g h i j k L الروم/٥٥ وقـال تعالى: M وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ L الأعراف/٢١

فأولئك الناس في آية (٥٥) من سورة الروم صادقون في قسمهم حسب اعتقـادهم، وكـذا الشيطان صادق في آية (٢١) من سورة الأعراف فهو صادق في نيته هو.

إذن، لقد فرّق القرآن بين الحلف والقسم، وخصَّص دلالتهما، فاستعمل الحلف في معـرض اليمين الكاذب، والقسم في معرض الصدق الصُّراح، وغالباً ما جاء القسم مـسنداً إلـى الله عـز وجل[٣]، فكانا بذلك مصطلحين قرآنيين جديدين بدلالتهما التي خصصهما بها القرآن الكريم، ولم يكونا كذلك في الشعر الجاهلي.

---

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (قسم).

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قسم).

(3) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٥١٤.

الركوع

جاءت مادة (ركع) ومشتقاتها في ثلاث عشرة آية، وهي: (اركعي، راكعاً، راكعون، الراكعين، الرُّكع، ركعاً).

رَكَعَ يَرْكعُ رَكْعاً وركوعاً: طأطأ رأسه، ورَكع الشيخ: انحنى من الكبر، وكل شيء ينكبُّ لوجهه فتمسُّ ركبتُه الأرضَ، أولا تمسُّها بعد أن يطأطئ رأسه، فهو راكع[١]، قال لبيد:

أُخَبِّر أخبارَ القرون التي مَضَتْ   أَدِبُّ كأني كلما قمتُ راكعُ[٢]

قال صاحب التاج: وهو أصل معنى الركوع، ومنه أخذ ركوع الصلاة[٣]. وفي الجمهرة، الراكع: الذي يكبو على وجهه، ومنه الركوع في الصلاة[٤]، قال بشر بن أبي خازم:

وأَفْلَتَ حاجبٌ فوتَ العوالي   على شقّاء تركع في الظِّراب[٥]

ومن المجاز، الركوع: الخضوع، ومن المجاز أيضاً: ركع الرجل: إذا افتقر بعد غنى وانحطت حاله[٦].

كانت العرب في الجاهلية تسمي الحنيف راكعاً؛ إذ لم يعبد الأوثان، وتقول: ركع إلى الله[٧]، قال النابغة الذبياني:

سيبلغ عذراً أو نجاحاً من امرئ   إلى ربه رب البرية راكع[٨]

---

(1) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (ركع).

(2) العامري، ديوان لبيد بن ربيعة، ص١٧١.

(3) الزبيدي، تاج العروس، مادة (ركع).

(4) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (ركع).

(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (ركع) وفي ديوان الأسدي، بشر بن أبي خازم، ص٢٣:

وأفلتَ حاجبٌ تحت العوالي   على مِثْلِ المولّعةِ الطَّلُوبِ

يصف ابن أبي خازم هروب حاجب بن زرارة مسرعاً، بعقاب تنقض مسرعة على صيدها.

(6) الزبيدي، تاج العروس، مادة (ركع).

(7) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ركع).

(8) الزبيدي، تاج العروس، مادة (ركع)، ولم يرد في ديوان النابغة.

وهذا يدل على أن العرب قبل الإسلام عَرفت طرفاً في معنى الركوع الذي كان بعد نزول القرآن، الذي أصبح مصطلحاً قرآنياً خاصاً بركوع الصلاة المتمثل بأن يخفض المصلي رأسه بعد قومة القراءة حتى تنال راحتاه رُكبتيه، أو حتى يطمئن ظهرُه، قدّره الفقهاء بحيث إذا وُضع على ظهره قَدَحٌ ملآن من الماء لم ينسكب[١].

فالركوع في القرآن، هو الخضوع والخشوع والتذلل بين يدي الله تعالى، يقول تعالى: M - . / 0 1 2 3 4 L الفتح/ ٢٩. وقال تعالى: M ¶ ¸ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ L ص/ ٢٤.

وبَعدُ، فإن الركوع قد تطور معناه (منذ العصر الجاهلي من الانحناء المادي إلى الخضوع والانكسار، ثم تطور مرة أخرى إلى معنى القيام بهيئة الصلاة)[٢] وبهذا (يُعد من المصطلحات التي خصص القرآن الكريم دلالتها، بعد أن كانت عامة في معنى الخشوع والانكسار أمام ظروف الحياة المختلفة)[٣].

السبت

وردت لفظة (السبت) وما يشتق منها في القرآن الكريم تسع مرات، خمس مرات بلفظة (السبت)، وهي كالآتي:

- قال تعالى: M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d L البقرة/٦٥.
- وقال تعالى: M T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k L النساء:٤٧.
- وقال تعالى: Mوَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا L النساء/١٥٤.

---

(1) الزبيدي، تاج العروس، مادة (ركع).

(2) أبو عودة، التطور الدلالي، ص١٩٢.

(3) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

- وقال تعالى: M } | { ~ كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ © يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ L الأعراف/١٦٣.

- وقال تعالى: M c d e f g h i L النحل/١٢٤.

والسبت في معاجم اللغة، مِنْ (سَبَتَ، يَسْبُتُ ويَسْبِتُ اليهوديُّ: أي يتخذُ السبتَ عيداً، والسُّبَات: ابتداء النوم في الرأس حتى يبلغ إلى القلب، والمريض يَسْبُتُ سَبْتاً فهو مسبوت، والسُّبات من النوم: شبه غَشْيَة، وسَبَتَ رأسه: إذا جزّه مستأصلاً، والسَّبت والسُّبات، برهة من الدهر، وقيل: الدهر)[١]، قال لبيد:

وغَنِيتُ سَبْتاً قبل مُجْرَى داحسٍ لو كان للنَّفس اللَّجوج خلودُ[٢]

(والسَّبْتُ: الجريء المقدم، والسَّبت: الراحة، وسَبَتَ يسبُتُ سَبْتاً: استراح وسكَن، والسَّبتُ" القطع M ? @ A L أي قِطَعاً، وقَطْعاً لأعمالكم؛ فكأنه إذا نام انقطع عن الناس.

والسَّبت: من أيام الأسبوع، وإنما سُمي السابع من أيام الأسبوع سبتاً؛ لأن الله تعالى ابتدأ الخلق فيه، وقطع فيه بعض خلق الأرض، وقيل: إنما سُمي سبتاً، لأن ابتداء الخلق كان من يوم الأحد إلى يوم الجمعة، ولم يكن في السبت شيء من الخلق، قالوا: فأصبح يوم السّبت منسبتاً، أي قد انقطع العمل فيه. كما قيل: سُمِّي بذلك لأن اليهود كانوا ينقطعون في العمل والتصرف. سَبَتُوا تَسْبُتون ويَسْبُتُون وأسْبَتُوا: دخلوا في السبت وكذا الإسبات، وجاء في المحكم: لا يُعْلَمَ في كلام العرب: سَبَتَ بمعنى استراح، وإنما معنى سَبَتَ: قَطَعَ. ولا يوصف الله عز وجل بالاستراحة؛ لأنه لا يتعب، والراحة لا تكون إلا بعد تعب وشغل، قال: اتفق أهل العلم على أن الله تعالى ابتدأ الخلق يوم السَّبت، ولم يخلق يوم الجمعة سماءً ولا أرضاً. والسّبت: ضرب من السير السريع، فرسٌ سَبْتٌ: جواد كثير العدو، وقيل: بعير سَبُوت، إذا سار تلك السِّيرة[٣].

---

(1) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (سبت).
(2) العامري، ديوان لبيد بن ربيعة، ص٣٥، غنيت: عِشْتُ وداحس: فرس، اللجوج: العاصية.
(3) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (سبت).

والسبت في كتب التفسير، لا يختلف عنه في معاجم اللغة، فقالوا: هو القطع، وقالوا: السبت مأخوذ من السَّبتِ وهو القطع، وقيل مأخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدَّعة، وقيل هو اليوم المعروف في الأسبوع، وسَبت يَسبُتُ" إذا عظّم السبتَ[١]، M إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ © يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ L، أي يوم تعظيمهم أمر السبت[٢]، إذ نهى الله اليهود عن العمل في هذا اليوم[٣]، قال ابن عباس ومجاهد: إن اليهود أُمروا باليوم الذي أُمرتم به (يوم الجمعة)، فتركوه واختاروا السبت، فابتلاهم الله به وحرّم عليهم الصيد فيه، وأمروا بتعظيمه، فإذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر، فإذا انقضى السبت ذهبت، وما تعود إلا في السبت المقبل، وذلك بلاء ابتلاهم الله به[٤].

أقول: لقد عرفت العرب مادة (سبت)، وعرفت (السبت) أصلاً بمعنى القطع والراحة. واستعملته بمعانيه المتعددة التي أطلقتها عليه كما تبيّن سابقاً، وجاء القرآن الكريم، فاستعمل هذه اللفظة بالمعنى نفسه الذي هو يوم من أيام الأسبوع، وحملت معنى القَطْع والراحةِ إذ ارتبطت في القرآن الكريم بحادثة ابتلاء اليهود بهذا اليوم الذي طلبته عيداً لها بدل الجمعة، فابتلاهم الله (بالحيتان تكثر يوم السبت، وتختفي في غيره، فكان ابتلاء لم تصمد له يهود) [٥] فاعتدوا في هذا اليوم، واحتالوا لاصطياد الحيتان، فوضعوا لها الحبائل والبرك قبل يوم السبت، فإذا جاءت كعادتها يوم السبت علقت بتلك الحبال، فبقيت فيها حتى إذا كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت، فمسخهم الله قردة خاسئين[٦]، إذ انتهكوا حرمة الله ومردوا على المعصية[٧].

من هنا، فالسبت مصطلح قرآني جديد، بدلالته التي ارتبطت باليهود خاصة، صحيح هو يوم من أيام الأسبوع، وهو للناس جميعاً، إلا أن الناس في الواقع دوماً تربط هذا اليوم باليهود، كما تربط

(1) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٦، ج١١، ص٢٧٦، القرطبي، م١، ج١، ص٤٤٠، وم٥، ج١٠، ص١٩٩.
(2) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٨، ج١٥، ص٣١.
(3) الطبري، تفسير الطبري، م١، ج١، ص٢٦٢، الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٦، ج١١، ص٧٦، تفسير القرطبي، القرطبي، م٤، ج٧، ص٣٠٥.
(4) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٨، ج١٥، ص٣١-٣٢.
(5) قطب، في ظلال القرآن، م١، ج١، ص٧٦.
(6) ابن كثير، تفسير ابن كثير: م١، ص١٨٣.
(7) انظر: الطبري، تفسير الطبري، م٥، ج١٠، ص٢٦٢.

يوم الأحد بالنصارى، ويصدق هذا، ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فُرض عليهم، فاختلفوا فيه فهدانا الله؛ فالناس لنا تَبَع، اليهود غداً والنصارى بعد غدٍ"(١) بل ويصدقه أكثر، أن القرآن الكريم يدل دلالة قاطعة على أن السبت مرتبط باليهود وفعلهم فقال: (أصحاب السبت).

فالسبت في القرآن، عَلَم على اليوم الذي خالفت فيه يهود – لعنها الله- في ذلـك الزمـان وإلى الآن، أمر ربها؛ لأنه من عقيدتهم وبهذا كان مصطلحاً قرآنياً جديداً.

الأسباط

جاء ذكر (الأسباط) في التنزيل العزيز أربع مرات، في أربع آيات في ثلاث سور، وهي كالآتي:

- يقول تعالى: M 6 7 8 9 : ; > = < > ? @ L البقرة ١٣٦.
- ويقول تعالى: M أَمْ تَقُولُونَ ©إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ L البقرة/١٤٠.
- وقال تعالى: M ' ( ) (* + , - . L آل عمران/٨٤.
- وقوله تعالى: M - . / 0 1 2 3 L النساء/ ١٦٣.

وذكرت مرة واحدة بصيغة (أسباطاً) قال تعالى: M ! " # $ % L الأعراف/١٦٠.

والأسباط في معاجم اللغة، (جمعٌ مفرده سَبَط وسِبْط وسَبْط، والأصل اللغوي له أنه نبات ينبت في الرمال له طول، والواحدة: سَبَطة، قال العجاج يصف ثوراً:

---

(1) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، (د.ت). متن البخاري، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار المعرفة، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، م١، ص١٥٧.

أجـــرَد ينفـــي عُـــــذْرَ الأسْبَـــــاط   فبــــات وهــــو ثابـــتُ الربــــاط[١]

واستُعمل السَّبْط صفة للأصابع، فقيل: سَبْطُ الأصابع: أي طويلها، واستعمل مجازاً فقيل: سَبْط اليدين: أي سَخي سمح الكفين، قال حسان:

رُبّ خــــالٍ لــــي، لـــو ابْـــصَـرْته   سَبِــط الكفــين فــي اليــوم الخَــصِر[٢]

والسَّبْط: الشعر لا جعودة فيه. وقيل: السِّبط ولد الولد، وقيل: ولد البنت، وقيل: ولد الابن والابنة، وفي الحديث: "الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٣] ومعناه طائفتان وقطعتان منه. قال أبو العباس: سألت ابن الأعرابي: ما معنى السَّبْط في كلام العرب؟ قال: السِّبط والسِّبطان والأسباط خاصة الأولاد والمُصّاص منهم.

ثم أَخَذَتِ السِّبط بعداً آخر، ففي الحديث: "حسين سِبْط من الأسباط"[٤] أي أمة من الأمم في الخير، ومنه الحديث: "إن الله سبحانه لعن أو غَضِبَ على سِبط من بني إسرائيل، فمسخهم دوابَّ يدبون في الأرض، فلا أدري لعل هذا منها فلست آكلها ولا أنهى عنها"[٥]، والسِّبط من اليهود كالقبيلة من العرب، وهم الذين يرجعون إلى أبٍ واحد، وقد سُمي سِبطاً ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق)[٦]. قيل في يهود المدينة، بني قريظة وبني النضير:

---

(1) ابن رؤبة، ديوان العجاج، ص٢٥٢، وأجرد: لا ينبت فيه شيء، والسَّبط: نبت.

(2) ابن ثابت، حسان، (د.ت). ديوان حسان، تحقيق: عبدالرحمن البرقوقي، (د. ط)، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ص٢٠٤.

(3) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد، (١٩٧٩). النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزادي ومحمود محمد الطناحي، (ط٢)، (د.م)، دار الفكر، م٢، باب السين مع الباء، ص٣٣٤.

(4) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (١٩٧٩)، (ط١)، م٣، ص٢٢٩، رقم الحديث (١٢٢٧).

(5) النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الضب، ج١٣، ص١٠٣، رقم الحديث (٥٠١٨).

(6) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (سبط)

حنقـــاً علـــى سِـــبطين حـــلاّ يثربـــا   أولـــى لهـــم بعقـــاب يـــومٍ ســـرمد[١]

جاء في الجمهرة: (غلط العجاج أو رؤبة حين وصف ثوراً وحشياً، فقال:

كأنـــــه ســـــبط مـــــن الأســـــباط   بـــين حـــوامي هيـــدبٍ سَقَّـــاطِ[٢]

فأراد بالسِّبط رجلاً وهذا غلط) [٣].

لقد اتفقت كتب التفسير على أن الأسباط في القرآن تعني ولد يعقوب الاثني عشر، إذ ولـد كل رجل منهم أمة من الناس فسُمُّوا أسباطاً[٤].وانفرد القرطبي بإشارة لم يذكرها غيـره وأعتقـد أنها ليست من الصحة في شيء فيقول: "وسُمُّوا الأسباط من السَّبْط وهو التتـابع وهـم جماعـة متتابعون"[٥]، وقد بحثت في المعاجم على أن أجد هذا المعنى للسَّبْط فلم أجده إلا عنـد القرطبـي وحده وهذه الإشارة لا تضيف شيئاً لمعنى السَّبط.

وبعدُ؛ فالأسباط مصطلح قرآني جديد، خصصه القرآن الكريم بولد يعقوب بن إسحاق عليهما السلام، ويمكن القول: إنه مشتق من المعنى اللغوي الأصلي للسَّبط الذي هو نبت في الرمـال لـه طول، (وكأن إسحاق بمنزلة شجرة وإسماعيل بمنزلة شجرة أخرى والأولاد أغصان الشجرة) [٦].

فالأسباط إذن، أينما ذُكر في القرآن فهو مصطلح يدل على أولاد يعقوب الاثني عشر.

وفي الوقت الذي كنت أتساءل فيه عن سبب الربط بين الأسباط والعدد الاثني عشر في آية سورة الأعراف التي تتحدث عن قوم موسى، إذ يقـول تعـالى: M ! " # $ % ... L الأعراف: ١٦٠ وليس لها صلة بولد يعقوب الاثني عشر، وتوصلت إلى قناعة بـأن

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سبط).

(2) ابن رؤبة، ديوان العجاج، ص٢٥٢، حوامي: نبات، وهيدب: ليس بذي ورق، وسقاط: الساقط قد بلـغ الأرض.

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (سبط).

(4) الطبري، تفسير الطبري، م١، ج١، ص٤٤٢ – الفخـر الـرازي، التفـسير الكبيـر، م٢، ج٤، ص٧٥ – القرطبي، تفسير القرطبي، م١، ج٢، ص١٤١.

(5) القرطبي، تفسير القرطبي، م١، ج٢، ص١٤١.

(6) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (سَبَطَ).

الأسباط مرتبطة بهذا العدد، ولا يقال لما يَقِل عنه أو يزيد أسباطاً، فإذ بـي أقـف علـى قـول لصاحب في ظلال القرآن، في معرض تفسيره لقوله تعالى: M K L M N O P Q R T U V W X Z [\ ] ^ L البقرة/٦٠، يقول: "فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدة أسباط بني إسرائيل، وكانوا يرجعون إلـى اثني عشر سبطاً بعدة أحفاد يعقوب، وهو إسرائيل الذي ينتسبون إليه، وأحفاد إسرائيل أو يعقوب هم المعروفون باسم الأسباط، والذي يرد ذكرهم مكرراً في القرآن، وهـم رؤوس قبائـل بنـي إسرائيل، وكانوا ما يزالون يتبعون النظام القبلي، الذي تنسب فيه القبيلة إلى رأسـها الكبيـر)[1]. وهذا القول في الظلال يؤكد أكثر فأكثر ارتباط لفظة (الأسباط) في القرآن بولد يعقـوب الاثنـي عشر، حتى أصبحت مصطلحاً قرآنياً علماً عليهم.

السجود

وردت لفظة (السجود) في ست آيات كريمات، يقـول تعـالى: Mأَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ L البقـرة/ ١٢٥. ويقـول تعـالى: M P Q R S T U L الحج/٢٦. ويقـول تعـالى: M 6 7 8 9 : ; L الفتح/٢٩. وقال تعالى: M Z [\ ] ^ L ق/٤٠. وقوله تعـالى: M ï يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ ô ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ L القلم:٤٢. وقـال تعـالى: M & ' ( ) * + , L القلم/ ٤٣.

ووردت مشتقات السجود في القرآن في ثمانٍ وسبعين آية، أذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر قوله تعالى: M ! " # $ % & ' L الأعراف/١٢.

وقوله تعالى: M % & ' ( ) * + L التوبة/١١٢.

(1) قطب، في ظلال القرآن، م١، ج١، ص٧٤.

والسجود في أصل اللغة من (سَجَد يسْجُد سجوداً: إذا انحنى وتطامن إلى الأرض، وأسْجَد الرجل: طأطأ رأسه وانحنى، والإسجاد: إدامة النظر مع سكون، ونخلة ساجدة: إذا أمالها حملها)(١).

وإن كان أصل الركوع طأطأة الرأس والانحناء كالسجود، إلا أن السجود فيه زيادة في الانحناء حتى يضع المرء جبهته بالأرض. ومنه قالوا: سجد البعيرُ، قال الحطيئة:

بها العِين يَحْفِرنَ الرُّخامى كأنها نصارى على حين الصلاة سُجُودُ(٢)

وهذا المعنى من المعاني التي عرفها العرب في جاهليتهم.

وفي الحديث: "كان كسرى يسجد للطالع"(٣)

كما عرف العرب السجود بمعنى التحية، قال الأعشى يمدح قيس بن معد يكرب:

فلما أتانا بُعَيْدَ الكرى سَجَدْنَا له ورَفَعْنَا عَمَارا(٤)

وعرفوا السجود للملك، تعظيماً وطاعة، أو خوفاً من فارس شجاع، يقول عمرو بن كلثوم:

إذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ تَخِرُّ له الجبابر ساجدينا(٥)

وهذه المعاني كلها مجازية تطورت عن المعنى الحقيقي الذي هو الانحناء والتطامن إلى الأرض. إن السجود في القرآن الكريم لا يختلف عن السجود في الجاهلية من حيث الهيئة، إنما يختلف من حيث العقيدة؛ فالسجود في الجاهلية كان عاماً لملك أو عظيم أو فارس، طاعة أو تحية أو خوفاً، (أما السجود في القرآن الكريم فقد ورد بمعناه الحقيقي الانحناء ووضع الجبهة على الأرض، كقوله تعالى: ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ الأعراف/١٢٠.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سجد).

(2) الحطيئة، جرول بن أوس، (١٩٥٨)، ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان أمين طه، (ط١) مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص٣٦٣، والعين، البقر، يحفرن: يأكلن، والرّخامى: نبت في البلاليق وهو الرمل.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سجد)، ولم يرد الحديث في كتب الأحاديث، والطالع: السهم الذي يجاوز الهدف من أعلاه.

(4) الأعشى، ديوان الأعشى، ص١٠١. عمارا: رفع الأيدي بالريحان تحية للملوك.

(5) الزوزني، أبو عبدالله الحسين، (١٩٨٥). شرح المعلقات السبع، (ط٥)، بيروت، مكتبة المعارف، ص١٨٧.

ثم بمعناه المجازي، الذي استعملته العرب، لكن القرآن الكريم خصصه بعد أن كان عاماً فأصبح السجود الانحناء والتطامن إلى الأرض خضوعاً وطاعة لرب العباد، بل وأصبح ركناً من أركان الصلاة كالركوع تماماً، وبهذه المعاني الجديدة أصبح السجود مصطلحاً قرآنياً جديداً.

يقول تعالى: Mيَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ © وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ L آل عمران/١١٣.

ولا بد من الإشارة إلى أن السجود أسند في القرآن إلى العديد من خلق الله غير الإنسان، كالملائكة والشمس والقمر والنجم والشجر، وكل من وما في السماوات والأرض، ولا أحد يعرف هيئة سجود هذه المخلوقات، إلا أن السجود المسند إليها لا بد هو سجود طاعة وخضوع(1).

الصابئون

جاء ذكر (الصابئون) في القرآن ثلاث مرات، في ثلاثة مواضع، مرة في حال الرفع (الصابئون)، قال تعالى: M إِنَّ © ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ´ µ ¶ ¸ خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ L المائدة/٦٩.

ومرتين في حالة النصب، قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 L البقرة/٦٢.

وقال تعالى: M + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A L الحج/١٧.

والصابئون في معاجم اللغة من: (صَبَأَ، يُقال: صَبَأَ نابُ البعير: إذا طلع حدُّه وخرج، وصَبَأَتَ ثنية الغلام: طلعت، صَبَأَ النجم والقمر يصبأ: إذا طلع، قال الشاعر يصف قحطاً:

وأَصْبَأَ النجمُ في غبراء كاسفةٍ كأنه بائسٌ مُجتَابُ أخلاقِ(2)

---

(1) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص١٩٣/١٩٤.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صبأ).

قال ابن الأعرابي: صَبَأ عليه: إذا خرج عليه ومال عليه بالعداوة. ومنه: صَبَأ، يَصْبَأ، ويَصْبُؤُ: خرج من دين إلى دين آخر كما تصبأ النجوم: أي تخرج من مطالعها، قال أبو عبيدة: وكانت العرب تسمي من يدخل في دين الإسلام مَصْبُوًّا؛ لأنهم كانوا لا يهمزون، وسَمَّوا المسلمين الصُّبَاة (بغير همز)، كأنه جمع (صابي) غير مهموز.

ويُقال: صَبَأ فلان: أي دان بدين الصابئين، وهم قوم دينهم شبيه بدين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مَهَب الجنوب وحيال منتصف النهار، يزعمون أنهم على دين نوح وهم كاذبون، منسوبون إلى صابي بن لاحك أخي نوح وهو اسم أعجمي، وقيل عربي: من صَبَأ مهموزاً: إذا خرج من دين إلى دين، أو من صَبَا معتلاً: إذا مال لميلهم من الحق إلى الباطل. قال البيضاوي: قيل هم عبدة الملائكة، وقيل: عبدة الكواكب. والصابئون والصابئين في القرآن: الخارجون من دين إلى دين)[١].

لم يخرج المفسرون عما جاءت به كتب المعاجم، إلا ببعض التفصيلات التي هي أقرب إلى الفقه في أمر (الصابئين). كما تحدثوا عمن هم الصابئون؛ فجاء في تفسير الطبري: (قال أبو جعفر: الصابئون جمع (صابي)؛ وهو المستَحْدِث ديناً غير دينه كالمرتد من أهل الإسلام عن دينه. وكل خارج من دينه كان عليه إلى آخر غيره تسميه العرب صابئاً)[٢]، (فكانت تسمي محمداً صلى الله عليه وسلم صابئاً لأنه أظهر ديناً مخالفاً لأديانهم)[٣].

(قال مجاهد والحسن: هم طائفة من المجوس واليهود، وقال قتادة: هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى الشمس خمس مرات كل يوم)[٤]، وأُضِيفَ على قول قتادة والحسن: (يصلون الخمس إلى القبلة ويقرؤون الزبور)[٥]، (وقال الضحاك وإسحق بن راهويه: هم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، لهذا قال أبو حنيفة: لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم، وعن مجاهد والحسن:

(1) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (صبأ).

(2) الطبري، تفسير الطبري، م١، ج١، ص٢٥٢.

(3) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٢، ج٣، ص٩٧.

(4) المصدر السابق، ص٩٨.

(5) القرطبي، تفسير القرطبي، م١، ج١، ص٤٣٤، ابن كثير، تفسير ابن كثير، م١، ص١٨١، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: م١، ص٢٣٩.

هم قوم تركّبَ دينهم بين اليهودية والمجوسية، لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم)[١]. (قال سعيد ابن جبير: هم طائفة من اليهود والنــصارى. وعن وهب بن منبه: هم قوم يعرفون الله وحـــده، وليست لهم شريعة يعملون بها ولم يُحْدِثوا كفراً)[٢]. (وقال ابن أبي الزناد عن أبيـــه: قـــال: الصابئـــون: قوم مما يلي العـــراق يؤمنون بالنبيين كلهم، ويصومون من كل ســـنة ثلاثـــين يوماً، ويصلون إلى اليمن كل يوم الخمس صلوات)[٣]، (وقال عبدالرحمن بن زيد: الصابئون أهل دين من الأديان، كانوا بجزيرة الموصل، يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهـــم عمـــل ولا كتاب ولا نبي، إلا قول لا إله إلا الله، قال: ولم يؤمنوا برسول، من أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم، يعني في قـــول لا إله إلا الله)[٤] (قيل: هم الخارجون من دين مشهور إلى غيره)[٥].

قال بعض العلماء: الصابئون: الذين لم تبلغهم دعوة نبـــي[٦]. وهـــذا مـــستبعد لأن الله لا يحاسب من لم تبلغه دعوة نبي، ومن ثمَّ إن الله أرسل رسلاً وأنبياء بلغوا دعوة التوحيد في كـــل زمان وكل مكان فلا أحد لم تبلغه دعوة نبي في أي زمان وفي أي مكان.

وجاء في خبر الصابئين، (قول مجاهد، قال: قال سلمان رضي الله عنه: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبـــادتهم، فنزلـــت: M ! " # $ % & ' ( ) * + , L البقرة/ ٦٢ إلى آخر الآية. قال السدي: نزلت في أصحاب سلمان الفارسي بينما هو يحدث النبي صلى الله عليه وســـلم إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم، فقال: كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بـــك ويـــشهدون أنـــك ستبعث نبياً، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم، قال له نبي الله صلى الله عليه وسلم: يا سلمان هـــم في النار، فاشتد ذلك على سلمان فأنزل الله هذه الآية)[٧]. وقول الرسول عليه الصلاة والـــسلام: هم في النار، ينفي قول من قال: إن الصابئين ممن لم تبلغهم دعوة نبي.

---

(1) المصادر السابقة، الصفحة نفسها.
(2) ابن كثير، تفسير ابن كثير، م٢، ص٦١٣.
(3) المصدر السابق، م٢، ص٦١٤.
(4) المصدر السابق، م١، ص١٨١-١٨٢.
(5) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، م١، ص٢٣٩.
(6) تفسير ابن كثير: م١، ص١٨١-١٨٢.
(7) المصدر السابق: ص١٧٩-١٨٠.

وبعدُ، تلك هي آراء المفسرين في لفظة (الصابئون)، وإذ كان أصل الصبوء في اللغة هو الخروج والطلوع، ويقال في ناب البعير إذا طلع (صبأ ناب البعير)، وفي النجوم إذا طلعت: صبأت النجوم، وأخذ منه: صبأت ثنية الصبي: إذا طلعت، وقالت العرب فيمن دخل الإسلام صابئ، جاء القرآن الكريم ليجعل (الصابئون) علماً على أناس معينين، اختلف المفسرون فيمن هم، إلا أن الآيات التي ذكرت فيها لفظة (الصابئون) توحي بأنهم أناس لهم شأن في جانب الدين، إذ جاء ذكرهم مع أهل الكتاب من المسلمين واليهود والنصارى، في الآيات الثلاث التي ذكروا فيها. وربما يدلل على ذلك أن الصابئة (يعتقدون أنهم يتبعون تعاليم آدم عليه السلام، ولديهم كتاب (الكنزا)، أي صحف آدم، لكن مع تقادم العهد ونشوء مذاهب مزيفة وأديان وثنية، دخلت تعاليم غريبة في الدين، فأرسل الله يحيى عليه السلام نبياً خاصاً بهم)[١]. جاء في (في ظلال القرآن): (هم من مشركي العرب قبل البعثة، اهتدوا إلى التوحيد فتعبدوا على الحنيفية الأولى (ملة إبراهيم) فقال عنهم المشركون: صبأوا أي مالوا عن دين آبائهم فسموا الصابئة، وبعدها أصبح هذا الاسم يُطلق من قبل المشركين على المسلمين لأنهم تركوا دين آبائهم)[٢]. فالعرب إذن عرفت الصابئة، لكن لم يأت ذكرهم في أشعارها.

أقول: إن (الصابئون) مصطلح قرآني خصَّصَه القرآن بطائفة معينة، بعد أن كانت العرب تعمم لفظة (الصابئ) على كل من خرج عن دين آبائه إلى دين آخر، ومن ثم (كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ؛ أي إنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض) [٣]، جاء القرآن فجعل (الصابئون) خاصة (بطائفة محددة ليسوا باليهود والنصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرراً لهم يتبعونه ويقتفونه)[٤].

---

(1) انظر، الحسيني، عبد الرزاق، (١٩٧٠) الصابئون في حاضرهم وماضيهم، (ط١)، صيدا، بيروت، مطبعة العرفان، ص٥٥ وهو نقل عن عبدالجبار عبدالله الصابي في هامش كتاب: العراق في القرن السابع عشر، لكوركيس وبشير عواد.

(2) ابن كثير، تفسير ابن كثير: م١، ص١٨٢.

(3) قطب: في ظلال القرآن، م١، ج١، ص٧٥.

(4) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الصَّاخَّــة

وردت لفظة (الصّاخة) مرة واحدة في سورة واحدة، يقول تعالى: M فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ L عبس: ٣٣.

(الصّاخة: صيحةً تَصُخُّ الآذان فَتَصمُّها، ويُقال: هي الأمر العظيم، يُقال: رماه الله بصاخة: أي بداهية وأمر عظيم)(١). (والصَّخُّ: الضرب بالحديد على الحديد. وصَخُّ الصخرة وصخيخُها: صوتها إذا ضربتها بحجر أو غيره، وكلُّ صوت من وقع صخرة على صخرة ونحوه. قال أبو عبيدة: الصّاخة: القيامة، وقال ابن سيده: الصّاخة: صيحة تصخ الأذن أي تطعنها فتصمها لشدتها ومنه سميت القيامة الصاخة، يُقال: كأن في أذنه صاخة أي طعنة. وقال أبو إسحاق: هي الصيحة التي تكون فيها القيامة تَصُخُّ الأسماع؛ أي تَصُمُّهَا فلا تسمع إلا ما تدعى به للإحياء)(٢).

(أصل الكلمة في اللغة: الصّك الشديد وهي مأخوذة من: صخّه بالحجر، إذا صكّه، ومن هذا الباب قول العرب صختهم الصاخة وبانتهم البائنة وهي الداهية)(٣).

إن الصاخة صفة من صفات يوم القيامة وليست اسماً كما عدّها بعض المفسرين، (قال ابن عباس: الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة، وقال ابن جرير: لعله اسم للنفخة في الصور، وقال البغوي: الصاخة صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع؛ أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها)(٤). أقول: إنّ قول ابن جرير والبغوي هما الأرجح إذ جعل الله مرحلة من مراحل يوم القيامة صفة من صفاتها تدل عليها وعلى أهوالها بلفظ ذي (جَرَسٌ عنيف نافذ، يكاد يخرق صماغ الأذن، وهو يشق الهواء شقاً، حتى يصل إلى الأذن صاخاً ملحاً)(٥)، وبهذه المعاني كانت الصاخة مصطلحاً قرآنياً خصصه القرآن، ليدل على مرحلة من مراحل يوم القيامة وصفة من

---

(1) الفراهيدي، العين، مادة (صخّ).

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صخخ).

(3) القرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج١٩، ص٢٢٤.

(4) ابن كثير، تفسير ابن كثير، م٧، ص٢١٧.

(5) قطب، في ظلال القرآن، م٦، ج٣٠، ص٣٨٣٤.

من صفاتها. ويدل على هذا أنها لم ترد في الشعر الجاهلي، بل وردت أحياناً في بعض الأشعار التي رويت بعد نزول القرآن الكريم وانتشار معانيه ودلالاته، فقد ذكر القرطبي في تفسيره بيتاً لأحد الشعراء، قال فيه:

يصيخُ للنبأة أسماعَهُ   إصاخةَ الناشدِ للمنشِدِ[١]

الصلاة

وردت لفظة (الصلاة) في القرآن الكريم في سبع وستين آية، هذا عدا الآيات التي وردت فيها مشتقات هذه اللفظة. ومن الآيات التي ورد فيها ذكر الصلاة، قوله تعالى: M وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى © L البقرة/٤٥. وقوله تعالى: M % & ' ( ) * L الأنبياء/٦٣.

(والصلاة في معاجم اللغة من (صَلَو) ووزنها فَعَلَة وقيل فَعْلَة)[٢]، (ومن (صلا) وهي من الواو وتجمع على صلوات)[٣]، (وقد اختلف أهل اللغة في أصلها؛ فقالوا: الصلا: العظيم الذي فيه مغْرِز عَجْب الذنب وهما صلَوان، والصلا: العظم الذي عليه الإليتان، وهو آخر ما يبلى من الإنسان)[٤]، قال يزيد بن سنان المري:

تركتُ الرمحَ يبرُق في صَلاَه   كأنّ سِنانه خرطومُ نَسْرِ[٥]

(ويُقال: الصَّلاة من صَلَيتُ العودَ إذا لَيّنتُهُ؛ لأن المصلي يلين ويخشع)[٦].

(والصّلا: وسط الظهر لكل ذي أربع وللناس، وإذا أتى الفرس على أثر الفرس السابق قيل: قد صَلى وجاء مُصَلِّياً؛ لأن رأسه يتلو الصلا الذي بين يديه)[٧]، (والمصلي من الخيل:

---

(1) القرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج١٩، ص٢٢٤.
(2) الفراهيدي، العين، الزبيدي، تاج العروس، مادة (صلو).
(3) ابن منظور، لسان العرب، الجوهري، الصحاح، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (صلا).
(4) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (صلا)، ابن فارس، أحمد، (١٩٨٥). مجمل اللغة، تحقيق: هادي حسن حمودي، (ط١)، الصفاة، الكويت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ج٣، ص٢٣٤.
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (صلا).
(6) ابن فارس، مجمل اللغة، ج٣، ص٢٣٤.
(7) الفراهيدي، العين، مادة (صلو).

الذي يجيء بعد السابق؛ لأن رأسه يلي صلا المتقدم، وهو تالي السابق، قال اللحياني: إنما سُمِّي مصليّاً لأنه يجيء ورأسه على صلا السابق. قال أبو العباس: المصلي في كلام العرب السابق المتقدم، قال: وهو مشبه بالمصلي من الخيل، وهو السابق الثاني، قال: ويقال للسابق الأول: المُجلّي، وللثاني: المُصلِّي)[١]. قال بشامة بن حزن النهشلي:

إنْ تُبْتَدَرْ غايةٌ يوماً لمكرُمَةٍ تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنّا والمُصلِّينا[٢]

وقيل: الصلاة: كنائس اليهود، هذا قول ابن عباس، وأضاف ابن جني: سميت بذلك لكونها مواضع عبادتهم. ومنه قوله تعالى: M ? @ A B C L الحج/٤٠. وقيل: أصله بالعبرانية: صلُوتا، بفتح الصاد والتاء الفوقية)[٣].

(قال الزجاج: الأصل في الصلاة اللزوم، يقال: صَلِيَ واصْطَلَى: إذا لزم، وقال الأزهري: الصلاة لزوم ما فرض الله تعالى. وذهب بعض أهل اللغة إلى أن أصل الصلاة: التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب، وذهب آخرون إلى أن الصلاة في اللغة أصلها الدعاء، قال ابن الأثير: تكرر في الحديث ذكر الصلاة، وهي العبادة المخصوصة، وأصلها الدعاء في اللغة، فسُميت ببعض أجزائها)[٤]، قال صاحب التاج: (الصلاة الدعاء وهو أصل معانيها)[٥]، وقد صَدَّرَ به صاحب الصحاح فقال: (الصلاة الدعاء)[٦]، قال الأعشى:

عليكِ مثلُ الذي صلّيتِ فاغْتَمِضي يوماً، فإن لجنب المرءِ مُضْطَجعا[٧]

(وقيل: الصلاة في اللغة مشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة، قال المنادي عن الرازي: الصلاة عند المعتزلة من الأسماء الشرعية)[٨]. وقد عدّها صاحب المزهر من الأسماء

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صلا)، تاج العروس، مادة (صلو).
(2) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ج١، ص١٠٣.
(3) الزبيدي، تاج العروس، مادة (صلو).
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صلا).
(5) الزبيدي، تاج العروس، التاج، مادة (صلو).
(6) الجوهري، الصحاح، مادة (صلا).
(7) الأعشى، ديوان الأعشى، ص١٥١.
(8) الزبيدي، تاج العروس، مادة (صلو).

الإسلامية فقال: (ومما جاء في الشرع الصلاة، وأصله في لغتهم الدعاء، وقد كانوا يعرفون الركوع والسجود، وإن لم يكن على هذه الهيئة)[1]. فالصلاة عبادة فيها ركوع وسجود وهذه العبادة (لم تَنْفَك شريعة منها، وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع؛ لذلك قال تعالى: M s t u v w x y L النساء/١٠٣).[2]

(فهي حقيقة شرعية لا دلالة لكلام العرب عليها، إلا من حيث اشتمالها على الدعاء الذي هو أصل معناها)[3]. وهذا المعنى هو الأرجح في أصل الصلاة، لما له من صلة وقرب من المعنى الإسلامي للصلاة، وقد استعمل في القرآن المعنى الأصلي للصلاة وهو الدعاء، يقول تعالى: M q r t u v w L التوبة/١٠٣.

جاء القرآن الكريم فخصَّصَ الصلاة إذ صارت عبادة مخصوصة، لها هيئة معروفة بل هي الركن الثاني من أركان الإسلام لها أثرها في حياة الإنسان المسلم، يقول تعالى: M ´ µ ¶ ¸ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ L العنكبوت/٤٥. فباتت مصطلحاً قرآنياً علماً على هذه العبادة.

الصِّيام

ورد (الصّيام) في القرآن الكريم في ثماني آيات، (وصياماً والصائمين والصائمات وصوماً) مرة واحدة لكل منها، ومن مواضع ذكر الصيام في القرآن قوله تعالى:

M 3 4 5 6 7 8 L البقرة/١٨٣. وقوله تعالى: M h i j k l m L المجادلة/٤.

والصيام من صَامَ يَصُومُ صَوْمَاً وصِياماً (بالكسر)، واصطام: إذا أمسك، هذا أصل اللغة في الصّوم[4]. ويُقال: صام الفرس: إذا لم يعتلف، وصامت الريح: ركدت. وصامت الشمس:

---

(1) السيوطي، المزهر، ج١، ص٢٩٥.

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٣٨٧.

(3) الزبيدي، تاج العروس، مادة (صلو).

(4) المصدر السابق، مادة (صوم).

استوت في منتصف النهار، والصوم: شجر في لغة هذيل[١]. ويُقال: رجل صائم وصَوْم، وصَوْمٌ: اسم جمع وقالوا: جمع صائم، والصَّوْمُ: ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام[٢] يُقال: صام عن الكلام: إذا أمسك عنه، وهذا من المجاز، أمّا الصَّوم في الشرع: فالإمساك عن الطعام والشراب، وصام عن النكاح: تَرَكَهُ وهو أيضاً داخل في حد الصوم الشرعي[٣]، ومنه قول سفيان ابن عيينة: الصوم هو الصبر، يصبر الإنسان على الطعام والشراب والنكاح[٤].

وردت لفظة الصيام ومشتقاتها في الشعر العربي، قبل نزول القرآن، بمعانيها المختلفة التي سبق أن ذُكرت، والصيام بمعناه الأصلي: الإمساك عن الحركة، فكل شيء سكنت حركته فقد صام[٥]، يقال: خيل صائمة: إذا سكنت حركتها[٦]، قال النابغة:

خيلٌ صيامٌ، وخيلٌ غيرُ صائمةٍ   تحت العجاجِ وخيلٌ تعلك اللُّجُمَا[٧]

ووردت في شعرهم بمعنى استواء الشمس في منتصف النهار، قال الشماخ:

خبوبٌ وإن صامت عليها وديقَةٌ   من الحرِّ إنْ يُطْبَخ بها النيُّ يَنْضَجِ[٨]

إذن العرب لم تعرف الصيام بهيئته التي جاء بها الإسلام، فلم تعرف العرب الصيام إلا الإمساك، والثبات والسكون، فتطور عنه المعنى الجديد للصيام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح، كما (زادت الشريعة النية)[٩]، وجعلته الركن الثالث من أركان الإسلام، بكل هذا صار الصيام مصطلحاً قرآنياً خاصاً بمعنى محدد في شهر معين هو شهر رمضان[١٠].

---

(1) الفراهيدي، العين، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (صوم).
(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صم).
(3) الزبيدي، تاج العروس، مادة (صوم).
(4) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (صوم).
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (صوم).
(6) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢١٩.
(7) النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، ص٢٤٠. ملحق الديوان. صائمة: قائمة، تعلك: تلوك.
(8) الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر، (١٩٩٦)، أساس البلاغة، (ط١)، بيروت، لبنان، مكتبة ناشرون، مادة (صوم)، ولم أجده في ديوان الشماخ.
(9) السيوطي، المزهر، ج١، ص٢٩٥.
(10) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٢٠.

الأعراف

ذكرت لفظة (الأعراف) مرتين في سورة الأعراف، وهي كالآتي:

يقول تعالى: M K L N O P Q R S L الأعراف/٤٦.

وقال تعالى: M p q r s t u L الأعراف/٤٨.

فما الأعراف، ومن أصحابه، وما أصله، وهل هو مصطلح قرآني جديد، أم كان معروفاً قبل القرآن؟

الأعراف في اللغة: (جمع عُرْف وهو كلُّ عالٍ مرتفع. عُرف الأرض: ما ارتفع منها والجمع أعراف. والأعراف: أعالي السور. والأعراف من الرياح: أعاليها وأوائلها. ويوم الأعراف: من أيام العرب، وفي بلدان العرب بلدان كثيرة تسمى الأعراف، منها: أعراف لبنى، وأعراف غمرة وغيرها وهي مواضع في بلاد العرب)(١)، قال طفيل الغنوي:

جَلَبْنَا مِنَ الأعرافِ أعْرافِ غمرةٍ   وأعرافِ لُبْنى الخَيْلَ يا بُعْدَ مَجْلَبِ(٢)

والأعراف: سور بين الجنة والنار، والأعراف: ضربٌ من النخل(٣).

جاء في تفسير الطبري: كل مرتفع من الأرض عند العرب فهو عُرف، وإنما قيل لعُرف الديك عرف لارتفاعه على ما سواه من جسده(٤)، ومنه قول الشماخ بن ضرار:

وظلت بأعرافٍ تغالى كأنها   رماح نحاها وجهةَ الريح راكزُ(٥)

والأعراف الشيء المشرف، والمكان المشرف. والأعراف في السياق القرآني (حجاب) سور بين الجنة والنار، وهو السور الذي ذكره تعالى فقال: M H I J K L M N O P Q R S L الحديد/١٣(٦).

---

(1) الفراهيدي، العين، ابن منظور لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (عرف).

(2) الغنوي، ديوان طفيل الغنوي، ص٢٢.

(3) انظر: ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (عرف).

(4) الطبري، تفسير الطبري، م٥، ج٨، ص١٣٦.

(5) المصدر السابق، الصفحة نفسها، تغالى: تسابق وفي الديوان، ص٢٠١:

وظلّت تفالى بالبقاع كأنها   رِماحٌ نحاها وجهة الريح راكز.

(6) الطبري، تفسير الطبري، م٥، ج٨، ص١٣٦، الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٧، ج١٤، ص٧٢، القرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٧، ص٢١١.

ولم يأت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأعراف سور بين الجنة والنار، إلا في حديث ضعيف، حين سُئل عليه السلام عن أصحاب الأعراف فقال: (هم رجال قتلوا في سبيل الله، وهم عصاة لآبائهم، فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار، ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة، فهم على سور بين الجنة والنار)[١].

وقيل: سُمي الأعراف أعرافاً؛ لأن أصحابه يعرفون الناس[٢]، فهي من العلم والمعرفة والعرفان[٣]، وقد اختلف في أصحابه فقيل: هم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم فَجُعِلوا هناك إلى أن يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضله.

وقيل: هم الصالحون من فقهاء وعلماء. وقيل: هم الشهداء، وقيل: ملائكة موكلون بالسور يميزون الكافر من المؤمن قبل إدخالهم إلى الجنة والنار. وقيل: الأشراف من أهل الطاعة وأهل الثواب[٤]، وغير هذه الأقوال.

وبعد، فكتب التفسير أوردت في تعريف الأعراف أنه (حجاب)، وهذا يجعل المرء يتوقف عند قولهم متأملاً، إذ لا يصح قولهم بالنظر في سياق الآية الكريمة إذ يقول تعالى: M K L N O P L فالحجاب غير الأعراف وهذا يؤكده ما جاء في قول القرطبي في الموضع نفسه الذي ذكر فيه تعريف الأعراف بأنه حجاب، إذ قال: "وعلى الأعراف". موضع عالٍ على الصراط[٥]. وهنا يمكن أن نفهم أن الصراط هو قوله تعالى: M K L L وM N O L هو الموضع العالي على الصراط، والله أعلم بمراده.

ولا بد من الإشارة إلى أن (رجالاً) لا تعني جنس الرجال، إنما هو تعبير القرآن العظيم الذي لم يخاطب النساء بصيغة المؤنث إلا في أمورهن الخاصة، وإلا فالخطاب بصيغة المذكر.

---

(1) العراقي، عبدالرحيم بن الحسين، (١٩٩٥). المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من أخبار، تحقيق: أشرف عبدالمقصود، (د.ط)، الرياض، مكتبة طبرية، كتاب التوبة، ج٢، ص٩٩٥.

(2) الطبري، تفسير الطبري، م٥، ج٨، ص١٣٦.

(3) انظر: الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة عرف.

(4) الطبري، تفسير الطبري، م٥، ج٨، ص١٣٧، الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٧، ج١٤، ص٧٢. القرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٧، ص٢١١.

(5) القرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٧، ص٢١٢.

وبعد هذا العرض لمصطلح الأعراف في معاجم اللغة وفي كتب التفسير، فإنه يتبين دون شك أن (الأعراف) مصطلح قرآني لم تعرفه الجاهلية بمعناه الذي جاء به القرآن، وهو لا ريب من الغيبيات، خصصه القرآن الكريم بعد أن كان عامّاً في الاستعمال العربي. ثم صنع من هذه اللفظة مع كلمة (أصحاب) تركيباً جديداً، علماً على تلك الفئة من الناس عرفوا (بأصحاب الأعراف).

العقاب والعذاب

ورد (العقاب) في القرآن الكريم معرفاً وغير معرف عشرين مرة، والعاقبة إحدى وثلاثين مرة، هذا فضلاً عن مشتقات الكلمة الأخرى. وبالنظر في الآيات التي ذكر فيها العقاب يتبين أن العقاب يكون جزاء على الأعمال السيئة في الدنيا، ومن تلك الآيات قوله تعالى:

M وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ L

الأنفال/٢٥. ويقول تعالى: M وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ à فَوۡقَ â دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ç é ê ë ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ î ï L الأنعام: ١٦٥. وقوله تعالى: M k l m n o p q r L آل عمران/ ١٣٧. وقوله تعالى: M 8 9 : ; < = > ? @ L الأعراف/ ٨٤.

والعَقِبُ في اللغة، آخر كل شيء، يُقال: عاقِبُ وعاقبة كل شيء ويجمع على عواقب وعُقُب، والعقوبة: اسم المعاقبة، وهو الجزاء بعاقبة ما فعل من السوء[١]، قال النابغة:

ومَنْ عصاكَ فعاقِبْهُ معاقبةً تنهى الظلومَ ولا تَقْعُد على ضَمَدِ[٢]

وعَقِبُ كل شيءٍ وعَقَبُه وعاقبتُه وعاقِبُه وعقْبَتُه وعُقْبَاه وعُقْبَتَاه: آخره[٣]، قال أبو ذؤيب الهذلي:

فإن كنتَ تشكو من قريبٍ مخانةً فتلك الجوازي عقْبُها ونصُورُها[٤]

---

(1) الفراهيدي، العين، مادة (عقب).
(2) النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، ص٢١. والضمد: الذل والغيظ والحقد، وقيل: الظلم.
(3) ابن منظور، اللسان، مادة (عقب).
(4) الدار القومية للطباعة والنشر، ديوان الهذليين، ج١، ص١٥٨. وقد نسبه صاحب اللسان في مادة (عقب) لخالد بن زهير الهذلي.

والجمع: العواقب والعُقُب. وعَقِب النهار وعقِب الشهر: آخره، وعُقْب، والعَقِبُ والعَقْب والعاقبة: ولد الرجل وولد ولده والباقون بعده، تقول العرب: لا عَقِبَ له: إذا لم يبق له ولد ذكر، وأعقب الرجل: إذا مات وترك عَقِباً أي ولداً(١)، قال الطفيل الغنوي:

كريمةُ حُرِّ الوجه، لم تَدْع هَالكاً مِنَ القومِ هُلْكاً في غدٍ غَيرَ مُعْقِبِ(٢)

والعَقِبُ: مؤخر القدم، والمُعَقِّب: الذي يتتبع عَقِب إنسان في طلب حق أو نحوه(٣)، قال لبيد:

حتى تَهجّر في الرَّواح وَهَاجَهُ طلبُ المُعَقِّب حقَّهُ المظلومُ(٤)

والعَقْبُ: الجري يجيء بعد الجري الأول، يُقال للفرس الجواد: إنه لذو عفو وعَقْب؛ فعفوه أول عدوه، وعقْبُه: أن يُعْقِبَ مُحضِراً أشد من الأولى، أي له جري بعد جري(٥)، قال امرؤ القيس:

على العَقْبِ جياشٍ كأنَّ اهْتِزَامَه إذا جاشَ فيه حَمْيُه غليُ مِرْجَلِ(٦)

تلك هي المعاني التي عرفها العرب لمادة (عقب) ومشتقاتها، وكلها تدور حول آخر الشيء، وكأنها نتيجة نهائية لكل أمر كان خيراً أو شراً، وقد عرفت العرب هذا المعنى، لكن القرآن الكريم استعمله بمعنى (الجزاء السريع في الدنيا) (٧)، قال تعالى: M إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ L ص/١٤.

---

(1) ابن منظور، اللسان، مادة (عقب).

(2) الغنوي، طفيل بن عوف، (١٩٦٨). ديوان الطفيل الغنوي، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد، (ط١)، (د.م)، دار الكتاب الجديد، ص١٨.

(3) الفراهيدي، العين، مادة (عقب).

(4) العامري، ديوان لبيد بن ربيعة، ص١٢٨.

(5) الزبيدي، تاج العروس، مادة (عقب).

(6) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، ص٢٠، والعقب: الجري بعد الجري، الجياش: الذي يزداد جريه كلما حركته. احتزامه: صوت اندفاعه، حميه: غليه، مرجل: القدر.

(7) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٣٩٦.

وقـــال تعـــالى: M | { ~ تَأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ © ٱلۡعِقَابِ L غافر/٢٢. فكان بهذا المعنى المخصص مصطلحاً قرآنياً جديد الدلالة.

أما العذاب، فقد ذُكر في القرآن في مئتين وخمس وستين آية معرفاً وغير معـــرف وفـــي تسعٍ وثلاثين آية بصيغة (عذاباً)، فضلاً عن الصيغ الأخرى التي جاءت في القـــرآن. وإذا كـــان العقاب في القرآن هو الجزاء على العمل السيئ في الدنيا، فإن العذاب، هو الجزاء علـــى العمـــل السيئ في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: Mلَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ L الحشر/٣ ويقول: M o p q r s L القمر/٣٨.

ولكن العذاب من خلال الآيات أخص بالآخرة، ذلك أن معظم الآيات التي ذكر فيها العذاب ومشتقاته كانت أكثر في عذاب الآخرة، يقول تعالى:

M f g h i j l m L الملك/٦. ويقـــول تعـــالى: Mلَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ L المائدة/٤١.

ويقول تعالى: M & ') (* L الفجر/٢٥. ويقـــول عـــز وجـــل: M Z [\ ] ^ _ L البقرة: ٨٥.

والعذاب في أصل اللغة من قولهم: (عَذَبَ الحمار يَعْذِبُ عَذْباً وعُذُوباً فهو عاذِبٌ عَـــذوبٌ، لا يأكل من شدة العطش، ويُقال: الفرس وغيره عذوب: إذا بات لا يأكل ولا يشرب؛ لأنه ممتنـــع من ذلك. ويَعْذِبُ الرجل فهو عاذبٌ عن الأكل، لا صائم ولا مفطر)(١)، قال عبيد بن الأبرص:

وتبـــدّلوا اليَعْبُـــوبَ بَعْـــدَ إلاهِهِـــم صَنَماً فَقِـــرُّوا يـــا جـــدِيل وأَعْـــذِبُوا(٢)

وتقول: أعذبتُه إعذاباً وعذّبتُه تعذيباً، وكل من مَنَعَتَـــه شـــيئاً فقـــد أعذبْتَـــه(٣)، أضـــاف: وعذّبته(٤)، وعَذَب عن الشيء: امتنع(٥).

---

(1) الفراهيدي، العين، مادة (عذب).
(2) ابن الأبرص، عبيد، (١٩٥٧). ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: حسين نصّار، (د.ط)، القاهرة، مـــصطفى البابي الحلبي، ص٣.
(3) الفراهيدي، العين، مادة (عذب).
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عذب).
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (عذب).

وعَذَبُ النوائح والمعاذِب واحدتُها مَعْذَبة هي المآلي، والعَذَابُ: النكال والعقوبة، قال ابن الأثير: إن العرب كانوا يوصون أهلهم بالبكاء والنوح عليهم، وإشاعة النعي في الأحياء، وكان ذلك مشهوراً من مذاهبهم؛ فالميت تلزمه العقوبة في ذلك بما تقدم من أمره به[١]. فكأنهم يبكون على ما آل إليه من عذاب في اعتقادهم الجاهلي إذ لا يؤمنون بالبعث، من هنا عرفوا المعذَبة هي المآل.

وقالوا: العذاب في كلام العرب من العَذْب وهو المنعُ، يُقال عَذَبتُه منه أي منعتُه، وعَذَب عُذُوباً: أي امتنع ، وسُمي الماء الحلو عَذْباً لمنعه العطش، والعذابُ عذاباً لمنعه المُعَاقب من عَوْدِه لمثل جُرْمه، ومنعِه غيره من مثل فعِله[٢].

يتبين مما سبق أن معاجم اللغة لم تفرق بين العقاب والعذاب، وكذا في شعر العصر الجاهلي كان بمعنى واحد هو جزاء الإنسان على فعله السيئ وفي القرآن الكريم كذلك، هما جزاء الإنسان على الفعل السيئ والقول السيئ، إلا أن القرآن الكريم، خصّ العقاب في الدنيا، والعذاب بالآخرة، فكانا بذلك من المصطلحات التي خصّص القرآن الكريم دلالتها بعد أن كانت عامة في الاستعمال الجاهلي.

الغيث والمطر

ورد ذكر الغيث في القرآن الكريم ثلاث مرات، مرتين معرفة (بأل) ومرة دون تعريف، ووردت مشتقاته (يُغاث، يغاثوا، يستغيثوا) مرة واحدة لكل منها.

أما المطر فقد ذكر خمس مرات دون (أل) تعريف، ذُكر مرتين بصيغة (مطر)، وثلاث مرات بصيغة (مطراً)، ووردت مشتقاته (أَمْطرنَا) خمس مرات، و(فأمطر، أَمْطَرَت، مُمْطِرنا) مرة واحدة لكل منها. وسيتم ذكر الآيات لكل من الغيث والمطر في موضعه حسب الحاجة.

ذهبت معاجم اللغة إلى أن (الغيث هو المطر، وقيل: والمطر: الكلأ ينبت من المطر)[٣]، وأضاف صاحب التاج: (هو مجاز)[٤]. وقالوا: (الأصل المطر، ثم سمي ما ينبت به غيثاً)[٥]، أنشد ثعلب:

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عذب).
(2) الزبيدي، تاج العروس، مادة (عذب).
(3) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (غيث).
(4) الزبيدي، تاج العروس، مادة (غيث).
(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (غيث).

وما زِلتُ مِثل الغيــث، يُرْكــبُ مــرةً فَيُعلـــى ويُـــولى مـــرة فَيُثيـــبُ[١]

والجمع: أغياث وغيوث[٢]، قال المخبل السعدي:

لهـــا لجـبٌ حــول الحيــاض، كأنـــه تجـــاوُب أغيـــاثٍ، لهـــنّ هـــزيم[٣]

وقال سبيع بن الخطيم:

ولقد هَبَطْــتُ الغيــثَ أصــبحَ عازبــاً أُنُفـــاً بـــه عُـــوْذُ النِّعـــاجِ عُطُـــوف[٤]

وقالوا: الغيث، السحاب وهو مجاز[٥]. ويقال: غاث الغيثُ الأرض: أصابها، والغيث مــن الغوث: وهو الإعانة والنصرة والإنقاذ من البلاء والمَحْل[٦]: وهو الأصل[٧].

والمَطَر في معاجم اللغة: الماء المنسكب من السحاب، ويقال: يوم مطير: ماطر، ووادٍ مطير: ممطور[٨] وأضاف صاحب اللسان: ووادٍ مَطِر: إذا كان ممطوراً[٩]، قال امرؤ القيس:

لهـــا وَثَبـــاتٌ كَوَثْـــبِ الظّبـــاء فـــوادٍ خِطـــاءٌ ووادٍ مَطِـــر[١٠]

ورجل مُسْتَمطِر: طالبُ خيرٍ من إنسان[١١]، قال أبو دَهْبَل الجمحي:

لا خير في حبٍّ من ترجـى فواضِـلُه فاسْتمْطِروا من قريشٍ كـل منخـدع[١٢]

---

(1) المصدر السابق، المادة نفسها.
(2) المصدر السابق، المادة نفسها.
(3) المصدر السابق، المادة نفسها.
(4) التبريزي، شرح المفضليات، ج٣، ص١٢٦٣. هبطته: نزلت عليه. عازب: بعيد. آنفاً: أول، أي هبطنه أول من هبطه، فرعيته قبل أن يسبقني إليه أحد. العوذ: الحديثات النتاج. عطوف: عطفت على أولادها.
(5) الزبيدي، تاج العروس، مادة (غيث).
(6) ابن منظور، لسان العرب، مادة (غيث).
(7) انظر: أبو صفية، جاسر، (٢٠٠٣). كلمات القرآن، (ط١)، عمان، الجوهرة للنشر والتوزيع، ص٢١٩.
(8) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، مادة (مطر).
(9) ابن منظور، لسان العرب، مادة (مطر).
(10) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، ص١٦٧.
(11) ابن منظور، لسان العرب، مادة (مطر).
(12) المصدر السابق، المادة نفسها.

لم يُفرّق الشعراء الجاهليون بين المطر والغيث، إنما كانتا بمعنى واحد في أشعارهم. ثم جاء القرآن فجعل اللفظتين بدلالتين مختلفتين، ويتضح ذلك من خلال النظر في الآيات التي ذُكر فيها الغيث والأخرى التي ذكر فيها المطر.

لقد جاء الغيث في القرآن يحمل معنى الخير والعطاء، والرحمة بالعباد، والنجاة لهم ولأنعامهم، يقول تعالى:

M إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ L لقمان/٣٤. ويقول عز وجل: M وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا ´ µ ¶ L الشورى/٢٨. ويقول تعالى: M F G H I J L الحديد/٣٠.

أما المطر، فجاء في القرآن الكريم يحمل معنى العذاب والغضب والانتقام، فقد جاء في جميع الآيات التي ذُكر فيها عقاباً وعذاباً للأقوام الذين كذبوا الرسل، من ذلك قوله تعالى:

M k l m n o p q r L الفرقان/٤٠.

M x y z | } ~ L الشعراء/١٧٣.

وهكذا في جميع الآيات التي ذُكر فيها المطر كان مذموماً.

في الوقت الذي جعلت فيه معاجم اللغة المطر والغيث بمعنى واحد، حتى إنهم استبعدوا الصلة بين المطر والعذاب، قال: وأمْطَرَهم الله مَطَراً أو عذاباً[١]، إلا أن هناك إشارة بسيطة تنبئ بشيء من التوصل إلى التفريق بينهما في المعنى، من ذلك قول ابن سيده: أمطرَهم الله في العذاب خاصة[٢]، وقيل: الغيث المطر الخاص بالخير الكثير النافع؛ لأنه يُغاث به[٣].

وبَعْدُ، فإن كلاً من الغيث والمطر بدلالته التي جاء بها القرآن، أصبحا مصطلحين قرآنيين مخصصين، حتى باتا علمين على الخير والرحمة بالنسبة للغيث، وعلى العذاب والنقمة بالنسبة للمطر، فبات العرب بعد نزول القرآن بهذين المعنيين يميزون بينهما، (قال الأصمعي: أخبرني

---

(1) الفراهيدي، العين، مادة (مطر).

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (مطر).

(3) الزبيدي، تاج العروس، مادة (مطر).

أبو عمرو بن العلاء، قال سمعت ذا الرُّمة يقول: قاتل الله أمَةً بني فلان ما أفصحها، قلت لها: كيف كان المطر عندكم؟ فقالت: غِثْنَا ما شِئنا)[١].

الفؤاد والقلب

وردت لفظة (الفؤاد) في القرآن الكريم بمشتقاتها المختلفة ست عشرة مرة، ولفظة (القلب) بمشتقاتها مئة وثمانياً وستين مرة.

والفؤاد في اللغة، من" فَأَدَ الخبزة في المَلَّةِ[٢] يَفْأَدُها فَأْداً: شواها والفئيد: ما شُوي وخُبِزَ على النار، وإذا شُوي اللحم فوق الجمر فهو مُفْأَدٌ وفئيد. وافتأدوا: أوقدوا ناراً، والفئيد: النار نفسها، قال لبيد:

وجدتُّ أبي ربيعاً لليتامى ... وللأضياف إذْ حُبَّ الفئيدُ[٣]

والمُفْتَأَد: موضع الوقود، قال النابغة:

شكَّ الفريصة بالمِدْرَى فَأَنفذَها ... طعنَ المُبيطِرِ إذْ يشفي من العَضَدَ
كأنه خارجاً من جنْبِ صفحتِهِ ... سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عند مُفْتَأَدِ[٤]

والتفؤُد: التّوقد، والفؤاد: القلب لتفؤده وتوقده. وقيل: وسطه وقيل: غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه[٥]، قال أبو ذؤيب:

رآها الفؤادُ فاستُضِلَّ ضَلالُه ... نِيافاً منَ البِيضِ الحِسانِ العَطَابِلِ[٦]

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (مطر).

(٢) المَلَّة: الرماد الحار.

(٣) العامري، ديوان لبيد بن ربيعة، ص٤٠. الفئيد: الخبز المليل، وقيل: الملة: وقيل: الشواء.

(٤) النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، ص١٩، والفريصة: موضع عِقب الفارس وهي مقتله، والمِدْرى: القرن، شرب: قوم يشربون

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فأد).

(٦) الدار القومية للطباعة والنشر، ديوان الهذليين، ج١، ص١٤١ نيافاً: طويلة عظيمة، والعطابل: طويلة العنق.

(وأصل الفأد: الحركة والتحريك، ومنه اشتق الفؤاد؛ لأنه ينبض ويتحـرك كثيـراً، وفـي البصائر للمصنِّف. قيل: إنما يُقال للقلب: الفؤاد إذا اعتُبر فيه معنـى التفـؤد أي التوقـد. وقـال الأزهري: القلب مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط، وقيل: الفؤاد: وعاء القلب أو داخله أو غـشاؤه، والقلب حبته)[١].

(والقلب من قَلَبَ، قَلَبَهُ يقلِبه قَلْباً، تحويل الشيء عن وجهه، وقَلَبَ الـشيءَ وقلَّبـه: حولـه ظهراً لبطن وتقلّب وانقلب. والقَلْب: صرفك إنساناً تَقْلِبه عن وجهه الذي يريده. وقد يعبـر عـن القلب بالعقل، قال تعالى: M 1 2 3 4 5 6 7 8 L ق: ٣٧ قال الفـراء: أي لمن كان له عقل، وقال غيره: لمن كان له تفهم وتدبر. وقال الأزهري: رأيـت بعـض العـرب يسمي لحمة القلب كلها؛ شحمها وحجابها قلباً وفؤاداً، قال: ولم أرهم يفرقون بينهمـا، قـال: ولا أنكر أن يكون القلب هي العلقة السوداء في جوفه)[٢].

يتبين مما سبق أن العرب لم تفرق في كلامها بين القلب والفؤاد، إنما هما واحـد عنـدها، كما عدّهما بعض اللغويين مترادفين (كالفيومي والجوهري وابن فارس وغيرهم)[٣]، جاء القرآن فجعل كلاً منهما مصطلحاً قائماً بذاته. فالفؤاد في القرآن يمثل جارحة كالسمع والبـصر، يُـسأل عنها المرء أمام الله (فالفؤاد يُسأل عما افتكر فيه واعتقده)[٤]. قـال تعـالى: Mإِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا L الإسراء: ٣٦.

والقلب كذلك مصطلح قرآني (أخص من الفؤاد في الاستعمال)[٥]؛ فالقلب في القرآن عَلَـمٌ على موضع المشاعر الإنسانية التي فطر الله الإنسان عليها؛ إذ (يعبر بالقلب عن المعاني التـي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك)[٦] وهو موضع الهدى والضلال، قال تعـالى:

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، مادة (فأد).
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قلب).
(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة (قلب).
(٤) القرطبي، تفسير القرطبي، م٥، ج١٠، ص٢٥٩.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قلب)، الزبيدي، تاج العروس، مادة (فأد).
(٦) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٤٢١.

M 6 7 8 9 : L التغـــابن: ١١ وقـــال تعـــالى: M | { ~ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ L الأعراف:١٠١، والقلب موضع الخوف والأمان، قال تعــالى: M Z [\ ] ^ _ ` a b L آل عمران: ١٢٦ وقــال تعــالى: M 6 7 8 9 : ; L آل عمران: ١٥١.

والقلب موضع الفساد والصلاح، قال تعالى: M @ A B C D E F G H I L الصافات: ٨٤/٨٣ وقال تعالى: M رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا L آل عمران: ٣

والقلب موضع الرفق واللين والغلظة والقسوة، قال تعــالى: M \ ] ^ _ ` a b L الحديد: ٢٧، وقال تعالى: M g h i j k l m n L البقرة: ٧٤ وقــال تعــالى: M 0 1 2 3 4 5 6 7 L آل عمــران: ١٥٩

والقلب موضع الحب والكره، قال تعالى: M - . / 0 1 2 3 L الحشر: ١٠

(فالقلب حقيقة الإنسان ويسميها الحكيم النفس الناطقة)[١]، وهذا التنوع في دلالة القلب يدل على أنه المركز الرئيسي في الجسد الإنساني لكل ما يتعلق بأفكار المرء ومــشاعره، فهــو مــوطن العقــل والعاطفة، وبخاصة عندما نعلم أن (العقل) لم يرد في القرآن بهذه الصيغة أبداً، بل ورد فعلاً يقوم به الإنسان (أفلا تعقلون) و(لعلكم تعقلون) وغيرها. ومن هنا فإني أرى أن ما ورد في بعض المراجــع القديمة بأن القلب (أخص من الفؤاد في الاستعمال) هو كلام غير دقيق، فالقلب مهماته في الإنــسان عديدة جداً، بل سر تصرفات الإنسان كلها. أما الفؤاد فلعل الأيام تكشف أنه (ذاكرة الجــسد) التــي أودع الله عز وجل فيها تسجيلاً دقيقاً لكل ما يقوم به المرء أو يفعله في حياته.

إذن فالفؤاد والقلب مصطلحان قرآنيان جديدا الدلالة، وليسا مترادفين كما ذهب إلى ذلــك بعض اللغويين، ومن يستقرئ الآيات التي ذُكر فيها الفؤاد والأخرى التي ذكر فيها القلب يــدرك تماماً الاختلاف بينهما في الدلالة، ويدل على ذلك أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام "أتــاكم أهــل اليمن، هم أضعف قلوباً، وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمانية"[٢].

---

(١) الجرجاني، التعريفات، ص١١٩.

(٢) النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، ج٢، ص٢٢١، رقم الحديث: ١٨٢.

الفلاح والفوز

الفلاح والفوز من الألفاظ التي عدّتها المعاجم مرادفة بعضها لبعض، إلا أنها ليست كـذلك في القرآن الكريم، كما سيتضح بعد قليل.

وردت مادة (فَـلَـحَ) ومشتقاتهـا في القرآن الكريم في ثلاثـين آية، منها قوله تعالى: M يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ L آل عمران/١٣٠.

وقوله تعـالى: M f g h i j k l m n o p r s t L آل عمران/١٠٤.

وقوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) L المؤمنون/١، ٢.

والفلاح والفَلَح في اللغة: الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير، وفلاح الدهرِ: بقـاؤه[1]، قال الأعشى:

فلـئن ربُّـكَ مـن رحمتِـه كَـشَـفَ الـضيِّقَـة عنّـا وفَـسَـحْ
أو لَـئِن كنـا كقـومٍ هلكـوا مـا لِحـيٍّ يـا لَقَـومي مِـنْ فَلَـحْ[2]

وقال النابغة:

وكُـلُّ فتـىً ستـشعبَه شـعوبٌ وإنْ أَثْـرى وإنْ لَقِـي الفَلاَحـا[3]

وأفلح الرجل: ظَفِر[4]، قال عبيد بن الأبرص:

أَفْلِحْ بما شِـئتَ فقـد يُـدْرِكُ بالـضَـعفِ وقـد يُخـدَعُ الأريـبُ[5]

---

(1) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، مادة (فلح).
(2) الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص٢٨٧.
(3) النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، ص٢١٤. الفلاح: البقاء.
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فلح).
(5) ابن الأبرص، ديوان عبيد بن الأبرص، ص١٤.

ومن ألفاظ الجاهلية في الطلاق: استفلحي بأمركِ: أي فوزي به، وقوم أفــلاح ومفلحــون: فائزون[١]؛ وقال صاحب التاج: ليس في كلام العرب كلِّه أجمع من لفظة (الفلاح) لخيري الــدنيا والآخرة[٢]. إنما قيل لأهل الجنة مفلحون لفوزهم ببقاء الأبد[٣]. والعرب تقول: إن الحديد بالحديد يُفْلَح[٤]. أي يُقطع ويُشق[٥]. ويقال للذي شُقّت شَفَتُه السفلى أفْلح وهو بَيِّن الفُلَحة[٦]، فــإذا شُــقت العليا فهو أعْلَم[٧].

تلك هي معاني مادة (فلح) ومشتقاتها عند العَرَب، ويتضح تماماً من قول صاحب التاج أن أهل اللغة لم يفرقوا بين الفوز والفلاح، فهما عندهم بمعنى واحد وقد عدّوا الفــلاح فــي الــدنيا والآخرة، أما حقيقة السياق القرآني فإنه جعل الفلاح خاصاً بالدنيا، وأنه طريق إلى الفوز العظــيم في الآخرة.

أما الفوز، فقد ورد في القرآن الكريم ست عشرة مرة، ومشتقاته ثلاث عشرة مرة، ومنهــا قوله تعالى:

M y z { | } ~ فَقَدۡ فَازَۗ L آل عمران/١٨٥.

M µ ¶ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ L النساء/١١٣.

M! " # $ % & L النبأ/٣١، ٣٢.

M D E F G H | J K L L آل عمران/١٨٨.

M طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ L الصف: ١٢.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فلح).
(2) الزبيدي، تاج العروس، مادة (فلح).
(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فلح).
(4) الميداني، مجمع الأمثال، م١، ص١١.
(5) ابن منظور، لسان، مادة (فلح).
(6) ابن فارس، مجمل اللغة، ج٤، ص٦٣.
(7) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (فلح).

ويتضح من الآيات أن الفوز مرتبط بالآخرة، فهو الظفر بالخير والنعيم والنجاة في الآخرة وهذا تخصيص من القرآن الكريم لدلالة الفوز، في حين هي في معاجم اللغة عامة في الدنيا والآخرة، فالفوز في معاجم اللغة: (الظفر بالخير والنجاة من الشر)[1]، وقال: النجاة والظفر بالأمنية والخير، وفاز به فوزاً ومفازاً ومفازةً. قال أبو إسحاق: أصل المفازة مَهْلَكَة فتفاءلوا بالسلامة والفوز، ويُقال: فاز إذا لقي ما يُغتبط، وتأويله: التباعد عن المكروه[2] وفوَّز: أي صار في مفازة بين الدنيا والآخرة، وقد سُميت تطيراً من الفلاة وهي المهلكة[3]، وقال ابن الأعرابي: سميت المفازة من فوّز الرجل: إذا مات والفوز: الهلاك[4]، قال كعب بن زهير:

فَمَنْ للقوافي شانَها مَن يَحوكُها إذا ما ثَوى كعبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ[5]

جاء في الجمهرة: الفوز ضد الهلاك[6] وإذا خرج قِدح في القمار قيل: قد فاز[7]، قال الطرماح:

وابنِ سبيلٍ قَرَيْتُه أُصُلاً مِن فَوْزِ حَمْكٍ مَنْسُوبَةٍ تُلُدُه[8]

قال صاحب اللسان تعليقاً على هذا البيت: (وإذا تساهم القوم على الميسر، كلما خرج قِدحُ رجل قيل: فاز فوزاً، والفوز: الهلاك)[9].

---

(1) الفراهيدي، العين، مادة (فوز).
(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فوز).
(3) الفراهيدي، العين، مادة (فوز).
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فوز).
(5) زهير، كعب، (١٩٥٠). ديوان كعب بن زهير، (د.ط)، القاهرة، الدار القومية، ص٥٩ وثوى وفوّز: مات. جَرْوَل: الحطيئة.
(6) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (فوز).
(7) الفراهيدي، العين، مادة (فوز).
(8) الطرماح، ديوان الطرماح، (١٩٩٤). تحقيق: عزة حسن، (ط٢)، بيروت، لبنان، دار الشرق العربي، ص١٤٠. أُصُلاً: عشياً. الحمك: القدح. منسوبة: معروفة. تُلُدُه: المال القديم الذي يولد عند الرجل أو يورث عن الآباء.
(9) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فوز).

والمفازة: البرية، وكل قَفْرٍ مفازة، وقيل: الفلاة التي لا ماء بها، قال ابن الأعرابي: سميت الصحراء مفازة؛ لأن من خرج منها وقطعها فاز، قال الراجز[١]:

فَوَّزَ من قراقِرٍ إلى سُوَى خِمساً إذا ما سارها الجِبسُ بكى[٢]

وبعدَ هذا العرض للفلاح والفوز في اللغة، وعَرض آيات في الفلاح وأخرى في الفوز، يتضح تماماً أن الفوز والفلاح مصطلحان أضفى عليهما القرآن الكريم دلالات جديدة، حتى أصبحا علمين في القرآن على الظفر في الدنيا للفلاح، والظفر في الآخرة للفوز؛ ذلك أن آيات الفلاح ارتبطت بأمور دنيوية، أما الفوز فقد ارتبطت آياته بالآخرة، إلا في آية واحدة تحدثت عن المثبطين الذين آمنوا إيماناً متزعزعاً، يظنون أن الفوز العظيم (هو في الحصول على سهم من غنيمة عابرة في يوم من أيام الدنيا) [٣]، يقول تعالى: M q r s t u v w x y z { | } ~أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ © كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ ´ µ ¶ L النساء/٧٢، ٧٣.

الفلاح والفوز إذن مصطلحان قرآنيان جديدا الدلالة، لكنها مستمدة من المعنى اللغوي الأصلي لهما؛ إلا أن القرآن خصصهما، فجعل الفلاح في الدنيا، والفوز في الآخرة، لكنهما مرتبطان؛ ففلاح الدنيا يؤدي إلى فوز الآخرة، كما أن عدم الفلاح في الدنيا يؤدي إلى عدم الفوز في الآخرة، وهذه معانٍ لم يعرفها العصر الجاهلي. فقد تولدت في البيئة الإسلامية.

---

(1) ابن فارس، مجمل اللغة، ج٤، ص٦٩.

(2) المصدر السابق، الصفحة نفسها، وقراقر وسُوَى: ماءان لكلب.

(3) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٣٩٣.

القرآن والكتاب

وردت لفظة (القرآن) في القرآن الكريم بهذه الصيغة ثمانيـاً وخمسين مـرة، وبـصيغة (قرآناً) عشر مرات وبصيغة (قرآنه) مرتين، هذا فضلاً عن الفعل (قرأ) ومشتقاته التـي وردت سبع عشرة مرة[١].

أما لفظة (الكتاب) فقد وردت بهذه الصيغة مئتين وثلاثين مرة، وبـصيغة (كتابـاً) اثنتـي عشرة مرة، وقد ذُكرت صيغ أخرى للفظة الكتاب عشرين مرة، هذا عدا الفعل (كتب) ومـشتقاته التي وردت سبعاً وخمسين مرة[٢].

والقرآن في اللغة (من قرأ، قرأه يقرَؤه ويقرُؤُه قَرْءاً وقِراءةً وقرآناً فهو مقروء. قـال أبـو إسحاق النحوي: يُسمى كلام الله تعالى الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابـاً وقُرآنـاً وفُرقاناً، ومعنى القرآن الجمع، وسُمي قرآناً لأنه يجمع السُّـور فيضمها. وروي عن الـشافعـي – رضي الله عنه- أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول: القرآن اسـم لـيس بمهموز ولم يؤخذ من قَرَأْتُ، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل)[٣]، وقال ابـن الأثيـر تكرر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكـلُّ شيء جمعتَه فقد قرأته، وسمي القرآن قُرآناً؛ لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد الوعيـد والآياتِ والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران[٤]. وكـذا ذهـب الراغـب صاحب المفردات إلى أن القرآن في الأصل مصدر، قال: (وخُصَّ بالكتاب المنزل علـى محمـد صلى الله عليه وسلم، فصار له كالعلم، كما أن التوراة لما أنزل على موسـى، والإنجيـل علـى عيسى عليهما السلام، قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعـاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم)[٥].

---

(١) عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (قرأ).

(٢) المرجع السابق، مادة (كتب).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرأ).

(٤) المصدر السابق، المادة نفسها.

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٤١١.

(والكتاب معروف والجمع كُتُب وكُتْب، وهو من كَتَبَ الشيء يَكْتُبه كَتْباً وكتاباً وكتابةً. وكتَّبه: خطَّه. والكتاب اسم عن اللحياني. وقال الأزهري: الكتاب اسم لما كُتب مجموعاً، والكتاب مصدر، والكتابة لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والخياطة. وقد قيل: إن الكتاب إذا أطلق يعني التوراة[١]، قال تعالى: Mنَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ L البقرة: ١٠١ وأنا لا أرى ذلك، لأن تعبير (الذين أوتوا الكتاب) يشمل كل من أنزل عليهم كتاب من اليهود والنصارى وغيرهم، والكتاب: ما أثبت على بني آدم من أعمالهم، والصحيفة والدَّواة عن اللحياني، قال تعالى: M n o p q L الطور: ٢/١.

والكتاب: الفَرْض والحُكْم والقَدَر، قال الجعدي:

يا ابنة عمي! كتاب الله أخرجني عنكم، وهل أمْنَعَنَّ اللهَ ما فعلا؟[٢]

قال تعالى: M \ [ ] ^ _ ` L البقرة: ١٧٨.

قال شمر: كل ما ذُكر في الكَتْبِ قريب بعضه من بعض، وإنما هو جمعك بين الشيئين...ومن ذلك سميت الكتيبة؛ لأنها تكتّبت فاجتمعت، ومنه قيل كتبتُ الكتاب؛ لأنه يجمع حرفاً إلى حرف)[٣].

من كل ما سبق يظهر تماماً أن الكتاب يختلف عن القرآن، وإذا كان الكتاب في القرآن الكريم قد حمل معاني عدة كما تبين سابقاً، فإن القرآن له معنى واحد لا غير. وإذا قال قائل لكن الكتاب والقرآن واحد، فأقول: صحيح الكتاب والقرآن شيء واحد، إذ شاء الله (أن يجعل الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم تشريعاً لقواعد الإسلام، وشاء أن يجعله أيضاً قرآناً عربياً لقوم يعقلون ليتحدى به أمة الفصاحة والبيان أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله) [٤].

فالكتاب أنزل قرآناً يتلى، قال تعالى: Mفَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ L القيامة: ١٨.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كتب).
(٢) الجعدي، النابغة أبو ليلى، (١٩٦٤). شعر النابغة الجعدي، (ط١)، بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي، ص١٩٤، وفي أساس البلاغة: (يا بنت عمي) وهو الصحيح ليستقيم الوزن.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كتب).
(٤) أبو عودة، عودة خليل، (١٩٩٦). "الكتاب والقرآن.. دراسة دلالية في السياق القرآني"، في: جمال، أبو حسان، (محرر)، دراسات إسلامية وعربية، (ط١)، الأردن، دار الرازي، ص٤٩١.

وبَعدُ، فالكتاب في القرآن بَعْدَ استقراء الآيات التي ورد فيها يعني: (الكتاب الجامع الذي جعل الله عزَّ وجل فيه حكمه وأمره وتدبيره وقضاءه وقدره لهذه الدنيا، ولمن فيها من خلق من الإنس والجن)(١).

ولمّا أَرْسَلَ الله رسله جعل لكل منهم كتاباً فيه تشريع (يلزمهم وينظم حياتهم، وهذه الكتب السماوية كلها تنبع من مصدر واحد هو أم الكتاب، وعن أم الكتاب هذا أنزل الله عز وجل على كل رسول من رسله كتاباً)(٢). فالكتاب إذن كتاب تشريع، والقرآن كغيره من الكتب السماوية كتاب تشريع.

هذا هو الكتاب في القرآن، أما القرآن فهو (قرآن الله عز وجل من حيث الفصاحة والبلاغة والبيان) (٣) وهو معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة إلى يوم القيامة.

وهذان المعنيان للقرآن والكتاب مصطلحان قرآنيان، أما الكتاب فجديد الدلالة، والقرآن مصطلح صنعه القرآن لم تعرفه العرب من قبل.

أقول: إن التشريع الإلهي لا ينفصل عن النظم الذي ورد فيه والشكل الذي نزل به؛ فالمضمون (الكتاب) والشكل (القرآن) يتلاحمان حتى يكونا شيئاً واحداً هو القرآن الكريم، وهذه فكرة يمكن أن تكون أساساً يبنى عليه أي بحث في موضوع اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون، في الدراسات اللغوية والأدبيّة.

القارعة

ذكرت لفظة (القارعة) خمس مرات في القرآن الكريم، في ثلاث سور، قال تعالى:

M h i j k l m n o p q r s t L الرعد/٣١.

وقال تعالى: M كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ L الحاقة/٤. وقال تعالى: M , - . / 0 1 2 3 4 L القارعة/١، ٢، ٣ بل إن في القرآن سورة اسمها (القارعة).

---

(١) المرجع السابق، ص٤٨٩-٤٩٠.

(٢) المرجع السابق، ص٤٩٠.

(٣) المرجع السابق، ص٤٩١.

(والقرْعُ: مَصْدر قَرَعْتُ الإنسانَ والدابّةَ بالعصا أقرَعُهُ قَرْعاً، وكل ما قَرَعــت بــه فهــو مِقْرعة)[١]، قال المتلمس:

لذي الحِلْمِ قبل اليوم ما تُقْــرَعُ العــصا   ومــا عُلِّــم الإنــسانُ إلا لِيُعْلَمَـــا[٢]

ويُقال: (أقرع القومُ وتقارعوا بينهم، والاسم: القُرْعة، وقارعتُه فقَرَعْتُه: أصابتني القُرعــة دونَهُ، وفلان قريع فلان: أي يقارعه، والقريع من الإبل: الفحل؛ لأنه يقرع الناقة؛ أي يــضربها، والقِراع: المضاربة بالسيف في الحرب)[٣].

(والقَرَعُ: بَثْر أبيض يخرج بالفُصْلان وحَشْو الإبل يُسْقِط وبَرَه، وقيل: يخرج في أعناق الفصلان وقوائمها، وفي أمثال العرب (أحر من القَرَع)[٤]، ومن أمثالهم: (اســتنّت الفِــصال حتى القَرْعى)[٥]: أي سَمِنَت، والقَرَع: قال ابن الأعرابي: جرب الإبل)[٦]. قال أوس بن حجر يصف خيلاً:

لــدى كــل أخــدودٍ يُغــادِرْنَ دَارِعـــاً   يَجُــرُّ كمــا جُرَّ الفصيــلُ المُقــرَّعُ[٧]

والعرب تقول: (إن العصا قُرِعت لذي الحِلْم)[٨]، وقد ذهب مثلاً من قول الحارث بن وعلة الهذلي:

وَزَعمــــتُم أنْ لا حُلُــــوم لنــــا   إن العــصا قُرِعــت لــذي الحِلْــم[٩]

---

(1) ابنُ دريد، جمهرة اللغة، مادة (قرع).
(2) الضبعي، ديوان شعر المتلمس الضبعي، ص٢٦.
(3) الفراهيدي، العين، مادة (قرع).
(4) الميداني، مجمع الأمثال، م١، ص٢٢٧.
(5) المصدر السابق، م١، ص٣٣٣.
(6) ابن منظور، اللسان، مادة (قرع).
(7) ابن حجر، أوس، (١٩٧٩). ديوان أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، (ط٣)، بيروت، دار صادر، ص٥٩. والدارع: حامل الدرع.
(8) الميداني، مجمع الأمثال، م١، ص٣٧.
(9) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرع)، لم يرد في ديوان الهذليين.

(وأصل هذا المعنى أن حَكَماً من حكام العرب يُدعى عمرو بن حُممَـة الـدّومي، قـضى ثلاثمئة سنة بين العرب فلما كبر قال لابنته: إذا أنْكَرْتِ من فهمي شيئاً عند الحكم فـاقرعي لـي المِجن بالعصا لأرتدع)[١].

والقارعة: القيامة، والشدة، وفلان من قوارع الدهر: أي شدائده[٢]. والقارعة: مـن شـدائد الدهر، وهي الداهية، قال رؤبة:

كَعْكَعْتُـــهُ بـــالرّجم والتّنجّـــهِ أو خـاف صَـقْعَ القارِعَـات الكُـدّهِ[٣]

جاء في اللسان: القارعة هنا: كل هَنة شديدة القرع، وهي القيامة أيضاً، قال الفراء: القَـرْع هو الضرب، والقارعة في اللغة: النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم، ولذلك قيل ليوم القيامـة القارعة. يُقال: قرعه أمر: إذا أتاه فجأة وجمعها قوارع. والاقتراع: الاختيار، والقريع: الخَيَـار، واقترع الشيء: اختاره، وقُرْعة كل شيء: خياره[٤].

والقارعة عند المفسرين اسم (من أسماء يوم القيامة كالحاقة والطامة والصاخة والغاشـية وغير ذلك)[٥]. وجاء في التسهيل: (من أسماء القيامة؛ لأنها تقرع القلوب بهولهـا، وقيـل هـي النفخة في الصور؛ لأنها تقرع الأسماع)[٦].

إن القارعة في القرآن صفة من صفات يوم القيامة، وهي مشهد من مشاهدها (تطيـر لـه القلوب شعاعاً، وترجف منه الأوصال ارتجافاً، ويحس السامع كأن كل شيء يتـشبث بـه فـي الأرض قد طار حوله هباءً) [٧].

وبهذا وبكل ما جمعت اللفظة من معان لغوية سبق بيانهـا كالـضرب والـشدة والعِظَـم والاختيار، وبما خصّها به القرآن من صفة ليوم القيامة ومشهد من مـشاهدها، فهـي مـصطلح

(1) المصدر السابق، المادة نفسها.
(2) الفراهيدي، العين، مادة (قرع).
(3) ابن العجاج، ديوان رؤبة بن العجاج، ص١٦٦.
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرع).
(5) ابن كثير، تفسير ابن كثير، م٧، ص٣٥٧. قطب، في ظلال القرآن، م٦، ج٣٠، ص٣٩٦٠.
(6) ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، م٢، ج٤، ص٢١.
(7) قطب، في ظلال القرآن، م٦، ج٣٠، ص٣٩٦٠.

قرآني جديد استمد دلالته من البيئة العربية مما عرفته العرب من قرع السيوف في الحرب، وقرع الفحل للناقة، وقرع العصا لذي الحلم، لكنها أخذت دلالة جديدة مخصوصة في القرآن الكريم، فأصبحت علماً على مشهد من مشاهد يوم القيامة.

يلحدون والإلحاد

ورد ذكر لفظة (يلحدون) في القرآن الكريم ثلاث مرات، وذكرت مشتقاتها مثل (إلحاد) مرة واحدة، و (ملتحداً) مرتين، وهي كما يأتي:

قال تعالى: C M D E F G I J K L M L M L الأعراف/١٨٠. وقال تعالى: M (* + , - . / 0 1 L النحل/١٠٣. وقال تعالى: M : ; < = > ? @ A L فصلت/٤٠.

وأصل (يلحدون) من (لَحَدَ)، والعرب عرفت (اللّحد) الذي هو الشِّق الذي يكون في جانب القبر، موضع الميت؛ لأنه قد أُميل مِن وسطه إلى جانبه، وهذا المعنى أُخِذَ من المعنى الأصلي (للّحد) وهو الميل والعدول عن الشيء، فقبر مُلْحَد ومَلْحُود، والجمع ألحاد ولحود، أنشد صاحب اللسان:

حتى أُغَـيَّبَ في أثناءِ مَلْحُودِ[1]

ويُقال: الرجل يلحَد إلى الشيء: أي يلجأ إليه ويميل) ، (فالملتحد) مكان اللجوء إلى ما يظنه المرء ملجأ من الله، قال الله عز وجل: M m n o p q r s t u v w x L الجن/٢٢، (ولحد إليه وألحد إليه بلسانه: أي مال. ويُقال: لَحَدَ المَيْتَ" أي دَفَنَهُ، ولَحَدَ في الدين، يَلْحَد وألْحَد: مال وعَدَل وجار[2]. قال تعالى: M < = > ? @ A B C D L الحج/٢٥.

استعمل القرآن الكريم (الإلحاد) بمعناه اللغوي الأصلي الذي هو الميل والعدول عن الشيء، لكنه نقل دلالته من العام وهو الميل والعدول عن أي شيء، إلى الخاص وهو الميل

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (لحد).

(2) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (لحد).

والعدول في الدين، فَسُمِّي (من عدل عن الحق وأَدْخَل ما ليس فيه مُلْحِدَاً) [١]، والآيات التي سبق أن ذُكرت شاهدة على هذا المعنى، ففي قولـــه تعـــالى: M I J K L M L الأعراف/١٨٠. أقوال للمفسرين في ماهية الإلحاد في أسماء الله، إذ يرى المفسرون أن الإلحـــاد في أسماء الله يكون على ثلاثة وجوه هي[٢]:

١- إطلاق أسماء الله على غير الله، فَسَمَّوا الأوثان آلهة، وبعضَ أصنامهم بأسماء مـــشتقة من أسماء الله؛ كاللات من (الله)، والعزى من (العزيز)، ومناة من (المنّان).

٢- تسمية الله تعالى بما لا يجوز تسميته بـــه؛ كقـــولهم: إن الله أب للمـــسيح، وكـــإطلاق الكرّامية لفظ الجسم على الله سبحانه تعالى وتسميته به.

٣- أن يذكر العبد ربَّه بلفظ لا يعرف معناه، ولا يتصور مسماه.

يقول ابن عباس في معنى الإلحاد: "تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه"[٣] وهذا شـــكل من أشكال الميل والعدول عن الحق والانحراف في الدين، يقول تعـــالى: M : ; < = > ? @ A L فصلت/٤٠.

وقال المفسرون في M < = > L، أي عند تلاوة القـــرآن بالمكـــاء والتـــصدية واللغو، وقيل: يكذبون بآياتنا، وقيل: يعاندون ويشاقون، وقيل: يشركون[٤].

وبعد، فإن (يلحدون) ومشتقاتها في القرآن الكريم، مصطلحات قرآنية جديدة الدلالة، مشتقة من المعنى اللغوي الأصلي في كلام العرب، إذ إن القرآن خصَّصَها بعد أن كانت تـــستعمل فـــي كل منحرف ومعوج، باتت في القرآن عَلَماً على من يُعاند في الدين ويُعرض عنه، بل ولا يؤمن أصلاً بوجود الله، فكل (مائل لاحد ومُلْحِد، ولا يقال (لاحد ومُلْحد) حتى يميل عـــن حـــق إلـــى باطل)[٥]، فالملحد (لا يعترف بوجود إله مطلقاً، وهذا هو الضلال المبين، وهذا الذي يُـــتَّهم فـــي

(1) انظر: المصدر السابق، المادة نفسها.

(2) الطبري، تفسير الطبري، م٦، ج٩، ص٩١-٩٢ – الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٨، ج١٥، ص٥٩- القرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٧، ص٣٢.

(3) القرطبي، تفسير القرطبي: م٨، ج١٥، ص٣٦٦.

(4) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (لحد).

عقله؛ ذلك أن آيات الخالق عز وجل جلية واضحة لا يُماري فيها إلا من أنكر عقله، وفسد ذوقه، وتعطلت حواسه)[١].

النَّصْرُ والفتح

يُعد (النصر والفتح) من الثنائيات التي عدّتها المعاجم وكتب التفسير بمعنى واحد، وإذ قام هذا البحث على أساس متين أنه لا ترادف في القرآن، فلا بد من بيان دلالة كل من هاتين اللفظتين وبخاصة أن في القرآن سورتين تحملان اسم (الفتح) و(النصر)، بل إن الله تعالى في سورة النصر يقول: L E D C B AM النصر/١ وهذه الآية تدل دلالة قاطعة على أن النصر غير الفتح، والفتح غير النصر.

عَرَفت العرب مادة (نصر) ومادة (فتح)، فأما (النصر) فقد ورد ذكره إحدى عشرة مرة، أما مشتقاتها فقد وردت في أكثر من مئة موضع، والنَّصْر في اللغة حمل عدة معانٍ عرفتها العرب، (يُقال: نَصَر الغيثُ البلادَ: أرواها)[٢]، (ونَصَر الغيثُ الأرضَ نَصْراً: غاثها وسقاها وأنبتها، قال الشاعر:

مَن كان أخطأه الربيعُ، فإنما ... نُصِرَ الحجازُ بغيثِ عبدِ الواحدِ)[٣]

قال: وهو من المجاز[٤]. قال ابن الأعرابي: النُّصرة: المطرة التامة، ومنه قيل: النواصر: مجاري الماء إلى الأودية واحدها ناصر، وواحدتها ناصرة، سميت كذلك لأنها تأتي من مكان بعيد إلى الوادي، ومنه قيل: نَصَر السُّيولَ ونَصَر البلادَ ينصُرها: إذا أتاها، وهو مجاز[٥]. قال الراعي يخاطب خيلاً:

إذا انْسَلَخَ الشهرُ الحرامُ فَوَدِّعي ... بلادَ تميمٍ، وانْصُرِي أرضَ عامرِ[٦]

---

(1) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٧٨.
(2) الفراهيدي، العين، مادة (نصر).
(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نصر).
(4) الزبيدي، تاج العروس، مادة (نصر).
(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نصر).
(6) الراعي النميري، أبو جندل عبيد بن حصين، (١٩٩٥). ديوان الراعي النميري، شرح: واضح الصمد، (ط١)، بيروت، دار الجيل، ص١٤٤.

ومن المعاني التي عرفها العرب للنصر: العطاء، نَصرَهُ يَنْصُرُه نَصْراً: أعطاه، وقف أعرابي على قوم فقال: انصروني نصركم الله، أي أعطوني أعطاكم الله[١]، وأضاف صاحب التاج: والنصائر: العطايا وهو من المجاز. [٢]

ومن معاني النصر عند العرب أيضاً: عون المظلوم وإعانته[٣]، والنُّصْرَة: حسن المعونة[٤] نقول: نَصَرَهُ على عدوه ونَصَرَهُ ينصُرُه نَصْراً، ورجل ناصر من قوم نُصَّار وأنصار ونَصْر، مثل صاحب وصَحْب[٥]، قال أبو ذؤيب الهذلي:

فإن كنتَ تشكو من قريب مخانةً   فتلك الجوازي عَقْبُها ونصُورُها[٦]

والعرب تقول: انْصر أخاك ظالماً أو مظلوماً[٧]، وقد عرف العرب هذا المعنى بمعنى مختلف عما جاء به الإسلام فيما بعد – سأبينه في موضعه بإذن الله.

وقال أمية الهذلي:

أولئك آبائي، وهُمْ لِيَ ناصرٌ   وهُمْ لكَ إنْ صانعتَ ذا مَعْقِلُ[٨]

ومن هذا المعنى قيل: انتصر الرجل: انتقم من ظالمه[٩]، ومنه أيضاً جاء المصطلح الإسلامي (الأنصار) وهم أنصار النبي صلى الله عليه وسلم، إذ غلبت عليهم الصفة فجرى مجرى الأسماء، وصار كأنه اسم الحي[١٠]، وهم أهل المدينة الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم. والعرب تسمي: نَصْراً ومنصوراً ونصيراً وناصراً[١١].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (نصر).
(2) الزبيدي، تاج العروس، مادة (نصر).
(3) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، مادة (نصر).
(4) الفراهيدي، العين، مادة (نصر).
(5) انظر: ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (نصر).
(6) الدار القومية للطباعة والنشر، ديوان الهذليين، ج١، ص١٥٨ وقد نسبه صاحب اللسان لخداش بن زهير، مادة (نصر).
(7) الميداني، مجمع الأمثال، م٢، ص٣٣٤.
(8) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نصر)، لم يرد في ديوان الهذليين، وهكذا ورد في لسان العرب، فالبيت مكسور.
(9) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، مادة (نصر).
(10) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (نصر).
(11) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (نصر).

وبعدَ هذا العرض لمعاني النصر عند العرب في جاهليتهم، وبعد النظر في آيــات القــرآن التي ذُكر فيها النصر، يتبين أن النَصْر استمد معناه القرآني من معناه اللغوي، لكن القرآن الكريم استعمله في معنى خاصٍّ، وهو أن النصر مقصور على الله عز وجل، ولا يتنزّل إلا لأهلــه، ولا يكون إلا لمن يستحقه ممن ينصر الله ويقاتل في سبيل رفع كلمته العليا[١].

يقول تعالى: M 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L الأنفال/١٠.

ويقول تعالى: M { | } ~ ٱلْمُؤْمِنِينَ L الروم/٤٧.

فالنصر مسند في القرآن إلى الله، وإذا أسند لغيره من بعض المخلوقات فما ذلك إلا (مــن قبيل التعجيز والاستخفاف بالمشركين؛ لأن من ينتصر بغير الله فلا ناصر له)[٢]، (وفــي هــذه الآيات يتضح كيف يكون النصر بمعنى الانتقام والانتصاف، يقول تعالى على لسان نــوح عليــه السلام):M ? @ A B C L القمر/١٠.[٣]

وبهذا يكون النصر في القرآن مصطلحاً قرآنياً جديداً بدلالته علــى أن الله ناصــر الخيــر والحق، وما النصر إلا من عند الله، في الوقت الذي عرفت العرب فيه نصر القريــب وإعانتــه سواء أكان ظالماً أو مظلوماً، فجاء الإسلام فجعل مقولة العرب: انصر أخاك ظالماً أو مظلومــاً، بمنعه من الظلم إن كان ظالماً، وإعانته على من ظلمه إن كان مظلوماً.

أما الفتح، فقد ورد في القرآن في ثماني آيات ومشتقاته في ثلاثين آيــة، منهــا قولــه تعالى: M I J K L M N O P Q L المائدة/٥٢. وقوله تعالى: M ´ µ ¶ يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمۡ L السجدة/٦٩.

والفتح في اللغة (من فَتَحه يَفْتَحه فَتْحاً، وافتتحه وفتّحــه فــانْفتح وتفــتّح، وهــو نقــيض الإغلاق[٤]، والفتح: كل ما بدأت به فقد استَفْتَحْتَه وبه سميت الحمد فاتحة الكتــاب)[٥]، (والفــتح:

---

(1) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٩٨.

(2) المرجع السابق، ص٢٩٩.

(3) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(4) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، مادة (فتح).

(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (فتح).

الماء المُفَتّح إلى الأرض ليُسقَى به، والفتح: الماء الجاري على وجه الأرض، وقيل: هو النهر)[١]، (وكل شيء انكشف عن شيء فقد انفتح عنه، ومنه قولهم: تفتّح الأكم عن النَّوْر)[٢] (والفتح: افتتاح دار الحرب، وجمعه فتوح والفتح: النصر، واستفتحت الشيء وافتتحه، والافتتاح: الاستنصار، والفتح: أن تحكم بين قوم يختصمون إليك)[٣]، وقد جعل صاحب التاج كل هذه المعاني مجازية. (قال ابن عباس: ما كنت أدري ما قوله عز وجل M ^ _ ` a b L الأعراف/٨٩ حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفاتحك: أي أحاكمك)[٤]، قال الأسعر الجعفي:

ألا مَنْ مُبلغٌ عمراً رسولاً فإني عن فُتاحتكم غني[٥]

(والفتح: الرزق الذي يفتح الله به وجمعه فُتُوح، الفتح: أول مطر الموسم، وقيل: أول المطر وجمعه فَتُوح) – بفتح الفاء - [٦]، قال ابن النجم:

كأنَّ تحتي مُخْلِفاً قَروحاً تُزْجي السَّحابَ العهدَ والفَتُوحا[٧]

بعد هذا العرض اللغوي لمعاني (الفتح) ومشتقاته، ننظر في الدلالة القرآنية لهذا المصطلح. فقد استعمل القرآن الكريم الفتح ومشتقاته بمعانٍ عدة، منها المعنى اللغوي الذي هو نقيض الإغلاق، يقول تعالى: M وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم ´ µ ¶ ¸ فِيهِ يَعْرُجُونَ L الحجر/١٤ واستعمل الفتح بمعنى الحكيم، ومن ذلك قوله تعالى: M ^ _ ` a b c d e f L الأعراف/٨٩.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (فتح).
(2) ابن منظور، لسان العرب، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (فتح).
(3) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، مادة (فتح).
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فتح).
(5) المصدر السابق، المادة نفسها.
(6) المصدر السابق، المادة نفسها.
(7) أبو النجم، الفضل بن قدامة العجلي، (١٩٩٨). ديوان أبي النجم، تحقيق: سجيع جميل الجبيلي، (ط١)، بيروت، لبنان، دار صادر، ص٦٠.

وهذان المعنيان عرفتهما العرب، أما ما استجد في القرآن، فإن الآيات تدل بوضوح على أن الفتح هو انتشار الإسلام بعد النصر، وهذا هو المعنى القرآني الذي جعل الفتح مصطلحاً قرآنياً جديداً، فالفتح انتشار بعد نصر، وهذا يتبين من خلال مجيء النصر والفتح معاً في سياق واحد في القرآن الكريم قال تعالى: M وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ L الصف/١٣، وقال تعالى: M A B C D E L النصر/١ وإن وجود سورتين في القرآن تحملان اسم النصر واسم الفتح، يدل دلالة قاطعة على عدم ترادفهما، إنما (الفتح نتيجة من نتائج النصر، والنصر نتيجة لازمة للجهاد في سبيل الله)[١].

التهجد

لم يَرِد التهجد في القرآن بهذه الصيغة، إنما جاء على صيغة فعل الأمر، مرة واحدة في سورة الإسراء، يقول تعالى:

M M N O P Q R S T U V W X L الإسراء/٧٩.

والتهجد في معاجم اللغة، من هَجَدَ يَهْجُدُ هُجُوداً وأَهْجَد: نام، وَهَجَد القوم هُجُوداً: ناموا. والهاجد: النائم، والجمع: هُجُود وهُجَّد[٢]، قال الحطيئة:

ألا طَرَقَتْ هندُ الهنودِ وصُحْبَتي بحورانَ حورانِ الجنودِ هُجُودُ[٣]

وقال أيضاً:

فحيّاكِ وَدٌّ ما هداكِ لِفِتْيَةٍ وخُوصٍ، بأعلى ذي طُوَالةَ هُجّدِ[٤]

جاء في الصحاح، هَجَد وتهجّد: نام ليلاً، وهَجَدَ وتهجّد: سهر، وهو من الأضداد والتهجيد: التنويم[٥]. قال لبيد يصف رفيقاً له في السفر غلبه النعاسُ:

---

(1) انظر، أبو عودة، التطور الدلالي، ص٣٠٢.
(2) الفراهيدي، العين، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (هجد).
(3) الحطيئة، ديوان الحطيئة، ص٣٦٢.
(4) المصدر السابق، ص١٤٨، ويروى: فَحَيَّاكِ وَدٌّ مَنْ هَدَاكَ لِفِتيةٍ، وود: اسم صنم. والخوص: الإبل غائرة العيون، وذي طوالة: مكان أو بئر.
(5) الجوهري، الصحاح، مادة (هجد).

ومَجُـــودٍ مـــن صُـبَابَاتِ الكَـــرى عـــاطفِ النُّمـــرُقِ صَـــدْقِ المُبتَـــذَلْ
قـــال:هَجّـــدْنا فقـــد طـــال الـــسُّرى وقـــدَرْنا إنْ خنـــى دهـــرٍ غَفَـــلْ[١]

قال ابن بُزرُج: أهْجَدْتُ الرجلَ: أنمته، وهَجَّدته: أيقظته[٢]، فهي من الأضداد إذن.

أما كتب التفسير فقد اتفقت مع معاجم اللغة في معنى التهجد، وقد نَقلت عنها، فجـاء فـي التفسير الكبير (قال الأزهري: المعروف في كلام العرب أن الهاجد هو النائم، وهَجَدَ هجوداً: إذا نام. وأما المتهجِّد فهو القائم إلى الصلاة من النوم، وكأنه قيل له: متهجِّد لإلقائـه الهجـود عـن نفسه، كما يُقال للعابد، مُتَحنّث لإلقائه الحنث عن نفسه، والأزهري بهذا توسط في تفـسير هـذا اللفظ بقوله: المعروف في كلام العرب أن الهاجد هو النائم، ثم رأينا أن في الشرع يقال لمن قـام من النوم إلى الصلاة: إنه متهجد) [٣].

وتهجّد: إذا ترك النوم، والتَهجُّد: التيقظ من النوم، وفي التنزيل: M O P Q R L الإسراء/٧٩[٤]. وتهجدوا: استيقظوا لصلاة أو لأمر، فالمتهجـد يكـون مـصلياً[٥]، وفـي التنزيـل: M M N O P Q R L أي تيقظ بالقرآن، وهو حثٌّ له في إقامة صلاة الليل المذكور في قوله تعالى: M$ % & ' L المزمل/٢[٦].

ومع أن المفسرين اتفقوا مع معاجم اللغة على معنى التهجـد ونقلـوا عـنهم، إلا أنَّ لهـم إضافات من باب تفسير التهجد شرعاً، فالتهجد: صلاة الليل، قال الواحدي: الهجود فـي اللغـة: النوم، وهو كثير معروف في الشعر، يقال: هجَدْته وأهجَدْته: أي: أنمته[٧].

---

(1) العامري، ديوان لبيد، ص١٨١/١٨٢ المجود: الذي ألح عليه النعاس فنام من الجَوْد: أي المطر الغزير، النمرق: الوسادة، صدق المبتذل: قوي لا يغير نفسه عند الابتذال. ويروى: (إن خنا الدهر) وهي أحداث الدهر.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (هجد).

(3) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١١، ج٢١، ص٢٥.

(4) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (هَجَدَ).

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (هَجَدَ).

(6) الزبيدي، تاج العروس: مادة (هَجَدَ).

(7) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١١، ج٢١، ص٢٥.

والتهجّد: التيقظ بعد رقدة، فصار اسماً للصلاة؛ لأنه ينتبه لها، فالتهجد القيام إلى الصلاة من النوم، قال الحجاج بن عمر: أيحسب أحدكم إذا قام من الليل كله أنه قد تهجد؟ إنما التهجد: الصلاة بعد رقدة، ثم الصلاة بعد رقدة، ثم الصلاة بعد رقدة، كذلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]. فالتهجد: التيقظ والسير بعد نومة من الليل، أما الهجود نفسه: فالنوم[٢].

وهكذا يتبين أن العرب عَرَفت مادة هَجَدَ ومشتقاتها، واستعملتها في أشعارها بمعنى النوم والتنويم للإنسان وغير الإنسان، جاء القرآن فخصص دلالة (هجد) إذ أصبحت تحمل دلالة شرعية إسلامية، تولدت في البيئة الإسلامية، فكان (التهجد) مصطلحاً إسلامياً دالاً على صلاة محددة هي صلاة الليل، ومصطلحاً خاصاً بالإنسان.

الميزان

ورد ذكر (الميزان) بهذه الصيغة في القرآن الكريم في تسعة مواضع في ست سور، وهي كالآتي:

قال تعالى: M - . / 0 L الأنعام/١٥٢. وقال تعالى: M W
X Y Z [\ ] L الأعراف/٨٥ وقوله تعالى: M H
I J K M N O L هود/٨٤ وقوله تعالى: M W X
Y Z [L هود/٨٥ وقال تعالى: M 4 5 6 7 8 L
الشورى/١٧ وقال تعالى: M Z [\ ] ^ _ ` a b c
d e f g h i L الرحمن ٧/٨/٩ وقوله تعالى: M % &
' ( ) * + L الحديد/٢٥

كما جاءت مشتقات (وزن) في القرآن غير الميزان بصيغة الفعل والمصدر واسم المفعول وجمع التكسير للميزان.

---

(1) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١١، ج٢١، ص٢٥، القرطبي، تفسير القرطبي، م٥، ج١٠، ص٣٠٨.

(2) الطبري، تفسير الطبري، م٨، ج١٥، ص٩٥.

(والوَزْنُ في معاجم اللغة أصله: ثِقَل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم)[١]، أو كما جاء في الجمهرة (مثقال كل شيء وزنه)[٢]. (والعرب تسمي الأوزان التي يوزن بها التمر وغيره المُسَوَّاة من الحجارة والحديد: الموازين، واحدها ميزان، وأصله (موزان) وجمعه (موازين)، ويجوز أن يقال للميزان الواحد بأوزانه موازين، قال تعالى: M : ; < L الأنبياء/٤٧، أي: الميزان. يُقال: وَزَنَ الشيء: أي رَجَح)[٣]، قال الأعشى:

وإن يُسْتَضافوا إلى حُكْمِهِ ... يُضافوا إلى هَادِنٍ قد وَزَن[٤]

وقد كثر كلامهم حتى قالوا: فلان راجح الوزن: إذا نسبوه إلى رجاحة الرأي، وشدة العقل، وإذا أراد الشاعر أن يفخر بقبيلته وازن بينها وبين أعدائها حيث يُظهر رجاحة كفة قبيلته[٥]، قال الربيع بن زياد العبسي[٦]:

لَئِن رحلت جمالي إنّ لي سعةً ... ما مثلها سعة عَرْضاً ولا طولاً
بحيث لو وُزِنت لَخْمٌ بأجمُعِها ... لم يَعْدِلُوا ريشةً من ريش سَمْوِيلا[٧]

(ثم أصبح الميزان يدل على المقدار نفسه، أنشد ثعلب:

قد كنتُ قبل لقائكم ذا مرّة ... عندي لكل مخاصمٍ ميزانُه[٨]

والميزان: العدل: أي النظير، قالوا: فلان وَزْنُ فلان: أي نظيره، قال الضحاك: الميزان: العدل)[٩].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (وزن).
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (وزن).
(3) الفراهيدي، العين، ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (وزن).
(4) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (وزن) وفي الديوان، (قد رَزَن)، ص٦٩. وهادن: ثابت.
(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (وزن).
(6) من دهاة العرب وشجعانهم ورؤسائهم في الجاهلية، نادم النعمان بن المنذر، ثم أفسد لبيد بينهما.
(7) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ج١٧، ص١٨٦، سمويلا: طائر، وقيل بلدة كثيرة الطير.
(8) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (وزن).
(9) المصدران السابقان، المادة نفسها.

اتفقت كتب التفسير في تفسيرها للفظة الميزان، فمرةً تفسرها تفسيراً مادياً؛ بأنه ميـــزان ذو كفتين يوزن به، وأخرى فسروها تفسيراً معنوياً فقالوا: هو العدل الذي أمر الله بـــه؛ إذ (يـــسمى العدل ميزاناً؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والعدل)(١).

ذلك تفسير (الميزان) في أمور المعاملات الدنيوية بين الناس، إذ إن (الميزان) ارتبط فـــي القرآن بالدنيا والآخرة، وكما فسرت كتب التفسير ميزان الدنيا تفـــسيراً ماديـــاً ومعنويـــاً، فإنهـــا فسرت ميزان الآخرة كذلك، فاختلفوا في تأويله: أهو ميزان ذو كفتين يزن أعمال الناس بالعـــدل، أم أن هذه الموازنة يوم القيامة هي من قبيل المجاز للدلالة على دقة الحساب يوم الحساب؟

(يرى ابن عباس أن ميزان الآخرة ذو كفتين، أما مجاهد فيرى أنه ليس ميزاناً إنمـــا هـــو مَثَلٌ يُضرْب) (٢). كما اخْتُلِف فيما إذا كان لكُل شخص ميزان أم لكل عمل ميزان، أم هو ميـــزان واحد؟ وهذا الأخير هو الأرجح(٣).

لقد استعمل القرآن الكريم المعاني اللغوية كلها للفظة الميزان، فجاء بمعنى مثقال كل شيء ووزنه فقال تعالى: M d e f g h i L الرحمن/٩ وجاء بمعنـــى المقدار في قوله تعالى: M u v w x y z { | } ~ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا L الكهف/١٠٥ وجاء بمعنى الآلة التي يوزن بها الأشياء، فقال تعـــالى: M Z [\ ] L الرحمن/٧.

ورغم (أن الإنسان لا يستطيع أن يتصور أو يحدد ما المقصود بالميزان يوم القيامة) (٤) إلا أنه يمكن القول: إن (الميزان) مصطلح قرآني حمل دلالة جديدة رغم معرفة العـــرب لـــه فـــي الجاهلية، ذلك أن (الميزان) ارتبط في بعض الآيات باليوم الآخر، فهو مشهد من مـــشاهد يـــوم القيامة، ومرحلة من مراحل محاسبة الناس، حيث تُوزَن أعمال البشر وأقوالهم موازنة فردية، إذ توزن أعمال كل إنسان وأقواله M A B C D E F G H I J K L M N O P Q L القارعة ٦-٩.

(1) القرطبي، تفسير القرطبي، م٨، ج١٦، ص١٥.
(2) الطبري، تفسير الطبري، م١٢، ج٣٠، ١٨٢.
(3) العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، م١٣، ص٥٣٨.
(4) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٣٨٢.

ومن ثمَّ هناك موازنة شاملـــة بين أصناف البشر جميعاً موازنة عادلة بين مؤمـــن وكافر، Mفَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ´ µ ¶ ¸ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ L النازعات/ ٣٧-٤١ إذ وَضَع الله العدل بين خلقه، وأمرهم به، فلا بد أن يكون هذا العدل نفسه قائماً بين الناس في نهاية الحياة عند الحساب، إذ إن (ميزان الآخرة وُضع لتقويم ميزان الدنيا)[١]، وقد صَوّر القرآن الكريم (العدل المطلق يوم القيامة ورسمه بصورة مادية؛ لتكون أقرب إلى ذهن العرب)[٢] صوّره من خلال موازنة مادية بميزان ذي كفتين (لا يحابي أحداً؛ لأنه يزن بالحق الإلهي)[٣].

---

(1) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٣٨٢.

(2) الصّفار، ابتسام مرهون، (١٩٦٦). التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد يوم القيامة، (ط١)، النجــف، العراق، مطبعة النجف، ص١٨٧.

(3) قطب، في ظلال القرآن، م٦، ج٢٧، ص٣٤٩٤.

الفصل الثالث

تراكيب جديدة في السياق القرآني

المبحث الأول

تراكيب جديدة صنعها القرآن الكريم

تقوم الدراسات الدلالية على النظر في الجمل والتراكيب، وتتشكل هذه الجمل والتراكيب اللغوية في أنماط لغوية متعددة، ولكل نمط من أنماط اللغة دلالات بيانية، ومعانٍ بلاغية، أفاضت كتب البلاغة في الحديث عنها[١]، ومن هنا سيتناول هذا الفصل (التراكيب الجديدة في السياق القرآني)، ومنها ما هو جديد من حيث إن القرآن الكريم صنعه فلم تعرفه العرب من قبل، ومنها ما عرفته العرب لكن القرآن الكريم أضفى عليها دلالات جديدة، وإذ إن التركيب يتكون من أكثر من كلمة، ولأن التراكيب التي ستدرس متعددة الموضوعات، فقد اتُّفِقَ أن ترتب وفق الترتيب الهجائي، على أن يكون الحرف الأول في الكلمة الأولى في التركيب هو الأساس، وستكون طريقة تناول التراكيب هي نفسها طريقة تناول الألفاظ في الفصل السابق، والله أسأله السدادَ.

---

(١) أبو عودة، البيان القرآني مفهومه ووسائله، ص٧١.

استوى على العرش

ورد هذا التركيب في القرآن الكريم، سبع مرات في سبع آيات في سبع سور، وهي كالآتي: L g f e d c b a ` _M الأعراف: ٥٤.

وقال تعالى: L \ [Z Y X WV T S Q P O NM يونس: ٣.

وقال عز وجل: L > = < ; 9 8 7 6 5 4 3M الرعد: ٢.

وقوله تعالى: L Q P O N M L K J I H G F E M الفرقان: ٥٩.

وقوله تعالى: L K J I H G F E D C B A @M L M السجدة: ٤.

وقال جل شأنه: L , + *) (' & % $ # " !M الحديد: ٤.

والمرة السابعة بترتيب مختلف هي في قوله تعالى: L \ [Z Y M طه: ٥.

والاستواء في كلام العرب يعني العلو والاستقرار، قال الجوهري: استوى من اعوجاج، واستوى على ظهر دابته: أي استقر، واستوى إلى السماء: أي قصد واستوى الرجل: أي انتهى شبابه، واستوى الشيء: إذا اعتدل[١].

والعرش: لفظ مشترك يطلق على أكثر من واحد[٢]، فهو البيت، وسقف البيت، والعرش: الخشب الذي يطوى به البئر بعد طيٍّ أسفله بالحجارة[٣]. والعرش: سرير الملك وهو مجاز[٤]، والعرش: اسم لمكة، والعرش: الملك والسلطان والعز[٥]، قال زهير:

تداركتما الأحلافَ قد ثُلَّ عرشُها　　　وذُبيانَ قَدْ زَلّت بأقدامها النعلُ[٦]

والعرش: السَّرير على الإطلاق[٧].

---

(١) القرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٧، ص٢٢٠.

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرش).

(٤) الزبيدي، تاج العروس، مادة (عرش).

(٥) القرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٧، ص٢٢٠.

(٦) ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١٠٩، وثل عرشها: أصابها ما كسرها وهدمها.

(٧) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (عرش).

ذلك هو الاستواء والعرش عند العرب، جاء القرآن فقرن بين الاستواء والعرش في سبع آيات، مرتبطة بجلال الله تعالى، (فاستواء الله جل شأنه دلالة على كمال الوجود والقدرة والعلم)[١]، دون تشبيه أو تجسيد أو أي تصور مادي ملموس محسوس، (فالله منزه عن الجهة والتحيز، وقد خُصّ العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، إلا أن الكيفية مجهولة، قال مالك – رحمه الله-: الاستواء معلوم – في اللغة- والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة، وكذا قالت أم سَلَمة رضي الله عنها) [٢]. وأضيف بأنه استواء أزلي أبدي لا يتغير.

وبعدُ، فإن تركيب (استوى على العرش) تركيب قرآني جديد صنعه القرآن مرتبطاً بجلال الله وقدرته وعظمته لم تعرفه العرب في الجاهلية. وإن المرء ليحس بأن في هذا التركيب دلالات ومعاني كثيرة قد تكشف عنها الأيام، ويهدي إليها العلم الحديث، مع تطور وسائل البحث والمعرفة.

أصحاب الكهف

وردت لفظة (الكهف) في القرآن الكريم بهذه الصيغة معرفة أربع مرات، وبصيغة (كهفهم) مرتين، أما تركيب (أصحاب الكهف) فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى: S M T U V W X Y Z [\ L الكهف: ٩.

وقد وردت هذه الألفاظ وهذا التركيب في سورة واحدة سميت بسورة الكهف.

والكهف: كالمغارة في الجبل إلا أنه واسع، فإذا صَغُرَ فهو غار وجمعه كهوف[٣]، وكِهاف[٤]، قال الجوهري: الكهف كالبيت المنقور في الجبل[٥].

وتكهَّفَ الجبل: صارت فيه كهوف[٦]، وتكهَّفتِ البئر: صار فيها مثل ذلك[٧]، قال ابن دريد: إذا أكل الماء أسفلها فسمعت للماء في أسفلها اضطراباً، والكهف: زعموا أنه السرعة في المشي

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٧، ج١٤، ص٩٤.
(٢) انظر: القرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٧، ص٢١٩/٢٢٠.
(٣) الفراهيدي، العين، مادة (كهف).
(٤) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (كهف).
(٥) الجوهري، الصحاح، مادة (كهف).
(٦) ابن منظور، لسان العرب، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (كهف).
(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كهف).

والعدو[١]، والكهف: الوَزَرُ والملجأ، (مجاز) يُقال: فلان كَهْفُ فلان: أي ملجأ[٢]، أنشد الصاغاني:

وكنتَ لهم كهفاً حصيناً وجُنّةً   يؤول إليها كهلها ووليدها[٣]

وقال بشر بن أبي خازم:

يسومون الصِّلاح بذات كَهْفٍ   وما فيها لهم سَلَعٌ وَقَارُ[٤]

وقال عوف بن الأحوص:

تَسُوقُ صُرَيمٌ شاءَها من جُلاجِل   إليَّ ودُوني ذاتُ كهفٍ وقُورُها[٥]

وتكهّف واكتهف: لزم الكهف[٦]، وأكيهف: اسم موضع[٧].

لقد ارتبطت لفظة الكهف في القرآن الكريم بفتية مؤمنين، استنكروا ما كان عليه قومهم من عقيدة فاسدة، فلما اختلفت عقيدتهم عن عقيدة قومهم، أيقنوا أن لا سبيل إلى الالتقاء، أو المشاركة في الحياة، فلا بد من الفرار بالعقيدة، فاختاروا الكهف على بهجة الحياة[٨]، فكانوا أصحاب الكهف إذ ناموا ثلاثمئة سنة وازدادوا تسعاً، فكان الكهف في القرآن مصطلحاً جديداً بدلالته على العزلة في حال ظهور الفتن والفساد في الأرض، ومن ثم كان تركيب (أصحاب الكهف) تركيباً قرآنياً جديداً، إذ أصبح علماً على أولئك الفتية المؤمنين، حتى بات الناس في واقع استعمالهم يتخذون منه ما يشبه المثل فيقولون: نومة أهل الكهف، أو أصحاب الكهف.

---

(١) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (كهف).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (كهف).

(٣) الفراهيدي، العين، الزبيدي، تاج العروس، مادة (كهف).

(٤) الأسدي، بشر بن أبي خازم، (١٩٧٢). ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: عزة حسن، (ط٢) دمشق، منشورات وزارة الثقافة، والسلع والقارة: شجران مرّان، ص٦٩.

(٥) التبريزي، شرح المفضليات، ج٢، ص٦٥٧، صريم: قبيلة، جلاجل: اسم موضع، كهف: اسم موضع. وقورها: المرتفع الصلب.

(٦) الزبيدي، تاج العروس، مادة (كهف).

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كهف).

(٨) انظر، قطب، في ظلال القرآن، م٤، ج١٥، ص٢٢٦٢.

هذا وقد وردت تراكيب عدة في القرآن الكريم يتألف كل منها من كلمة (أصحاب) (مضاف) ومن كلمة أخرى (مضاف إليه)، وبذا تشكلت في القرآن الكريم التراكيب اللغوية الآتية:

- أصحاب النار.
- أصحاب الجنة.
- أصحاب الجحيم.
- أصحاب السبت.
- أصحاب الأعراف.
- أصحاب مدين.
- أصحاب الأيكة.
- أصحاب الحجر.
- أصحاب الكهف.
- أصحاب الصراط السويّ.
- أصحاب الرس.
- أصحاب موسى.
- أصحاب السفينة.
- أصحاب السعير.
- أصحاب القرية.
- أصحاب الميمنة.
- أصحاب المشأمة.
- أصحاب اليمين.
- أصحاب الشمال.
- أصحاب القبور.
- أصحاب الأخدود.
- أصحاب الفيل.

هذا وقد رتّبت هذه التراكيب وفق ورودها في سور القرآن الكريم(١). ومنها ما لا يتجاوز الدلالة اللغوية المستفادة من هذا التركيب، مثل: أصحاب مدين، وأصحاب الحجر، وأصحاب الرس، وأصحاب موسى وغيرها، ومنها ما يتضمن مصطلحاً قرآنياً جديداً صنعه القرآن لدلالة محددة، دُرست في سياقها في هذا البحث، مثل: أصحاب الجحيم، وأصحاب السبت، وأصحاب الأعراف.

أم الكتاب

ورد تركيب (أم الكتاب) في القرآن الكريم ثلاث مرات، وهي كالآتي:

قال تعالى: M g h i j k l m n o p q L آل عمران:٧.

وقال تعالى: M يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ © وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ L الرعد: ٣٩.

---

(١) انظر، عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (صحب).

وقال تعالى: UM V W X Y Z [\ ] ^ _ `
a b L الزخرف: ٣/٤.

(والأُمُّ والأُمَّة: الوالدة، أنشد ابن بري:

تَقَبَّلها من أُمَّة، ولطالما ... تُنُوزِع في الأسواق منها، خمارُها

والجمع: أُمّات وأمهات، وقال بعضهم: الأمهات فيمن يعقل والأُمّات فيمن لا يعقل. قال ابن بري: وربما جاء بعكس ذلك)[١].

وفي الصحاح: أصل الأم أُمَّهَةٌ؛ لذلك تجمع على أمهات، ويُقال يا أُمَّةِ لا تفعلي ويا أبَةِ افعل؛ يجعلون علامة التأنيث عوضاً عن ياء الإضافة، وتقف عليها بالهاء[٢]. (قال الليث: تفسير الأُمِّ في كل معانيها أُمّة؛ لأن تأسيسه من حرفين صحيحين، والهاء فيها أصلية، ولكن العرب حذفت تلك الهاء إذا أمنوا اللبس. وأُمُّ كل شيء: أصله وعماده؛ روى الربيع عن الشافعي: العرب تقول للرجل يلي طعام القوم وخِدمتهم هو أُمُّهم، وأنشد للشنفرى:

وأُمُّ عِيالٍ قد شَهِدْتُ تَقُوتُهُم ... إذا أطْعَمَتْهُم أَوْتَحَتْ وأَقَلَّتِ[٣]

وأم الكتاب: فاتحته؛ لأنه يبدأ بها في كل صلاة. قال الزجاج: أصل الكتاب، وقيل: اللوح المحفوظ)[٤].

(والكِتاب معروف والجمع كُتُب وكُتْب، وكَتَبَ الشيءَ يكتُبه كُتْباً وكِتَاباً وكِتَابةً، وكَتَّبه: خَطَّه، والكِتاب اسم عن اللحياني) [٥]، (وقيل: هو مصدر)[٦].

أقول: إن تركيب (أم الكتاب) تركيب قرآني جديد لم تعرفه العرب قبل القرآن، فهو تركيب يدل على (أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود، وسائر ما يحتاجه الخلق من

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أمم).
(٢) الجوهري، الصحاح، مادة (أمم).
(٣) التبريزي، شرح المفضليات، ج١، ص٣٨٩، وأوتحت: أي قلَّت.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أمم).
(٥) المصدر السابق، مادة (كتب).
(٦) الزبيدي، تاج العروس، مادة (كتب).

أمور دينهم، وما كلفوا به من فرائض في عاجلهم وآجلهم)[١] بل وأشمل من هذا، فإنــه تركيــب قرآني يمثل (الكتاب الجامع الذي جعل الله عز وجل فيه حكمه وأمره وتدبيره وقــضاءه وقــدره لهذه الدنيا ومن فيها من الخلق)[٢]. وهذا الكتاب أو أم الكتاب (من الأساسـيات التـي علينـا أن نؤمن بها كإيماننا بالله واليوم الآخر والملائكة) [٣]، وهذا الكتاب موجود يوم خَلَق الله الـسماوات والأرض، أي قبل وجود الإنسان، وقيل: قبل وجود الرسل والأنبياء، وقبل أن يتنــزل علـيهم شيء من عند الله[٤]. قال تعـالى: ~ } | { z y x w v u t M يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ L التوبة: ٣٦.

والكتب السماوية – والقرآن الكريم أحد هذه الكتب- كتبٌ (كلها مستمدة من أصـل واحـد هو أم الكتاب، ولذلك لم تختلف الكتب السماوية في الثوابت الأساسية التي نادت بها) [٥].

أما إن قال قائل: فأين هذا الكلام من قوله تعالى: m l k j i h g M n o p q L آل عمران: ٧.

فالقول: (إن الله تعالى أعطى لآياته المحكمات صفة (أم الكتاب)، لأنهـنّ معظـم الكتـاب وموضع مفزع أهله عند الحاجة إليه، وكذلك العرب تفعل تسمي الجامع معظم الشيء أمَّاً له)[٦]، وما هذه الآيات المحكمات التي وصفت بأم الكتاب إلا من ذاك الكتاب الأم الذي عند الله؛ فالقرآن الكريم (قد صار شيئاً يتلى من هذا الكتاب المبين)[٧]. (فأمُّ الكتاب) إذن تركيــب قرآنــي جديــد صنعه القرآن الكريم ليكون عَلَماً على الكتاب الجامع الذي فيه حكم الله وأمره وتدبيره وقــضاؤه وقدره للخلق في هذه الدنيا.

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، م٣، ج٣، ص١١٣.
(٢) أبو عودة، "الكتاب والقرآن.. دراسة دلالية في السياق القرآني"، ص٤٨٤.
(٣) المرجع السابق، ص٤٨٤.
(٤) انظر: المرجع السابق، ص٤٨٤.
(٥) المرجع السابق، ص٤٨٤.
(٦) الطبري، تفسير الطبري، م٣، ج٣، ص١١٣.
(٧) أبو عودة، "الكتاب والقرآن.. دراسة دلالية في السياق القرآني"، ص٤٨٤.

حبطت أعمالهم

ورد هذا التعبير بهذه الصيغة في القرآن الكريم سبع مــرات، ووردت مــشتقات (حــبط) بصيغ أخرى تسع مرات كلها مرتبطة بالعمل، ومن ذلك قوله تعالى: Mوَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ L المائدة: ٥.

وقولـــه تعـــالى: M y z { | } ~ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ L الحجرات:٦. وقوله تعالى: Mلَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ © عَمَلُكَ L الزمر: ٦٥.

وهذا تركيب استمده القرآن الكريم من واقع حياة العرب، إذ إن العــرب تقــول: حَبِطـت الدابة حَبَطاً: إذا أصابت مرعى طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت، قال ابن سيده: وجــع ببطن البعير من كلأ يستوبله أي يستوخمه، أو من كلأ يُكثر منه فتنتفخ منه بطونها فــلا تخــرج عنها ما فيها. وقال الأزهري: إنما تحبط الماشية إذا لم تثلط ولم تبُل واعتُقــل بطنهــا. وقــالوا: الحَبَط: ورم في الضرع[١]. إنّ كل هذا يدل على أن الحَبَطَ والحُبَاطَ الذي عرفتــه العــرب هــو انتفاخٌ يصيب الدابة حتى إن الناظر إليها يظن أنها سمينة بصحة وعافية، وفــي الحقيقــة هــي مريضة، وقد يؤدي هذا الانتفاخ إلى موتها. أقول: جاء القرآن فأخذ هذا المعنى ليرســم صــورة للإنسان يعمل في الدنيا أعمالاً كثيرة، لكنها ليست ابتغاء وجه الله، إنما مراده المدح والثناء مــن الناس فأحبطها، أي أفسدها وأبطلها بنيته هذه، فحبطت أعماله بهذا في الدنيا والآخرة، وحبــوط عمله في الدنيا بألا يوصله الله (إلى مراده ولا يستحق النصرة والموالاة والثناء الحسن، وأما في الآخرة فهو عدم استحاق الثواب)[٢].

وبهذه الدلالة الجديدة كان تركيب (حبطت أعمالهم) تركيباً قرآنياً جديداً، انتزعــه القــرآن الكريم من بيئة العرب ودلالات لغته التي يتحدث بها.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبط).

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٣، ج٦، ص٣٣.

ذات الصدور

وردت لفظة (الصدور) في القرآن في عشرين آية، اثنتي عشرة مرة منها ضمن تركيب (ذات الصدور)، ومنها قوله تعالىM يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ L هود:٥.

وقال تعالى: M e f g h i j k l m L الزمر: ٧.

وقوله تعالى: M ! " # $ % ' ( ) * L الملك: ١٣.

و (ذات) كلمة وُضِعت لنسبة المؤنث كما أن (ذو) كلمة وضعت لنسبة المذكر[١].

والصَّدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله: وهو واحد الصُّدور، يقولون: صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف[٢]، والصدر مذكر، قال الأعشى:

وتَشْرَقَ بالقول الذي قد أذَعْتَه كما شَرِقتْ صدرُ القناةِ من الدَّمِ[٣]

وقد أنَّث الصَّدر؛ ذلك أن العرب تؤنث الاسم المضاف إلى مؤنث[٤]. والسؤال: ما معنى (ذات الصدور) في القرآن وما دلالتها؟

قالوا: إن الله ذو علم بالذي في صدور جميع خلقه[٥]، وقالوا: المراد (بذات الصدور) الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه، وهي حالة في القلب منتسبة إليه فقال: ذات الصدور، أي إن الله عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من خواطر وبواعث وصوارف[٦].

إن الصدور موضع سر تصرفات الإنسان، وسر عمله، والقلب موجِّه لهذه الأعمال لذا فرق القرآن بين الصدور والقلوب، قال تعالى: M f g h i j k l m n L آل عمران: ١٥٤.

---

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٤، ج٨، ص١٧٦.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صدر).
(٣) الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص١٧٣. وتَشْرَق: تَغُصُّ.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صدر).
(٥) الطبري، تفسير الطبري، م٣، ج٤، ص٤٤.
(٦) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٤، ج٨، ص١٧٦.

وبالنظر في الآيات التي ورد فيها هذا التركيب (ذات الصدور)، يتبين تماماً أن هذا التركيب في القرآن يشير إلى حقيقة علمية تنتظر جهود الباحثين والعلماء، وهي إمكانية أن يكون في الجسد الإنساني جهاز يسجل أعمال الإنسان ويحتفظ بها كالذاكرة، بل ربما يكون هو ما نسميه الذاكرة، وبخاصة أن تعبير (ذات الصدور) يشعر بذلك. ولو تدبرنا الآيات التي ذكرت هذا التركيب لرأينا أن (ذات الصدور) تسجل علينا كل ما نقوم به وما نتحدث به سراً أو جهراً، وهذا التسجيل يتم عن طريق ما نستمع إليه وما نتكلم به، وهذا أمر بحاجة إلى مزيد من جهود العلماء الجادين في سبيل المعرفة الإنسانية المتطورة.

بهذه الدلالة يتبين لنا أن (ذات) هنا ليست بمعنى صاحب، بل إن (ذات الصدور) مصطلح تركيبي بمثابة لفظة واحدة، وبتلك المعطيات كلها كان هذا التركيب اللغوي تركيباً جديداً لم تعرفه العرب قبل نزول القرآن.

سُقِطَ في أيديهم

هذا تركيب ورد ذكره في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: M ¶ ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ L الأعراف: ١٤٩.

أما مادة (سقط) وما اشتق منها فقد وردت في القرآن ثماني مرات في ثماني سور، مرة واحدة لِكُلٍّ منها وهي. سقطوا، تَسْقُط، سُقِطَ، تُسَاقِط، تَسْقُط، نُسْقِط، فَأَسْقِط، سَاقِطاً. كلها بصيغة الفعل إلا واحدة بصيغة اسم الفاعل.

(وسَقَط يَسقُط سُقوطاً فهو ساقط وسَقُوط، وسَقَط الشيء من يدي سُقوطاً: وقع. والسَّقْطَة: الوقعة الشديدة. وتَسَاقَطَ الشيءُ: تتابع سُقوطه وأسْقَطَهُ هو، وساقَطَه مُسَاقطة وسِقاطاً: أسْقَطه وتابع إسقاطه. قال ضابئ بن الحرث البُرجمي يصف ثوراً والكلاب:

يُسَاقِطُ عنه رَوْقُه ضَارِيَاتِها   سِقَاطَ حديدِ القَيْنِ أَخْوَلَ أَخْوَلا)[1]

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سقط). وأخول أخولا: أي متفرقاً، يقصد شرر النار.

ومن أمثال العرب: (سَقَطَ العَشَاء به على سِرْحان، يضرب للرجل يبغي البغية فيقع في أمر يهلكه)[١].

والسَّقْط والسِّقاط: الخطأ في القول والحساب والكتاب، وأسْقَط وسَقَط في كلامه وبكلامه سُقوطاً: أخطأ. يُقال: سَقَط من يدي وسُقِط في يد الرجل: زلّ وأخطأ[٢]، أضاف: وهو من المجاز[٣]. وقيل: نَدِمَ، قال الزجاج: يُقال للرجل النادم على ما فَعَل، الحَسِرُ على ما فرط منه: قد سُقِط في يده وأُسْقِط[٤]. ورجل قليل السِّقاط: أي قليل الخطأ والزلل[٥]، قال سويد بن أبي كاهل:

كيف يَرجون سِقَاطي بعدما   لاح في الرأسِ بياضٌ وصَلَعْ[٦]

وقال أبو عمرو: لا يُقال أُسقِط بالألف على ما لم يُسَمَّ فاعله، قال الفارسي في الآية M ۡ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ L: ضربوا أكفَّهم على أكفهم من الندم، فإن صح ذلك فهو من السقوط، وقد قرئ (وسَقَط في أيديهم) فكأنه أضمر الندم: أي سَقَط الندم في أيديهم كما تقول لمن يحصل على شيء وإن كان مما لا يكون في اليد: قد حصل في يده من هذا مكروه، فشبه ما يحصل في القلب والنفس بما يحصل في اليد ويُرى بالعين[٧]. ذلك أن ما حلّ بالقلب يظهر أثره في البدن[٨].

وقال الفراء: يُقال: سُقِط في يده وأُسْقِط من الندامة، وسُقِط أكثر وأجود. والسَّقَط: الفضيحة، والسُّقط والسِّقط: الولد يسقط من بطن أمه لغير تمام[٩]. (وأسقطت الناقة وغيرها إسقاطاً: ألقت ولدها، قال بعضهم: أماتت العرب ذكر المفعول فلا يكادون يقولون: أَسْقَطت سقطاً، ولا يُقال: أُسْقِط الولدُ بالبناء للمفعول، إلا أنه ورد في قول بعض العرب:

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، م١، ص٣٢٨.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سقط).
(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة (سقط).
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سقط).
(٥) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (سقط).
(٦) التبريزي، شرح المفضليات، ج٢، ص٧٣٧ وسقاطي فترتي وسقطتي.
(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سقط).
(٨) القرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٧، ص٢٨٦.
(٩) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سقط).

وأُسْــقِطَتِ الأجنّـــة فـــي الوَلايـــا وأُجْهِــضَتِ الحوامــلُ والــسِّقابُ)[١]

اتفق المفسرون بالإجمال على أن هذا التركيب (سُقِط في أيديهم) جاء استعارة لشدة النــدم الذي أصاب قوم موسى عليه السلام على عبادتهم العجل، لكنهم اختلفوا في أصل هذا التركيــب وهذه الاستعارة، فقالوا: هو من سقوط الشيء من أعلى إلى أسفل، والمعنى يكون: أن من أَقْــدَم على عمل لاعتقاده بصحة ذلك العمل وصوابه وخيره، ثم يتبين له أنه كان عملاً باطلاً فاســداً، فكأنه انحط من الأعلى إلى الأسفل، فكأنه سقط من فوق إلى تحت، لذا قالوا للرجــل إذا أخطــأ: كان ذلك منه سقطة، فجاز بهذا إطلاق السقوط على الحالة الحاصلة من الندم، أما ذكر اليد فذلك أنها الآلة التي بها يستطيع المرء الأخذ والضبط والحفظ فيتدارك ويتلافى الخطأ بعدها[٢].

قال الواحدي عن بعضهم: إن هذا مأخوذ من السَّقط، وهو ما يغشى الأرض بالغدوات شبه الثلج فيقال منه: سقطت الأرض، كما يُقال من الثلج: ثلجت الأرض، فالمعنى يكون على هذا في M ﮋ فِىٓ أَيۡدِيهِمۡ L: أي وقع في أيديهم السقيط، والسقيط يذوب بأدنى حرارة فيذهب، فمن وقع في يده السقيط لم يحصل منه على شيء قط، فصار يُضرب مثلاً لكل من خسر عاقبته ولــم يحصل من سعيه على طائل، فكان الندم آخر أمره[٣].

وقيل هو من السقوط على الوجه، ذلك أن النادم يطأطئ رأسه ويضعه على يــده معتمــداً عليها، وتارة يضعها تحت ذقنه وشطر من وجهه على هيئة لو نزعت يده لسقط وجهه، فكانــت اليد بذلك مسقوطاً فيها لِتمكُّنِ السقوط فيها، وبهذا قــالوا: M ﮋ فِىٓ أَيۡدِيهِمۡ L أي: علــى أيديهم كقوله تعالى: M w x y z L أي عليها[٤].

وقيل أصل تركيب (سقط في أيديهم) من الاستئسار، وهو أن يــضرب الرجــلُ الرجــلَ أو يصرعه فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره أو يكتنفه، فالمرمي مسقوط به في يــد الــساقط[٥]، فقالت العرب لكل عاجز عن شيء ومصارعٍ لعجزه متندمٍ على ما فاته: سُقط في يديه وأُسقط، وهما

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، مادة (سقط) والسقاب جمع سِقْب وهو ولد الناقة الذكر ساعة يولد.
(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٨، ج١٥، ص٨.
(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٤) المصدر السابق، م٨، ج١٥، ص٩.
(٥) الطبري، تفسير الطبري، م٦، ج٩، ص٤٣ والقرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٧، ص٢٨٦.

لغتان فصيحتان[١]. وقد ذكر بعض النحويين أن قول العرب: سُقط في يده: فعل لا يتصرف فلا يستعمل منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مفعول وكان أصله متصرفاً، وقال الجرجاني: وهو مما دُثِر استعماله مثلما دُثِر استعمال قول ربنا: M o p q L، قال ابن عطيه: وفي الكلام ضعف والسِّقاط في كلام العرب: كثرة الخطأ والندم عليه، وحُكي عن أبي مروان بن سرح أحد أئمة اللغة في الأندلس قوله: قول العرب: (سُقِط في يده) مما أعياني معناه[٢].

أقول: إن تركيب (سُقِط في أيديهم) تركيب قرآني جديد لم أقع عليه فيما نظرت فيه من شعر العرب وأمثالها، وقد نقل الزبيدي عن الصاغاني في العباب فقال: (هذا نظم لم يُسمع قبلَ القرآن ولا عرفته العربُ والأصل فيه: نزول الشيء من أعلى إلى أسفل ووقوعه على الأرض، ثم اتُّسِعَ فيه، فقيل للخطأ من الكلام: سَقَطٌ)[٣]، وهذا الكلام كافٍ للقول بأن هذا التركيب تركيب قرآني جديد صنعه القرآن الكريم.

عليهم دائرة السَّوء

ورد هذا التركيب في آيتين اثنتين فقط، هما كالآتي:

قال تعالى: Mوَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ L التوبة: ٩٨.

وقال تعالى: M l m n o q r s u v w L الفتح:٦.

ودار الشيءُ يدور دَوْراً ودَوَرَاناً ودُؤُوراً، واستدار وأدَرْتُه ودوّرتُه: إذا طاف حول الشيء، وإذا عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه، وفي الحديث: (الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض) [٤].

والدائرة: الحلْقة أو شبهها أو الشيء المستدير، والدائرة: الهزيمة والسُّوء، قال تعالى: M q r s L، وقال تعالى: M D E F G L المائدة: ٥٢.[٥]

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، م٦، ج٩، ص٤٣.
(٢) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، م٤، ص٣٩٣.
(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة (سقط).
(٤) البخاري، متن البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، م٣، ص٨٤.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (دور).

ولا بدّ من وقفة هنا، إذ يظهر تماماً أن معاجم اللغة قد خلطت بين السَّوء والسُّوء والدائرة وعدّتها جميعها بمعنى واحد، مع أن لكل واحدة منها دلالة ومعنى، والدليل أنها جاءت كلها في القرآن، والقرآن لا ترادف فيه، فقد وردت لفظة (السَّوء) – بالفتح- تسع مرات، ولفظة (السُّوء) – بالضم- أربعاً وأربعين مرة، ولفظة (دائرة) ثلاث مرات، هذا عدا تركيب (دائرة السَّوء) الذي جمع بين اللفظين، بل واختصت لفظة (دائرة) بلفظة (السَّوء) – بالفتح- دون (السُّوء) – بالضم-.

(وساءَه يسوؤه سُوءاً وسَوْءاً وسَوَاءً وسَواءةً وسَوَايةً وسوائِيةً، والسُّوء الاسم، والسَّوء المصدر. والسُّوء: الفجور والمنكر، قال الليث: ما ذُكر بسيء فهو السُّوء. والسُّوء: اسم جامع للآفات والأمراض، وقرئ قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتح والضم، قال الفراء: السَّوء – بالفتح – أكثر، وقلما تقول العرب: دائرة السوء – بالضم-)[١] وفتح السين هو الوجه[٢].

قال الأخفش في﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾: أي عليهم دائرة الهزيمة والشر، وقال الفراء: أي عليهم دائرة العذاب والبلاء[٣]. والدائرة هنا يجوز أن تكون واحدة ويجوز أن تكون صفة غالبة، وهي إنما تستعمل في آفة تحيط بالإنسان كالدائرة حيث لا يكون له منها مخلص[٤]، قال أبو علي الفارسي: لو لم تُضف الدائرة إلى السَّوء أو السُّوء لما عُرف منها معنى السوء؛ لأن دائرة الدهر لا تستعمل إلا في المكروه[٥].

أقول: لم أقف – فيما اطلعت عليه- على أن العرب استعملت هذا التركيب قبل الإسلام، وقول أبي علي الفارسي الذي سبق ذكره فيه إشارة إلى هذه النتيجة التي أقولها، كما أن هذا التركيب هو تركيب يدل على غضب الله على المنافقين الذين يتربصون موت رسول الله، الظانين بالله ظنّ السَّوء (ودعاء الله معناه وقوع مدلول الدعاء عليهم، كأن للسوء دائرة تطبق عليهم فلا تفلتهم، وتدور عليهم فلا تدعهم، وذلك من باب تجسيم المعنوي وتخييله، الذي يعمق

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، مادة (سوأ).

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٨، ج١٦، ص١٣٢.

(٣) القرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٨، ص٢٣٤.

(٤) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٨، ج١٦، ص١٣٢.

(٥) المصدر السابق، م٨، ج١٦، ص١٣٣.

وقع المعنى ويحييه)[١]. هذه المعاني، فضلاً عن تخصيص الدائرة بالسَّوء – بالفتح دون الضم- خصص المدلول أكثر بالبلاء والحزن والهزيمة في الدنيا والهلاك والعذاب في الآخرة لهؤلاء المنافقين، كل ذلك جعل هذا التركيب تركيباً قرآنياً جديداً.

في سبيل الله

ورد تركيب (في سبيل الله) في القرآن الكريم أربعاً وأربعين مرة، سبع عشرة مرة ارتبطت بالقتال، وتسع مرات ارتبطت بالإنفاق، وست مرات ارتبطت بالجهاد (جهاد المال والنفس)، وأربع مرات ارتبطت بالهجرة والجهاد معاً، وثلاث مرات ارتبطت بالهجرة وحدها، ومرة واحدة ارتبطت بكل من (الإحصار، وما يصيب المرء من أذى وضرر، والنفور).

وقد ورد تركيبان يفيدان معنى تركيب (في سبيل الله) مرتين لكل منهما هما: (في سبيله) و (في سبيلي).

والسبيل في اللغة: الطريق وما وَضَح منه، من سَبَلَ يذكر ويؤنث، وسبيل الله: طريق الهدى الذي دعا إليه، وكل ما أمر الله به من الخير فهو في سبيل الله. قال ابن الأثير: السبيل في الأصل الطريق، وسبيل الله: عام يقع على كل عمل خالص سُلك به طريق التقرب إلى الله تعالى، بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات، وإذا أُطلق فهو في الغالب على الجهاد، حتى صار لكثرة الاستعمال مقصوراً عليه[٢].

أما (الله) فقد اختلف فيما إذا كان اسماً موضوعاً أم مشتقاً، فقال الخليل: الله لا تطرح الألف من الاسم، إنما هو الله عزّ ذكره على التمام، وليس هو من الأسماء التي يجوز منها اشتقاق فعل كما يجوز في الرحمن والرحيم[٣].

وتابع سيبويه أستاذه الخليل في ذلك فقال: هو مرتجل للعلَمِيَّة غير مشتق، فلا يجوز نزع الألف واللام منه[٤].

---

(١) قطب، في ظلال القرآن، م٣، ج١١، ص١٧٠١.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (سبل).
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أله).
(٤) انظر، ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، (د.ت). شرح المفصل، (د.ط)، بيروت، عالم الكتب، القاهرة، مكتبة المتنبي، ج١، ص٣.

أما من ذهب إلى أنه مشتق، فكان لسيبويه في قولهم بالاشتقاق قــولان، القــول الأول: أن أصله (إلاهٌ) على زنة (فِعال)، من أَلِه الرجل يَأْله إلاهةً، أي عبد يعبد عبادة، قال رؤبة:

لله دَرُّ الغانيـــــــــــــات المُــــــــــــدَّهِ   سَـــبَّحْنَ واسْــتَرْجعْنَ مِــنْ تَــأَلُّهِي[1]

والقول الثاني: أن أصله (وَلاهٌ) ووزنه (فَعْلٌ)، واشتقاقه من" لاه يليه، إذا سَتر؛ كأنه تعالى سُمي لاستتاره واحتجابه عن إدراك الأبصار، وألف (لاه) منقلبة عن ياء، ويدل على ذلك قولهم: لَهَيَ أبوك، فظهرت الياء عندما نقلت إلى موضع اللام[2]. والرأي الأرجح هو مــا ذهــب إليــه الخليل وتلميذه سيبويه من أن (الله) لفظ مرتجل موضوع للتعبير عن الذات الإلهية، أما مــا ورد من اشتقاق الفعل (ولَهَ) وفق ما ذكرته المعاجم فهو كلمة أخرى عربية صحيحة، ومنها (الإلــه) وهو ليس (الله) من حيث التحليل اللغوي، وقد ورد كلاهما في القرآن الكريم[3]، في قوله تعــالى: M إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا L طه: ٩٨.

وقد استعمل القرآن الكريم لفظة (السبيل)، فكون منها تراكيب عدة هي على الترتيب فــي آيات القرآن كالآتي:

سواء السبيل – في سبيل الله – ابن السبيل – عن سبيل الله – عــابري ســبيل – ســبيل المؤمنين – سبيل المجرمين – سبيل المفسدين – قصد السبيل[4] وأكــاد أجــزم أن كــلا منهــا مصطلح بذاته، لكن ما يهمنا هنا هو تركيب (في سبيل الله)، فلم تأت كتب التفسير بــشيء زائــد عما أوردته كتب المعاجم فقالوا: في سبيل الله: أي في طاعته وطلب رضوانه[5].

إن تركيب (في سبيل الله) مصطلح قرآني لم يكن معروفاً في العصر الجاهلي، ولا يــؤدي معناه إلا إذا وقع في هذا الترتيب[6]، سواء ارتبط بالجهاد، كقوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) L التوبة: ٤١ أو القتــال M © فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ L

(١) ابن العجاج، ديوان رؤبة بن العجاج، ص١٦٥. والمُدّة: من مَدَهَ يَمْدَهُ: أي يمدح.
(٢) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج١، ص٣.
(٣) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٩٠.
(٤) انظر: عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (سبل).
(٥) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٣، ج٥، ص١٠٩.
(٦) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٢٨٨.

البقرة: ٢٤٤ أو الإنفاق: M وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ L الأنفـال: ٦٠ أو الهجـرة M 8 9 : ; < = > ? @ A B C D L الحج: ٥٨ أو أي موضوع مما ارتبط به هذا التركيب في القـرآن، أقـول: لا يؤدي معناه إلا إذا وقع في هذا الترتيب.

وإذ إن الجهاد والهجرة والإنفاق والإحصار والقتال كلها أمور حملت دلالات جديدة في ظـل الإسلام، ومن ثم ارتبطت في القرآن بتركيب (في سبيل الله) الذي هو مصطلح قرآني جديد، صنعه القرآن ليشمل كل نواحي الحياة، حتى الشربة يشربها المرء في سبيل الله يكون له فيها أجر، قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها)[١]. وعلـى هذا كان الجهاد في سبيل الله، والقتال في سبيل الله، والإنفاق والهجرة والإحصار والأذى والضرب، وغيرها من الأمور التي ارتبطت في سبيل الله كلها مصطلحات جديدة أضفى عليها القـرآن دلالات جديدة.

قضى نحبه

تركيب ورد ذِكره مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعـالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 L الأحزاب: ٢٣.

وقد ورد الفعل (قضى) بهذه الصيغة في القرآن اثنتي عشرة مرة، ولفظـة (نحبـه) مـرة واحدة ولم يرد شيء من مشتقاتها في القرآن الكريم.

وقضى: حَكَمَ، وقضى: مات، وقضى عليه: قتله، وتَقضّى: فَنِي وانصرم[٢].

والنّحْبُ: رفع الصوت بالبكاء، وفي المحكم: النحيب أشد البكاء، وهو البكاء بصوت طويل ومدّ، ونَحَبَ يَنْحَبُ نَحْباً ويَنْحِبُ، والنَحْب: الخطـر العظـيم، والمراهنـة، والهمـة والبرهـان، والحاجة، ومن الأخيرة قوله تعالى: M , - L، أي: أدرك ما تمنى. ومن المجاز: النَحْب:

---

(١) البخاري، متن البخاري كتاب الجهاد والسير، باب: الحور العين ووصفهن، م٢، ص١٣٦.

(٢) الفيروز أبادي، مجد الدين، (د.ت). القاموس المحيط، (د.ط)، مصر، مطبعة السعادة، المكتبة التجارية الكبرى، مادة (قضي).

الموت M * + , L: أي أجله. قال الزجاج: النحْب: النفس، وقيل: النّذر وكأن المرء ألزم نفسه أن يَصْدُق الأعداء في الحرب فوفى به ولم يَفْسَخ[١]، قال لبيد:

ألا تسألانِ المرءَ ماذا يحاوِلُ   أَنَحْبٌ فيُقْضى أم ضلال وباطل؟[٢]

والنّحْب: السير السريع، والنّحبُ: اليوم[٣]، والنوم[٤]، ومن المجاز: تنّحبوا تنحيباً: إذا جدّوا في عملهم[٥].

ذهبت كتب التفسير إلى أن (قضى نحبه) يعني قَاتَلَ حتى قُتِل فوفى بنذره؛ إذ النّحبْ: النَّذْر[٦]، وأضاف القرطبي فقال: النذر والعهد، فالمراد مَنْ بَذَلَ جهدَه على الوفاء بعهده حتى قتل، والنحب في الآية لا يأتي بمعنى الحاجة[٧].

أقول: إن تركيب (قضى نحبه) تركيب قرآني جديد، لم يرد في شعر العرب، فهو تركيب تولد في البيئة الإسلامية، يعبر عمن يقاتل في سبيل الله صادقاً طالباً الشهادة في سبيله، فكان من (قضى نحبه) صنفاً ممن صدق الله في جهاده، والصنف الثاني هو (من ينتظر)، فكان بهذا (من قضى نحبه) مصطلحاً تركيبياً يمثل علماً على من نال الشهادة في سبيل الله.

كان مزاجها كافوراً

ورد تركيب (كان مزاجها كافوراً) في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: M إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا L الإنسان: ٥.

كما ورد في القرآن تركيبان مشابهان لهذا التركيب، هما قوله تعالى: M { ~ كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا L الإنسان: ١٧.

(١) الزبيدي، تاج العروس، مادة (نحب). والنحب: النّذر.
(٢) العامري، ديوان لبيد بن ربيعة، ص٢٥٤.
(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة (نحب).
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نحب).
(٥) الزبيدي، تاج العروس، مادة (نحب).
(٦) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٣، ج٢٥، ص١٧٦.
(٧) القرطبي، تفسير القرطبي، م٧، ج١٤، ص١٦٠.

وقولـــــه تعــــالى: M يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِي µ ´ ¶ ¸ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ L المطففين: ٢٥/ ٢٦/٢٧.

والمَزْج في اللغة، من مَزَج الشيءَ يمزجه مَزْجاً فامتزج: خلطــه. والمِــزْج – بالكــسر - اللوز المر[١]، قال ابن دريد: لا أدري ما صحته. والمَزْج: مَزجُك الشيء بغيره كالخمر والمــاء واللبن والعسل وما أشبه ذلك؛ مزجتُ الشيء أمزُجُه مَزْجاً، وكل نــوع مــن الــشيئين مِــزاج لصاحبه[٢]، ومِزْج، والمِزْج: العسل والشهد[٣]، قال أبو ذؤيب الهذلي:

فجاء بِمــزجٍ لــم يَــرَ النــاسُ مثلــه   هو الضَّحْك إلا أنــه عَمَــلُ النَّحْــل[٤]

قال أبو حنيفة سُمي مِزْجاً لأنه مِزاج كلِّ شرابٍ حُلْو طُيِّب به. ومِزاج الخمــر كــافورُه: يعني ريحها ولا طعمها[٥]. والكافور: نبت طيبٌ نَوْرُه أبيض كنور الأقحوان، وقيل: هــو الطلــع حين ينشق، وقيل: الطِّيب، وفي المحكم: أخلاط من الطِّيب تُرَكَّبُ من كافور الطلع[٦]، قال ابــن دريد: فأما الكافور من الطِّيب فأحسبه ليس بعربي محض؛ لأنَّهــم قــالوا القَفُّــور والقَــافُور[٧]. والقَفُّور والقافور: لغة في الكافور، قال أبو بكر: أحسبه ليس بعربي[٨]. وقيل الكافور: من شــجر بجبال بحر الهند والصين، يُظِل خلقاً كثيراً لِعظَمه وكثرة أغصانه المتفرعة، وفي قولــه تعــالى: Mمِزَاجُهَا كَافُورًا L قال الفراء: عين في الجنة تسمى الكافور طيبة الريح[٩].

أما المفسرون فلهم أقوال وآراء في هذا التركيب، فــ (كان مزاجها كــافوراً: أي كــان مزاج ما فيها من الشراب كافوراً، يعني في طيب رائحتها كالكافور، وقالوا: الكــافور صــفة

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (مزج).
(٢) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (مزج).
(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة (مزج).
(٤) الدار القومية للطباعة والنشر، ديوان الهذليين، ج١، ص٤٢. والضحك: الثغر، شبه بياض العسل به. وقالوا: هو الطلع، وقالوا: الزبد، والعرب تذكر العسل وتؤنثه والتأنيث أكثر.
(٥) الزبيدي، تاج العروس، مادة (مزج).
(٦) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (كفر).
(٧) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (كفر).
(٨) الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، ص٢٦٨.
(٩) الزبيدي، تاج العروس، مادة (كفر).

للشراب)[١]. ويورد الفخر الرازي سؤالاً يقول: إن مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذاً، فما سبب ذكره هنا[٢]؟ ثم يجيب بأن الكافور اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبَرْدِه[٣]؛ لأن الكافور لا يشرب[٤]، ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته؛ فالمعنى أن ذلك الشراب يكون ممزوجاً بماء هذه العين[٥]، ثم يرى أنه لا بأس في أن يخلق الله الكافور في الجنة سالباً إياه ما فيه من مضاره في الدنيا فيمنحه طعماً طيباً لذيذاً، فيمزجه بذلك المشروب[٦].

أقول: بعد العرض السابق، فإن تركيب (كان مزاجها كافوراً) تركيب قرآني جديد، لم يرد في كلام العرب بهذا الترتيب، وبخاصة أن (الكافور) مما عُدَّ غير عربي، ومن ثم تساؤل الفخر الرازي عن ماهية مزج الكافور بالمشروب إذ له طعم غير لذيذ، ومن ثـمّ جاء في شعرهم (مزاجها عسل) ولم يأت المزج بالكافور، فقد قال حسان:

كأنّ سبيئةً من بيتِ رأسٍ   يكون مِزَاجها عَسَلٌ وماءُ[٧]

ثم إنه تعالى قال: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ولم يَقل (يكون)، دلالة على الكونية الأزلية، أي كانت منذ خلقها الله وستكون وستبقى كائنة كذلك إلى ما شاء الله، أي إنَّ (مزاجها في علم الله وحكمه كافوراً)[٨].

ويتبين مما سبق، أن هذا التركيب في القرآن الكريم تركيب صنعه القرآن خاصاً بالخمر، فهو تركيب يعبر عن صفة خمر الجنة، وكذلك تركيب ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾، فهو مستمد من حياة الناس وواقعهم، إذ إن قول القائل: شربت كأساً، مفهوم تماماً أنه كأس خمر لذا فإنه تعالى خاطب الناس بما يعرفون فقال: ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾،

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، م١٢، ج٢٩، ص١٢٨.
(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٥، ج٣٠، ص٢١٣.
(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٤) القرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج١٩، ص١٢٥.
(٥) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٥، ج٣٠، ص٢١٣.
(٦) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٧) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ص٣، وسبيئة: الخمر، وهو خاص بالخمر، وبيت رأس: قرية في شمال الأردن، ما تزال قرية عامرة يزورها السياح لآثارها التاريخية.
(٨) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٥، ج٣٠، ص٢١٣.

و M { ~ كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا L فلم يحدد كأس ماذا، على اعتبار مفهوم الناس في واقعهم للكأس.

وبعدُ، فإن تركيب M كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا L تركيب قرآني جديد صفةً خاصة بخمر الجنة، صفة لم يتغن بها شعراء الجاهلية، وهم من عُرفوا بشرب الخمر والتزيد فيه، وبذا فهو مصطلح تركيبي قرآني جديد صنعه القرآن الكريم.

لباس التقوى

هذا تركيب ورد مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: M N O P Q L الأعراف: ٢٦.

أما التقوى فقد وردت في القرآن خمس عشرة مرة.

والتقوى من (وقي) وقاه وقياً ووِقايةً وواقيةً: صانه وستره[١]، قال المهلهل:

ضَرَبَتْ نَحْرَها إلَيَّ وقالت: يا (عدِيّاً) لقد وقتك الأواقي[٢]

والوِقاءُ والوَقاءُ والوِقاية والوَقاية والوُقاية والواقية: كلُّ ما وقَيتَ به شيئاً[٣]، قال المتنخل:

لا تَقِهِ الموتَ وقِيّاتُه خُطَّ ذلك في المَحْبَلِ[٤]

وتوقى واتّقى بمعنى، توقّيتُ واتّقيتُ الشيءَ، وتَقَيْتُهُ وأَتّقيه تُقى وتَقِيَّة وتِقاء: حَذِرْتُه، والاسم: التقوى[٥].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (وقى).

(٢) المهلهل، أبو ليلى عدي بن ربيعة، (١٩٩٥). ديوان المهلهل، تحقيق: أنطوان محسن القوّال، (ط١)، بيروت، دار الجيل، ص٥٩، وفي اللسان: ضربت صدرها.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (وقى).

(٤) الدار القومية للطباعة والنشر، ديوان الهذليين، ج٢، ص١٤.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة (وقى).

واللُبْسُ: مصدر لَبِستُ الثوبَ ألبس، واللِّباس: ما يُلبس، وكذا: المَلْبَس واللِّـبس (بالكسر)، ولباس كل شيء: غشاؤه[١].

لقد عرفت العرب في جاهليتها التقوى بمعنى الحفظ والستر والصيانة، واستعملته بهذا المعنى كما تبين في قول المهلهل والمتنخل، لكن لم تأت (التقوى) بهذه الصيغة في الشعر الجاهلي[٢]. وقد استمدت التقوى معناها الإسلامي من المعنى اللغوي الأصلي، إذ تعني في القرآن (عمل الإنسان الصالح لحماية نفسه من عذاب الله وغضبه، وهذا هو المعنى الاصطلاحي الذي اتسع حتى صار يعني الاستقامة والإخلاص في عبادة الله عز وجل)[٣].

ذلك هو معنى التقوى، ومعنى اللباس في اللغة، والسؤال: ما حقيقة ارتباط التقوى باللباس حتى يتكون منهما تركيب قرآني هو (لباس التقوى)؟

لقد اختلف المفسرون في تأويل هذا التركيب، فمنهم من حمله على الحقيقة فجعله اللباس الذي أنزله الله ليواري به الناس سوآتهم؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب عند الطواف بالبيت، أو هو ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يُتقى به في الحروب، أو هي الملبوسات المعدة لأجل إقامة الصلاة. ومنهم من حمله على المجاز فقال قتادة والسدي وابن جريج هو الإيمان، وقال ابن عباس هو العمل الصالح، وقيل: هو السَّمت الحسن، وقيل هو العفاف والتوحيد، وقال معبد الجهني: هو الحياة، وقيل: هو ما يظهر على الإنسان من السكينة والإخبات والعمل الصالح، وقد حُمل لفظ اللباس على هذه المجازات؛ لأن اللباس الذي يفيد التقوى ليس إلا هذه الأشياء[٤].

إن تركيب (لباس التقوى) تركيب قرآني جديد صنعه القرآن، ونقل به معنى اللباس من المعنى المادي الذي هو له في الأصل إلى المعنى المعنوي فكان لباس التقوى (استشعار النفوس تقوى الله في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه والعمل بما أمر به من طاعته، وذلك يجمع

---

(١) المصدر السابق، مادة (لبس).

(٢) انظر: أبو عودة، التطور الدلالي، ص٣١٥.

(٣) المرجع السابق، ص٣١٦.

(٤) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٧، ج١٤، ص٤٣/٤٤.

الإيمان والعمل الصالح والحياء وخشية الله والسَّمْتَ الحسن)[١] فكأن التقوى لِباس يلبسه المؤمن حتى تظهر آثاره في نفسه وقلبه وسلوكه، فهذه حال خاصة بالمؤمن دون غيره لا يصل إليها أي امرئ، لكن في طيَّات هذا التركيب العجيب أمر إلهي بالتحلي بتقوى الله وارتداء هذا اللباس قدر المستطاع ليستقيم المجتمع ويحيا حياة صالحة.

ليلة القدر

هذا تركيب ورد في القرآن ثلاث مرات في سورة واحدة سميت باسم هذه الليلة المباركة وهي سورة (القدر)، يقول تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 L سورة القدر: ١، ٢، ٣.

والقدْرُ والقَدَر: القضاء والحُكم، وهو ما يُقدِّره الله عز وجل من القضاء ويحكمُ به من الأمور[٢]، أنشد الأخفش لهُدْبة بن الخشرم:

ألا يا لَقومي للنوائب والقَدْرْ   وللأمر يأتي المرءَ من حيث لا يدري[٣]

والقَدْرُ بفتح فسكون: الغنى واليسار، وهما مأخوذان من القوة لأن كلاً منهما قوة كالقُدرة بالضم. والقَدْر: التضييق، يُقال: قدَر على عياله قدْراً: ضيّق. والقَدْر: التعظيم، والقَدْرُ: تدبير الأمر. قال اللحياني (القدَر) الاسم و (القدْر) المصدر، والجمع أقدار. والقَدَر: مبلغ الشيء، والقَدَر: الطاقة كالقدْر [٤].

تلك هي معاني (القَدْر) في اللغة، والسؤال هنا: كيف نفهم تركيب (ليلة القدْر) في ضوء معنى (القدْر) في اللغة؟

اختلف المفسرون في سبب تسمية هذه الليلة بليلة القدْر، فقالوا: هي ليلة تقدير الأمور والأحكام؛ قال عطاء عن ابن عباس: إن الله قدّر ما يكون في كل تلك السنة من مطر ورزق

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، م٥، ج٨، ص١١٢.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (قدر).
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قدر).
(٤) الزبيدي، تاج العروس، مادة (قدر).

وإحياء وإماتة إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية[١]. يُعلِّق الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير على قول ابن عباس فيقول: (واعلم أن تقدير الله لا يحدث في تلك الليلة، فإنه تعالى قدّر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض في الأزل، بل المراد إظهار تلك الليلة المقادير للملائكة في تلك الليلة، بأن يكتبها في اللوح المحفوظ، وهذا القول اختيار عامة العلماء)[٢].

ونقل عن الزهري أنه قال: (ليلة القدر)، هي ليلة العظمة والشرف، من قولهم: لفلان قدْر عند فلان: أي منزلة وشرف، قال أبو بكر الورّاق: سميت بذلك لأنه أنزل فيها كتاباً ذا قدْر على رسول ذي قدْر على أمة ذات قدْر[٣]. وقيل: ليلة القدر: أي الضيق[٤]، إذ ينزل فيها ملائكة ذوو قَدْرٍ وخطر فتضيق الأرض عن الملائكة[٥]. وقيل: لأن الله ينزل فيها الخير والبركة والرحمة على المؤمنين[٦].

تلك الأسباب تنقلنا إلى حقيقة إخفاء الله تعالى تلك الليلة، وذلك لأسباب:

قالوا: ليعظم الناس جميع ليالي رمضان، وقالوا: ذلك رحمة بالناس من الله لأنه إذا وقع الذنب في تلك الليلة مع العلم بها فذلك أشد من المعصية دون علم بها، وقيل: حتى يجتهد المُكَلف في طلبها فيكسب ثواب الاجتهاد[٧].

بعد ذلك البيان، أقول: إن تركيب (ليلة القدْر) تركيب قرآني جديد تولّد في ظل البيئة الإسلامية، لم تعرفه الكتب السماوية قبل القرآن، وكذا لم تعرفه العرب قبل الإسلام، وهذا التركيب في القرآن مصطلح تركيبي عَلَم على ليلة من ليالي رمضان نزل فيها القرآن الكريم (الذي يُعلِّم الإنسان كيف يعيش في هذه الحياة، فليلة القدْر مشرقة من قبل في قَدَر الله عز وجل، فهي ليلة اكتسبت قَدْرها من قَدَرِها – بفتح الدال- وما أجلّ ليلة جمعت بين قدْرِ الله وقَدَرِه)[٨].

---

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٦، ج٣٢، ص٢٨ والقرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج٢٠، ص١٣٠.
(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٦، ج٣٢، ص٢٨.
(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها، والقرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج٢٠، ص١٣١.
(٤) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٦، ج٣٢، ص٢٨،
(٥) المصدر السابق، الصفحة نفسها، والقرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج٢٠، ص١٣١.
(٦) القرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج٢٠، ص١٣١.
(٧) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٦، ج٣٢، ص٢٩.
(٨) أبو عودة، عودة خليل (١٩٩٨). شواهد في الإعجاز القرآني (دراسة لغوية دلالية)، (ط١)، عمان، الأردن، دار عمار، ص٢٠٤.

المؤلفة قلوبهم

هذا تركيب قرآني ورد مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: M q r s t u v w x L التوبة: ٦٠. وورد تأليف القلوب بصيغة الفعل في آيتين أخريين هما:

قال تعالى: M H I J K L M N O P Q L آل عمران: ١٠٣.

وقوله تعالى: M / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ B C D L الأنفال: ٦٣.

وأَلِفَ الشيءَ أَلْفاً وإلافاً ووِلافاً وأَلَفاناً: لَزِمه، وآلَفَه إياه: أَلْزَمه. وأَلَّفت بين الشيئين تأليفاً فتألّفا وأْتَلَفَا. قال أبو عبيد: أَلِفْتُ الشيءَ وآلفتُه بمعنى واحد: لزمته. فهو مُؤْلَف ومألوف. قال أبو زيد: أَلِفْتُ الشيءَ وأَلِفْتُ فلاناً: إذا أَنِسْتُ به. وأَلَّفْتُ بينهم تأليفاً: إذا جمعت بينهم بعد تفرق. وأَلَّفْتُ الشيءَ تأليفاً: إذا وصلتُ بعضه ببعض ومنه تأليف الكتب.

عرفت العرب تأليف الجوار، فقيل: (أصحاب الإيلاف أربعة إخوة: هاشم وقد أخذ حبلاً من ملك الروم، وعبد شمس الذي أخذ حبلاً من النجاشي، ونوفل أخذ حبلاً من كسرى، والمطلب أخذ حبلاً من ملوك حمير، فكان لذلك تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هؤلاء الإخوة فلا يُتعرض لهم. وهذا قول الله تعالى: M ! " L فالإيلاف: العهد والذِّمام. أنشد أبو تمام حبيب بن أوس في باب الهجاء لمساور بن هند يهجو بني أسد(١):

زعمتمْ أنّ إخوتكُم قريشٌ   لهم إِلْفٌ وليس لكم إِلاَفُ(٢)

---

(١) مساور بن هند العبسي، شاعر معمَّر، وُلد في حرب داحس والغبراء، قبل الإسلام بنحو خمسين عاماً، وعاش إلى أيام الحجاج. (الأعلام للزركلي، م٧).

(٢) أبو تمام، حبيب بن أوس، (د.ت). ديوان الحماسة، شرح: العلامة التبريزي، (ط١)، بيروت، لبنان، دار القلم، ج٢، ص١٨٦، وعلّق المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ج٣، ص١٤٥ يشير إلى سورة لإيلاف.

(قال ابن الأعرابي: يتألفون أي يستجيرون، قال أبو ذؤيب:

تَوَصَّلُ بالركبان حينـــاً وتُؤْلِـــفُ الـــــ   جِوارَ ويُغشيها الأمـــانَ ذِمامُهـــا)[١]

وتألّفه على الإسلام ومنه المؤلفة قلوبهم. جاء في التهذيب في قوله تعالى: 3M 4 5 6 7 8 9 : ; < L نزلت في المتحابين في الله. قال: والمؤلفة قلـــوبهم في آية الصدقات قوم من سادات العرب أمر الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم في أول الإسلام أن يتألفهم: أي بمقاربتهم وإعطائهم ليُرَغبوا من وراءهم في الإسلام... وقد نفَّلهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين بمئتين من الإبل تألفاً لهم.

قال بعض أهل العلم: إن النبي صلى الله عليه وسلم تَألَّف في وقتٍ بعض سادة الكفار، فلما دخل الناس في دين الله أفواجاً وظهر أهل دين الله على جميع أهل الملل، أغنى الله تعالى - وله الحمد- عن أن يُتألف كافر اليوم بمال يُعطى لظهور أهل دينه على جميع الكفار)[٢].

بالنظر في الآية التي ذكر فيها المؤلفة قلوبهم، يظهر تماماً أنهم صنف من الأصناف التـــي تجب فيهم الصدقات.

(قال ابن عباس: هم قوم أشراف من الأحياء أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يـــوم حنين، وكانوا خمسة عشر رجلاً. منهم أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام ومالك بـــن عـــوف وصفوان بن أمية وغيرهم)[٣]. (قال الزهري: المؤلفة قلوبهم من أسلم من يهـــودي أو نـــصراني وإن كان غنياً. وقال بعض المتأخرين: اختلف في صفتهم؛ فهم صنف من الكفار يعطون ليتـــألفوا على الإسلام، وقيل: هم قوم أسلموا في الظاهر ولم تَستَيْقِنْ قلوبهم، فيُعْطون ليتمكن الإسلام فـــي صدورهم، وقيل: هم من عظماء المشركين لهم أتباع يُعطون ليتألفوا أَتْبَاعَهُم على الإسلام)[٤].

إن الأقوال السابقة متقاربة والمراد في النهاية، إعطاء من لا يـــتمكن إســـلامه حقيقـــة إلا بالعطاء، من هنا لم يكن للمؤلفة قلوبهم ذكر في التنزيل في غير قَسْم الصدقات[٥].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ألف) لم يرد في ديوان الهذليين.
(٢) المصدر السابق، المادة نفسها.
(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٨، ج١٦، ص٨٩.
(٤) القرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٨، ص١٧٩.
(٥) انظر: المصدر السابق، م٤، ج٨، ص١٧٩.

وكما اختلف المفسرون في من هم المؤلفة قلوبهم، فكذلك اختلفوا في بقائهم، فقالوا: انقطع هذا الصنف بعز الإسلام وظهوره. وقال آخرون: هم قوم باقون؛ لأن الإمام ربما احتاج أن يتألف على الإسلام[1]. وهذا هو الرأي – فيما أرى- لأن اجتهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجب هذا المصرف من مصارف الزكاة، كان لعزة الإسلام وانتشاره في زمنه، ويمكن في كل وقت أن تعرض على ولي أمر المسلمين، حالات تستدعي تأليف القلوب من أجل عزة الإسلام وبيانه، وبخاصة في هذا الزمن الذي يواجه فيه الإسلام والمسلمون ألواناً متعددة من صنوف الكَيْد والصد عن سبيل الله.

أقول: إن تركيب (المؤلفة قلوبهم) تركيب قرآني صنعه القرآن الكريم فهو مصطلح تولد في دوحة الإسلام، وهو تركيب قرآني بات مصطلحاً قرآنياً علماً على (قوم كانوا في صدر الإسلام ممن يظهر الإسلام، يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم)[2]. وباتت الصدقة للمؤلفة قلوبهم فريضة بنص القرآن M q r s t u v w x y z { | } ~ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ L التوبة: ٦٠ وهذا التأليف تأليف لمصلحة الإسلام، تأليف لترغيب الناس في الإسلام قائم على العقيدة، ليس كتأليف الجوار الذي عرفته العرب، القائم على مصلحة دنيوية.

ما ملكت أيمانكم

ورد تركيب (ما ملكت أيمانكم) سبع عشرة مرة بصيغ متعددة، منها ست مرات بصيغة (ما ملكت أيمانكم)، منها قوله تعالى: M " # $ %& ' (L النساء: ٢٤.

وقوله تعالى: M | } ~ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ L النور: ٥٨.

وثلاث مرات بصيغة: (ما ملكت أيمانهم)، كقوله تعالى: M ¸ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ L الأحزاب: ٥٠.

---

(١) المصدر السابق، ص١٨١.

(٢) المصدر السابق، ص١٧٩.

ومرتان اثنتان بصيغة (ما ملكت يمينك)، يقول تعـــالى: M r s t u v w x L الأحزاب: ٥٠.

ومرة واحدة بصيغة (ما ملكت أيمانهن)، وفي قوله تعـــالى: M© بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ L النور: ٣١.

(قالوا: مِلك اليمين: السبايا اللواتي فرق بينهن وبين أزواجهن السِّباء، فحللن لمن صرِنْ له بملك اليمين من غير طلاق كان من زوجها. عن ابن عباس: كل ذات زوج إتيانها زنـــا إلا مـــا سُبيت، وعنه أيضاً: كل امرأة لها زوج فهي عليك حرام، إلا أمة ملكتهـــا ولهـــا زوج بـــأرض الحرب فهي لك حلال إذا استبرأتها من الحربي)[١].

(وقيل: كان حُكْمُ مِلْكِ اليمين، بسبب تحرج أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عـــن وطء المسبيات ذوات الأزواج)[٢]، فكان الحكم الإلهي، وقد اختلف الفقهاء في أحكام مِلك اليمين، وهذا البحث ليس معنياً ولا يتسع لذكر تلك الخلافات والآراء، وما يَهُم هو (أن حكم ملك اليمين جـــاء للزجر عن الزنى والمنع عن وطء النساء إلا بالنكاح أو بملك اليمين)[٣]. وإنـــي لأرجـــو بهـــذه المناسبة أن تقوم دراسة شافية وافية، تبين هذا المصطلح من ناحية شرعية واجتماعية، وأن تتابع المصطلح من حيث نشأة دلالته الأولى، حتى يوم الناس هذا، فتقدم فيه البيان الشافي للناس ولكل من يبحث في الأصول والدراسات الإسلامية. وإني لأظن أن حكم الله عز وجل في (ملك اليمين) حكم خالد باق، يحيا وينتعش في بعض الظروف عندما يكون لقاء بين جيوش الفتح وبـــين مـــن يصد عن سبيل الله. ويضمر وينكمش عندما تسكن الظروف ولا يكون هناك مجال لملك اليمين، ويبقى الأمر بعد ذلك بحاجة إلى دراسة العلماء المختصين، ليقولوا فيه قولاً سديداً إن شاء الله.

قالوا: ما ملكت أيمانكم: أي بنكاح أو شراء؛ أي تملكون عِـــصْمَتَهُنَّ بالنكـــاح، وتملكـــون الرقبة بالشراء، فكأنّ كلهنّ مِلك يمين ما عدا ذلك فزنى[٤].

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، م٤، ج٥، ص٢.
(٢) القرطبي، تفسير القرطبي، م٣، ج٥، ص١٢١.
(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٥، ج١٠، ص٣٤.
(٤) القرطبي، تفسير القرطبي، م٣، ج٥، ص١٢٣.

أقول: لم تعرف العرب في جاهليتها ما يُسمى بملِك اليمين، إنما عَرَفت ما يُسمى (بالرّق)، والرقيق عند العرب فئة مبتذلة من الناس، كانوا يعاملونها معاملة الدّواب وليس لها من أمرها شيء. جاء الإسلام الذي كرّم الإنسان على سائر الخلق، فعامل هذه الفئة من الناس معاملة إنسانية رحيمة، دعا إلى الإحسان إليها وحثّ على تحريرها، بل جعل تحرير هذه الفئة من الناس كفارة لأمور عدة منها: القتل بغير عمد، قال تعالى: M * + , - . / 0 L النساء: ٩٣ ومنها: أن تحرير الرقبة طريق إلى الجنة قال تعالى: M s t u v w x y z { | } { L البلد: ١١، ١٢، ١٣، ومنها كفارة في حالة الظهار، قال تعالى: M P Q R S T U V W X Y L المجادلة: ٥.

(لقد حَصَر الصحابة أمر الاسترقاق الذي سُمي في الإسلام (ملك اليمين)، حصروه في الحروب المشروعة المعلنة ضد العدو الكافر، فألغوا كل صور (ملك اليمين) الأخرى وعَدُّوها محرمة شرعاً لا تحلُّ بحال، ومع هذا الحصر إلا أن الإسلام – كما سبق وذكرتُ- عامل الأرقاء معاملة كريمة وفتح لهم أبواب التحرير على مصاريعها)(١)، قال تعالى: M n o p q r s t u v w x y z { | } ~ أَيْمَنُكُمْ L النساء: ٣٦.

وعنه صلى الله عليه وسلم قال: "اتقوا الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم"(٢) وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لطم غلامه أو ضربه فكفارته عتقه)(٣). بهذه المعاني كلها التي أعطاها الإسلام لقضية الاسترقاق، يُعد (ملك اليمين) تركيباً جديداً صنعه القرآن مستمِداً إياه من روح الإسلام الحنيف.

---

(١) انظر: سابق، السيد، (١٩٧٧). فقه السنة، (ط٣)، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، م٢، ص٦٨٨.

(٢) الألباني، السلسلة الصحيحة، (١٩٨٣). (ط٣)، بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي، م٢، ص٥٥١، رقم الحديث (٨٦٨).

(٣) النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب: صحبة المماليك، ج١١، ص١٢٩، رقم الحديث (٤٢٧٤).

مسجد الضرار

هذا تركيب ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) L التوبة: ١٠٧.

وقد عرَفنا في الفصل السابق أن السجود مصطلح قرآني جديد الدلالة، وكذا المسجد الذي هو مكان السجود، (وقال الزجاج: كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد، وقال ابن الأعرابي: مسجَد – بفتح الجيم- محراب البيوت، ومسجِد – بكسر الجيم- مصلى الجماعات)[١]. (فالمسجد هو مكان السجود حيثما كان لله عز وجل، وليس مقتصراً على تلك الأبنية التي يقيمها الناس ويسمونها مساجد)[٢].

(والضِّرار: من ضرَّ يَضُرُّ ضرًّا، وضرَّه وضرَّ به وأضرَّه إضراراً، وأضَرّ به وضارَّه مُضَارَّة وضِرَاراً: إذا خالفه)[٣]، قال نابغة بني جعدة:

وَخَصْمَيْ ضِرارٍ ذَوَيْ تُدْرَإٍ   متى يأتِ سِلْمُهما يشْغَبِ[٤]

(والضَّر والضُّر لغتان، قال أبو الدُّقيش: كل ما كان من سوء حال وفقر أو شدة في بدن فهو ضُر، وما كان ضد النفع فهو ضَر)[٥].

ذلك هو المسجد والضِّرار في اللغة، جاء القرآن فجمع بين هاتين اللفظتين في تركيب أصبح مصطلحاً وعلماً على بناء لمسجد بُنِيَ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يكن مسجداً مقصوداً في بنائه العبادة والتقرب من الله وجمع المسلمين، إنما كان هدف الذين بَنَوْه من المنافقين M % & ' ( ) L.

(قال الواحدي: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير رضي الله عنهم M ! " # $ L كانوا اثني عشر رجلاً من المنافقين بنوا مسجداً يضارون

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سجد).

(٢) أبو عودة، التطور الدلالي، ص١٩٥.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة (ضرر).

(٤) الجعدي، النابغة أبو ليلى، (١٩٦٤). شعر النابغة الجعدي، (ط١)، بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي، ص٢٧.

(٥) الزبيدي، تاج العروس، مادة (ضرر).

به مسجد قباء)[١]، (فنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر هـذا المـسجد (مـسجد الضِّرار) فدعا النبي صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُّخشور، ومعبد بن عدي، وعـامر بـن السَّكن ووحشياً قاتل حمزة، فقال: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهلُـه فاهـدموه وأحرقـوه، فخرجوا مسرعين، وأخرج مالك بن الدخشور من منزله شعلة نار ونهضوا فأحرقوا المـسجد وهدموه)[٢]. (وقد سمّاه ابن عباس مسجد النفاق)[٣].

(وإذا كان القرآن قد خصص المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فأصبح اسمهما مـصطلحاً عليهما عند المسلمين)[٤]، فكذا مسجد الضرار أصبح مصطلحاً في القرآن على ذلك المسجد الذي سماه ابن عباس مسجد النفاق، (وإذا كانت كلمتا (الحرام) و(الأقصى) صفتين لكلمـة المـسجد، فإنهما أصبحتا علمين على ذينك المسجدين الشريفين)[٥]، وعليه فإن لفظة (الـضِّرار) أصـبحت علماً على ذلك المسجد الظالم أهلُه، حتى بات الناس يسمونه (مسجد الضرار) بهذه الصيغة، بـل أقول إن الناس فعلاً تظن أن اسمه مسجد الضرار.

وجميل أن أذكر لطيفة في هذا الموضع، إذ يقول بعض العلماء: (الضَّرر: الذي لك به منفعة وعلى جارك فيه مضرة. والضِّرار: الذي ليس لك فيه منفعة وعلى جارك فيه المضرة)[٦]، جاء في لسان العرب: (الضّررُ ما تَضُرُّ به صاحبك وتنتفع أنت به، والـضِّرارُ أن تـضُرَّه مـن غيـر أن تنتفع)[٧] (وقيل: هما بمعنى واحد)[٨] وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية عبـادة بـن الصامت: (لا ضَرَرَ ولا ضِرَار)[٩]، أيضاً يؤكد أنهما ليسا بمعنى واحد، بل بمعنيين مختلفين. مـن هنا ندرك لم وُصف هذا المسجد بصفة الضِّرار لا الضَّرر.

---

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٨، ج٦، ص١٥٣،
(٢) القرطبي، تفسير القرطبي، م٧، ج٨، ص٢٥٣.
(٣) الطبري، تفسير الطبري، م٧، ج١١، ص١٨.
(٤) أبو عودة، التطور الدلالي، ص١٩٥.
(٥) انظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٦) القرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٨، ص٣٥٤.
(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضرر).
(٨) القرطبي، تفسير القرطبي، م٤، ج٨، ص٣٥٤.
(٩) ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد، (د.ت). سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (د.ط)، (د.م)، دار إحياء التراث العربي، كتاب الأحكام، باب: من بنى في حقه ما يضر بجاره، ج٢، ص٧٨٤، رقم الحديث (٢٣٤٠).

هذا وقد أصبحت كلمة (الضرار) في أيامنا هذه مصطلحاً عامّاً يستعمله كل امرئ فيما يراه بُني أو أقيم لغير وجه الله، من أعمال أو تصرفات، أو تبرعات أو ولائم أو مناسبات، فيقولون مثلاً: (وليمة الضرار) أو (احتفال الضرار) أو (تبرع الضرار) إذا كان كل ذلك لمصلحة خاصة ليس فيها شيء لله عز وجل.

واخفض لهما جناح الذل

هذا التركيب القرآني ورد مرة واحدة في قوله تعالى: M وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ © رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا L الإسراء: ٢٤.

وقد وردت مادة (جَنَحَ) ومشتقاتها في القرآن خمساً وثلاثين مرة؛ خمسٌ وعشرون منها بصيغة (جُناح) ومرة واحدة بصيغة (جَناح)، وأربع مرات بصيغة (جَناحيك)، ومرة واحدة لكل من: (جنحوا، فاجنح، بجناحيه، أجنحة).

أما مادة (ذلَّ) ومشتقاتها، فقد وردت أربعاً وعشرين مرة، واحدة منها بصيغة (الذُّل) التي وردت في الآية التي ذُكرت قبل قليل.

وجَنَحَ إليه يَجْنَح (لغة تميم) وهي على القياس وهي الفصيحة، ويَجْنُحُ (لغة قيس) ويَجنِح (وقد قُرئ بهما شاذاً)، جنوحاً: مال. والجَناح من الإنسان: اليد. ويدا الإنسان: جَناحاه وكذا من الطائر، قال تعالى: M r s t u v L القصص: ٣٢، قال الزّجاج: العَضُد، ويُقال: اليد كلها جَناح، والجَناح: الإبط والجانب، M وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ L: أي أَلِن لهما جناحيك، وهو مجاز، وجناح الشيء: نفسه[١]، ومنه قول عدي بن زيد:

وأحورِ العينِ مَرْبوبٍ له غُسَنٌ   مقلّدٌ من جناحِ الدُّرِّ تِقْصارا[٢]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (جَنَحَ).

(٢) العبادي، عدي بن زيد (١٩٦٥). ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعيبد، (د.ط)، بغداد، دار الجمهورية للنشر، ص٥٠ غُسَنَ: جمع غُسْنة وهي خصلة الشعر. والجناح من الدر: نظم منه، وكل ما جعلته في نظام فهو جناح، والتقصارة: القلادة.

(وذَلَّ يَذِلُّ ذُلاًّ وذُلالة وذِلّةً ومَذلة وذَلالة: هان فهو ذليل، وذُلاَّن – بالضم- جمع ذِلاَل – بالكسر – وأذِلاء ذكرهما ابن سيده وزاد الأزهري: أَذِلة، وجعل ذُلاّن جمع ذليل. وابن عباد جعله مفرداً. وذِلُّ الطريق: مَحَجته وهو ما وُطِئَ وسُهِّل، والذِّل أيضاً: الرفق والرحمة – ويُضم- وبهما قرئ قوله تعالى: M وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ L[١]. قال الراغب: (الذُّل ما كان عن قهر، يُقال: ذَلَّ يَذِلُّ ذُلاًّ، والذِّل ما كان بعد تَصَعُّبٍ وشماس من غير قهر، يُقال: ذَلَّ يَذِلُّ ذِلاًّ، وقوله تعالى: M وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ L؛ أي: كُنْ كالمقهور لهما، والذُّل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود) [٢].

وبعدُ: فإن قوله تعالى: M وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ L تركيب قرآني جديد، لم يرد في شعر العرب قبل القرآن، وهو في القرآن مصطلح قرآني اختص بالوالدين – لا غير- وتقديرهما والمبالغة في التواضع لهما، إذ لم ترد لفظة الذُّل مرتبطة بجناح إلا مع فعل التواضع للوالدين. (ذكر القفال - رحمه الله- وجهين في أمر هذا التركيب، فقال: الطائر إذا أراد ضمَّ فرخه إليه للتربية خفض له جناحه، فصار خفض الجناح كناية عن حُسنِ التربية فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا بك حال صغرك. والطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحيه، وإذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه، فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه)[٣].

واعتصموا بحبل الله

ورد هذا التركيب في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: M A B C D E F L آل عمران: ١٠٣.

(وعَصَمَ – في اللغة- يَعْصِمُ عَصْمَاً: منعه ووقاه، والعِصمة في كلام العرب: المنعُ. واستعصم: امتنع وأَبى، قال الأزهري: العرب تقول: أعصمتُ بمعنى اعتصمتُ، ومنه قول أوس ابن حجر:

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، مادة (ذلل).

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص١٧٩.

(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٠، ج٢٠، ص١٥٢/١٥٣.

فأشْرَطَ فيهــا نَفْــسَهُ وهــو مُعْــصِمٌ   وألقــى بأســبابٍ لــه وتَــوَكَّلا[١].

والاعتصام: الامتساك بالشيء)[٢]، (ومنه شعر أبي طالب يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وأبــيضَ يُسْتَــسقى الغمــامُ بوجهــه   ثِمالُ اليتــامى عِــصْمَةٌ للأرامــل[٣]

وأَعْصَمَ بالفرس: أمسَك بعرفه، وكذلك البعير: إذا أمسَك بحبل من حبالــه، قــال طفيــل الغنوي:

إذا ما غدا لم يُسْقِط الخــوفُ رُمْحَــهُ   ولم يَشْهَدِ الهيجا بــأَلْوَثَ مَعْــصِمِ.[٤]

قال الزجاج: أصل العصمة: الحَبْل، وكلُّ ما أمسك شَيئاً فقد عَصَمَهُ. وقال ابن المظفر: أَعْصَمَ وأَعْصَم به: إذا لجأ إلى الشيء. وقوله: M A B C L أي تمسكوا بعهد الله)[٥].

(والحبل: الرباط، والجمع أَحْبُل وأحبال وحِبال وحُبُول، قال أبو طالب:

أَمِنْ أجل حَبْــل، لا أبــاك، ضَــرَبْتَه   بِمنْسأة؟ قــد جَــرَّ حَبْلُــك أَحْــبُلا[٦]

والحَبْل: الرسن، والحبل: العهد والذِّمة والأمان، قال الأعشى:

وإذا تُجَوِّزُهـــا حِبـــالُ قبيلـــةٍ   أَخَذَتْ من الأخرى إليــكَ حبالَهــا[٧]

---

(١) ابن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص٨٧،أشرط: خاطر، مُعْصِم: متعلق بالحبل الذي دلاّه، أسباب: جمع سبب وهو الحبل.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عصم).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ثمل). وثمال: ملجأ وغِياث ومطعم في الشدة.

(٤) الغنوي، ديوان طفيل الغنوي، ص٨٠، وألوث: الضعيف والبطيء الثقيل، مَعْصِم: الذي يعتصم بسرجه مخافة أن يقع.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عَصَمَ).

(٦) المصدر السابق، مادة (حبل).

(٧) الأعشى، ديوان الأعشى، ص٧٩.

والحَبْل: التواصل والوصال والمُواصلة، قال امرؤ القيس:

إنـــي بحبلِـــك واصـــلٌ حَبْلـــي   وبـــريش نبلِـــك رائـــشٌ نبلـــي[١]

قال أبو عبيد: أصل الحبل في كلام العرب ينصرف على وجوه منها العهد وهو الأمـــان، ويسمونه (حبل الجوار)؛ إذ كان من عادة العرب أن يخيف بعضها بعضاً في الجاهليـــة، فكـــان الرجل إذا أراد السفر أخذ عهداً من سيد كل قبيلة، فيأمن به ما دام في تلك القبيلة حتى ينتهي إلى الأخرى، فيأخذ مثل ذلك – أي الأمان- فهذا حبل الجوار؛ أي ما دام مجاوراً أرضه أو هو مـــن الإجارة والأمان والنصرة)[٢]، وهذا المعنى الذي ورد في بيت الأعشى الـــسابق، فـــالعرب إذن عرفت (حبل الجوار)، ولم تعرف (حبل الله) إذ إن هذا تركيب تولد في ظل الإســـلام، فـــالعرب عرفت (حبل الجوار) بمعناه المادي الملموس، جاء القرآن فعرض على الناس حبلاً أكثـــر أمانـــاً ونصرة، هو حبل الله بمعناه المعنوي والمادي معاً متمثلاً (باتباع طريق الحق والاعتصام بـــدليل الله وبيناته، فهذا الحبل يمثل كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين)[٣]، والقـــرآن الكريم بما فيه من أحكام وأمور شاملة تهدي المرء إلى الحق في كل مناحي حياته، هـــو الحبـــل الذي أمر الله الإنسان بالاعتصام به.

إذن (واعتصموا بحبل الله) تركيب قرآني، صنعه القرآن ومن ثم خصص دلالته فإن كـــان (الاعتصام بالحبل) عند العرب يحمل معنىً عاماً متمثلاً بالاستمساك (بالسبب الذي يوصل إلـــى البغية والحاجة)[٤]، فإن القرآن جاء بالاعتصام بحبل الله الذي يحمـــل معنـــى خاصـــاً متمـــثلاً بالاستمساك بكتاب الله (القرآن الكريم) ونهجه القويم للنجاة في الدنيا والآخرة.

---

(١) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، ص٢٣٩ ريش النبل: ما يوضع في جانبي السهم من الريش.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبل).
(٣) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٤، ج٨، ص١٤٢.
(٤) الطبري، تفسير الطبري، م٣، ج٤، ص٢١. القرطبي، تفسير القرطبي، م٢، ج٤، ص١٥٨.

والتفت السَّاق بالسَّاق

ورد هذا التركيب مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: M I J K L M N O P L القيامة: ٣٠/٢٩.

(ولفَّ الشيءَ يلُفه لفّاً: جَمَعَه، وجمعٌ لفيفٌ مجتمعٌ ملتفٌ من كل مكان، واللفيف الجمع العظيم من أخلاط شتى فيهم الشريف والدنيء فليس أصلهم واحد)[1]، قال ساعدة بن جُؤَيَّة:

فالدّهرُ لا يبقى على حَدَثَانِهِ   أَنَسٌ لفيفٌ ذو طوائفَ حوشبُ[2]

(والسَّاق لكل شجرة ودابة وطائر وإنسان، والسَّاق ساق القدم، والسَّاق من الإنسان ما بين الركبة والقدم. والسَّاق مؤنث، والسَّاق في اللغة الأمر الشديد)[3].

(لقد اختلف أهل التأويل في هذا التركيب، فقالوا: التفت شدة أمر الدنيا بشدة أمر الآخرة، وقالوا: أهل الدنيا يجهزون الجسد وأهل الآخرة يجهزون الروح، وقالوا: هو التفاف الساقين فعلاً عند الموت، وقالوا: في الكفن، وقالوا: يبسهما عند الموت، وأولى الأقوال قول من قال: التفت ساق الدنيا بساق الآخرة وذلك شدة كرب الموت بشدة هول المطلع، ويدل على ذلك قوله تعالى: MM N O P L والعرب تقول لكل أمر اشتد: قد شمّر عن ساقه وكشف عن ساقه)[4] (فقيل للأمر الشديد ساق، والعرب تقول: قامت الحرب على ساق، إذا اشتدت)[5]، قال حاتم الطائي:

أخو الحرب إن عضّت به الحربُ عضّها   وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا[6]

(فالعرب لا تذكر الساق إلا في المحن والشدائد العظام)[7]، (يُقال: شمّر ساعده وكشف عن ساقه للاهتمام بالأمر العظيم)[8]، (قال ابن قتيبة: وأصله أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج

(١) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (لفف).
(٢) الدار القومية للطباعة والنشر، ديوان الهذليين، ج١، ص١٨٣ وأنس لفيف: جماعة كثيرة، ذو طوائف: نواحٍ، وحوشب: منتفخ الجنبين وهو استعارة للجمع الكثير.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق).
(٤) الطبري، تفسير الطبري، م١٢، ج٢٩، ص١٢٢.
(٥) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٥، ج٣٠، ص٢٠٥.
(٦) الطائي، حاتم، (١٩٧٥). ديوان حاتم الطائي وأخباره، تحقيق: عادل سليمان جمال، (د.ط)، القاهرة، مطبعة المدني، ص٢٦٩.
(٧) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٥، ج٣٠، ص٨٤.
(٨) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق).

إلى الجدِّ فيه يشمر عن ساقه، فيقال في موضع الشدة كشف عن ساقه، وقيل ساق الشيء: أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان، فالمراد: تظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها)[١].

وعوداً إلى تركيب (التفت الساق بالساق)، فأقول: إنه مصطلح تركيبي صنعه القرآن خاص بمرحلة من مراحل الاحتضار عند الإنسان، (فقلَّ ميت يموت إلا التفت ساقاه)، [٢] وهذا المعنى أرجح عندي إذ (أجمع العلماء أنه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذر حمله على الحقيقة) [٣]. وهذه الدلالة لم تعرفها العرب من قبل ولم تأت في كلامها.

يستحيون نساءكم

هذا التركيب ورد في القرآن الكريم في أكثر من صيغة، هي كالآتي:

بصيغة (يستحيون نساءكم) ثلاث مرات.

وبصيغة (يستحيي نساءكم) مرة واحدة.

وبصيغة (نستحيي نساءهم) مرة واحدة أيضاً.

وبصيغة (اسْتَحْيُوا نساءهم) مرة واحدة كذلك.

ويستحيي من الحياء من حيا، والحياء: التوبة والحشمة، قال الأزهري: للعرب في هذا الحرف لغتان، يقال: استحى الرجل يستحي بياء واحدة، واستحيا فلان يستحيي بياءين، قال الأخفش: وهو الأصل. واستحياه واستحيا: من الحياء، واستحياه: استبقاه وهو من استفعل من الحياة[٤]. قال الراغب: يستحيون نساءكم: أي يستبقونهن[٥]. قال الأزهري: الحيُّ فرج المرأة[٦] من هنا قالوا: المراد بـ (يستحيون نساءكم) أي يفتشون حياء المرأة (أي فرجها)، هل بها حمل أم لا، قال الرازي: وأبطل هذا القول أن ما في بطون النساء إذا لم يكن للعيون ظاهراً لم يُعلم بالتفتيش ولم يوصل إلى استخراجه باليد[٧]. وقالوا: المراد هو قول فرعون لرجاله انظروا كل امرأة حامل

---

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٥، ج٣٠، ص٨٣-٨٤.
(٢) الطبري، تفسير الطبري، م١٢، ج٢٩، ص١٢٢.
(٣) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٥، ج٣٠، ص٨٣.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حيا).
(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص١٣٩.
(٦) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حيا).
(٧) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٢، ج٣، ص٦٥.

في المدينة، فإذا وضعت حملها وكان ذكراً فاذبحوه، وإن كان أنثى فخلوا عنها[١]، وقالوا يستحيونهم: يستبقونهم فلا يقتلونهم[٢].

أقول: إن هذا التركيب القرآني، تركيب يُعبر عن عذاب أنزله فرعون ببني إسرائيل في مصر؛ خشية من رؤيا رأى فيها أنه سيأتي من بني إسرائيل من يهدم ملكه، فأنزل بهم العذاب خوفاً على ملكه، فأخذ يقتل كل طفل يُولد إن كان ذكراً، وأباح لقومه أن يستحيوا نساء بني إسرائيل، أي يطلبوا حياءهنَّ وهو شكل من أشكال العذاب الذي أنزله فرعون ببني إسرائيل، ويتبين ذلك من سياق الآيات، قال تعالى: M U V W | Y Z
[\ L الأعراف: ١٤١.

وقال تعالى: M ~ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً © يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ L القصص: ٤.

والآيات كلها التي ورد فيها هذا التركيب بصيغه المختلفة، تتحدث عن العذاب الذي أنزله فرعون ببني إسرائيل، وإن أخذنا بما قاله المفسرون بأن يستحيون بمعنى يستبقون، أقول: قد تحمل يستحيون ومشتقاتها المعنيين: يستبقون ويطلبون حياءهن، فقوم فرعون استبقوا النساء ليطلبوا حياءهن وفي الحالين هو شكل من أشكال العذاب، ومعنى (يطلبون حياءهن) أنهم يعتدون عليهن ويسلبونهن أعز ما يملكن، وأكثر ما يحرصن على ستره وحفظه. وإني لأعجب حقاً كيف لم يتنبه أحد من المفسرين لهذا المعنى، مع أنه أمر شائع في كل الحالات التي تُسبى فيها النساء، ويؤخذن من بيوتهن وأهليهن قسراً وقوة واعتداء. وهذا التركيب (يستحيون نساءكم) وصيغه المتعددة التي وردت في القرآن، تركيب قرآني جديد بهذه الدلالة، وهو لم يرد – في حدود ما اطلعت عليه- في الشعر الجاهلي.

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، م١، ج١، ص٢١٥.

(٢) المصدر السابق، ص٢١٦.

المبحث الثاني

تراكيب أضفى عليها القرآن الكريم دلالات جديدة

ألم نشرح لك صدرك:

هذا التركيب بهذه الصيغة وهذا الترتيب ورد مرة واحدة في القرآن، وذلك في قوله تعالى: M u v w x L الشرح: ١.

أما مادة الشرح ومشتقاتها، فقد وردت في القرآن الكريم خمس مـــرات وهـــي: (شـــرح) مرتين، ومرة واحدة لكل من: نشرح وتشرح واشرح. أما مادة صدر ومشتقاتها، فقد وردت ســـتاً وأربعين مرة بصيغ متعددة.

والشرح في اللغة من شَرَحَ يَشرَحُهُ شرحاً وشرّحه، والشرح والتشريح: قَطْعُ اللحـــم عـــن العضو قطعاً. والشرح: الكشف، يُقال: شرح فلان أمره: أي أوضحه وبيَّنَـــه وكـــشفه، وتقـــول: شرحتُ الغامض: إذا فسَّرته)[١].

(والصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله، والجمع صدور ومنه صدر الإنـــسان. وشَـــرَح الله صَدْرَه لقبول الخير يشرَحُه شرْحاً فانشرح: وسَّعه لقبول الحق فاتَّسع)[٢].

ولننظر في الآيات الخمس التي ورد فيها ذكر (شرح الصدر)، هي كالآتي[٣]:

قال تعالى: M Y Z [\ ] ^ _ ` a L النحل: ١٠٦.

وقال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * L الزمر: ٢٣.

وقال تعالى: M u v w x L الشرح: ١.

وقال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) L الأنعام: ١٢٥.

وقال تعالى: M قَالَ رَبِّ © لِي صَدۡرِي L طه: ٢٥.

أقول: بالنظر في الآيات الخمس السابقة يتبين لنا تماماً أن (شرح الصدر) في أربع منهـــا هي ذات دلالة عامة، وذات دلالة معنوية متمثلة (بالحفظ والفتح والبيان والفهم) [٤]، ويتبين تماماً أن شرح الصدر يكون شرحاً في ناحية الكفر M Z [\ ] L النحل: ١٠٦ ويكـــون شرحاً في ناحية الحق M ! " # $ % L الزمر: ٢٣، إلا أن هناك نوعاً آخـــر

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شرح).
(٢) المصدر السابق، مادة (صدر).
(٣) عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (شرح).
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شرح).

من شرح الصدر، وهذا الشكل هو خاص بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو في قوله تعالى: L x w v uM الشرح: ١.

فهذا التركيب القرآني جديد الدلالة، إذ يمثل مصطلحاً خاصاً بعملية (شق جبريل لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم في صغره أو في وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله)(١). عن أبي هريرة، قال: يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟ فاستوى جالساً وقال: (لقد سألت يا أبا هريرة! إني لفي صحراء أمشي ابن عشر حجج وأشهر، إذا أنا برجلين فوق رأسي، يقول أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم. فأخذاني فصلقاني على ظهري بحلاوة القفا، ثمّ شقا بطني، فكأنّ أحدهما يختلف بالماء في طشت من ذهب، والآخر يغسل جوفي، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره، فإذا صدري فيما أرى ملفوفاً لا أجد له وجعاً. ثم قال: اشْقُق قلبه، فشق قلبي، فقال: أخرج الغل والحسد منه، فأخرج العلقة فنبذ به، ثم قال: أَدْخِل الرأفة والرحمة قلبه، فأدخل شيئاً كهيئة الفضة، ثم أخرج ذَرُوراً كان معه، فَذَرّه عليه، ثم نقر إبهامي ثم قال: اغْدُ، فرجعتُ بما لم أغْدُ به من رحمتي للصغير ورقتي على الكبير(٢).

إذن، فإن تركيب (ألم نشرح لك صدرك)، تركيب قرآني انتقل به القرآن من المادية إلى المعنوية؛ إذ إنه تركيب يمثل عملية (شقَّ جبريل عليه السلام صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وإخراجه قلبه وغسله وتنقيته من المعاصي، ومن ثم ملأه علماً وإيماناً ووضعه في صدره)،(٣) وهذا أمر لم تعرفه العرب قبل القرآن.

ولا بد هنا من الإشارة إلى لطيفة مفادها تخصيص الشرح بالصدر دون القلب؛ ذلك أن الصدر محل الوسوسة، والصدر هو حِصْنُ القلب؛ فإذا ضاق الصدر ضاق القلب، وإذا انشرح الصدر انشرح القلب(٤)؛ من هنا نفهم تخصيص الشرح بالصدر دون القلب. وربما يكون لهذا أيضاً علاقة بمصطلح (ذات الصدور) الذي تكرر في القرآن كثيراً، وربما يأتي يوم على الناس يكتشفون فيه الإعجاز القرآني في هذا التركيب القرآني العجيب.

---

(١) ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، م٢، ج٤، ص٢٠٦.
(٢) البرهان فوري، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، باب المعجزات ودلائل النبوة، ج١٢، ص٤٠٠-٤٠١، رقم الحديث (٣٥٤٣٠).
(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٦، ج٣٢، ص٣.
(٤) المصدر السابق، م١٦، ج٣٢، ص٤.

بِشِقِ الأَنْفُسِ

هذا التركيب ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعـالى: M ! " # $ % & ' ( ) (* L النحل: ٧.

أما مادة (شق) ومشتقاتها فقد وردت تسعاً وعشرين مرة، وهي: شـقتنا، أشـق، شَـاقّوا، تُشاقّون، يُشَاق، يشاقق، تَشَقَّق، يَشّقّق، انشق، انشقت، تنشق، شقاً، بشِق، الشُّقة، أشُـقُّ، شِـقاق، شقاقي.

(والشَّق في اللغة مصدر، من شَقّه يَشُقُّه شَقّاً فانشق، وهو الصَّدع البـائن، وقيـل: غيـر البائن، وقيل: الصَّدع عامة: عن الزجاج: الصَّدع في عود أو حائط أو زجاجة. وشقّ علي الأمر يَشُـق شقاً ومشقـة: أي ثَقُل عليّ[1]، (وشقّ عليه: إذا أوقعـه في المـشقـة وهـي الـشـدة، والاسم: الشِّـق بالكسر)[2]، (والشِّـق والمشقـة: الجهد والعناء، ومنه قوله تعالى: M) (* L النحل: ٧ وأكثر القراء على كسر الشين ومعناه: إلا بجهد الأنفس، وقرأ أبـو جعفـر قارئ المدينة بالفتح)[3]، (قال معاذ الهراء: هي لغة، تقول العرب: بشَق وبشِق وبَرَق وبَـرِق[4]. قال ابن جني: وهما بمعنى: والشَّق: جمعه الشقوق، قال اللحياني: الشَّق المصدر والشِّق الاسـم، قال ابن سيده: لا أعرفها عن غيره)[5]، قال الراغب: (الشَّق: الخرم الواقع في الـشيء والـشِّق: المشقة والانكسار الذي يلحق النفس والبدن كقولـه تعـالى: M) (* L النحـل: ٧ والشُّقة: الناحية التي تلحقك المشقة في الوصول إليها)[6]. (والشِّق: الشقيق، والناحية من الجبـل، والجانب)[7]، قال امرؤ القيس:

إذا ما بكى مِنْ خَلْفِها انحرفـت لــه بشِقٍ وشِـقٌّ عنـدما لـم يُحَـوَّلِ[8]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شقق).
(٢) الزبيدي، تاج العروس، مادة (شقق).
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شقق).
(٤) الطبري، تفسير الطبري، م٧، ج١٤، ص٥٦.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شقق).
(٦) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٢٦٥.
(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شقق).
(٨) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، ص١٢ شق: شطر جسمها.

(قال الليث: الشِّق: اسم لما نظرت إليه، والشِّق: موضع بخيبر، أو وادٍ به، ويفتح)[١].

(والشِّق: نصف الشيء إذا شُق، والعرب تقول: خذ هذا الشِّق لِشِقّة الشاة)[٢]، ومنه قوله عليه السلام: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله عز وجل، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة"[٣] والمراد عدم استقلال شيء من الصدقة.

(تقول: هذا شقيق هذا: إذا انشق نصفين فكل واحد منهما شقيق الآخر: أي أخوه)[٤].

(وشِق: اسم موضع، وفي كتاب نصر: شِق من قرى فدك تعمل فيها اللُّجُم)[٥]، قال أبو الندى:

مِن عجوة الشِّق يطوف بالوَدَك ... ليس من الوادي ولكن مِن فَدَك[٦]

(وشِق: اسم كاهن من كهّان العرب)[٧].

كتب التفسير لم تبتعد عما ذكرته معاجم اللغة، إنما جمعت بين معنى المشقة ونصف الشيء، جاء في التفسير الكبير للرازي: (الشَّق: المشقة، والشِّق: نصف الشيء، ويُحمل معنى الآية على المعنيين، فإن حُمِل على المشقة فالمعنى: لم تكونوا بالغيه إلا بالمشقة، وإنْ حُمِل على نصف الشيء، فالمعنى: لم تكونوا بالغيه إلا عند ذهاب النصف من قوتكم أو من بدنكم)[٨].

أقول: والمعنى واحد.

إن القرآن الكريم بهذا التركيب؛ (بشقِ الأنفس) الذي هو تركيب قرآني جديد الدلالة، يخاطب فيه العرب الذين نزل فيهم القرآن وهم أصحاب بيئة تعرف ما معنى نعمة الأنعام بكل أنواعها من إبل وبقر وضأن وماعز، نعمة لا حياة للناس من دونها، والخيل والبغال والحمير للركوب والزينة، فخاطبهم عز وجل بِقَدْر تقديرهم لهذه النِّعم التي تحمل الأثقال إلى البلاد البعيدة

(١) الزبيدي، تاج العروس، مادة (شقق).
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شقق).
(٣) النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، ج٧، ص١٠٣، رقم الحديث (٢٣٤٥).
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شقق).
(٥) الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، (د.ت). معجم البلدان، (د.ط)، بيروت، دار صادر، م٣، ص٣٥٥.
(٦) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٧) القرطبي، تفسير القرطبي، م٥، ج١٠، ص٧١، أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، م٥، ص٤٧٦.
(٨) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٠، ج١٩، ص١٨٢.

التي لا يبلغونها إلا بشِق الأنفس[١]، فكان هذا التركيب مُصَوِّراً تصويراً حيّــاً لحـــال المـــسافر المتعب من بلد إلى آخر دون ركوبه، مذَكّراً الناس بهذه النعمة العظيمة في ذلك الزمان وفي كل زمان، واليوم في وقتنا الحاضر تُعد وسائل النقل كلها مما يَدخل فـــي قولـــه تعـــالى: M ! " # $ % & ' ( ) * L النحل: ٧.

وإن مما يلفت الانتباه في هذا التركيب جمعه بين المفرد (شق) مكسور الشين دون فتحها، والجمع (الأنفس) دون المفرد (نفس).

إن (الأنفس) جمع قلة، وقد جاءت بصيغة جمع القلة دون جمع الكثرة (نفوس) دلالة علـــى أن المرء له نفس واحدة، وجاء بصيغة الجمع دون المفرد للدلالة على أن كل نفس مُنعّمة بهـــذه النعمة الإلهية، ودلَّ دلالة قاطعة على القلة مجيء (شِق) بلفظ المفرد دون الجمع (شـــقوق)، ثـــم شاع وعُرف هذا التركيب بين الناس وأصبح يطلق على كل عمل يقوم به المرء بجهد وتعب.

ختامه مسك

هذا التركيب ورد في القرآن الكريم مرة واحدة فـــي قولـــه تعـــالى: M يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ´ µ ¶ L المطففين: ٢٥/٢٦.

وقد وردت مادة (ختم) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، (والخَتْمُ من خَـــتَمَ: خَتَمَهُ يَخْتِمهُ خَتْمَاً وخِتاماً، والأخيرة عن اللحياني: طَبَعَه فهو مختوم ومخَتَّم، قال أبـــو إســـحاق: معنى خَتَمَ وطَبَعَ في اللغة واحد: وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخلـــه شـــيء. والخِتام: الطين الذي يُختم به على الكتاب)[٢]، قال الأعشى:

وصَـــــهباءَ طَـــــاف يَهوديُّهـــــا وأبرزَهَـــــا وَعَلَيْهـــــا خُـــــتَمْ[٣]

(والخَتْمُ: المنعُ، وخاتِم كل شيء وخاتِمتُه: عاقبته وآخره، وخِتام كل مشروب: آخره، قـــال الفراء: الخاتِم والخِتام متقاربان في المعنى، إلا أن الخاتِم الاسم، والخِتـــام المـــصدر. قـــال أبـــو

---

(١) انظر: قطب، في ظلال القرآن، م٤، ج١٤، ص٢١٦١.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ختم).
(٣) الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص٨٥. وصهباء: الخمر.

منصور الأزهري: أصل الخَتْم: التغطية، وخَتْمُ البذر: تغطيته، قال الطائفي: الخِتام: أن تثار الأرضُ بالبذر حتى يصير البَذْر تحتها ثم يسقونها يقولون: ختموا عليه)[١]. (وقيل: الخَتْم: إذا سقى الزرع أوّل سَقْية وهو مجاز)[٢].

وقد اختلفوا في تفسير قوله تعالى: Mخِتَٰمُهُۥ مِسۡكٌۚ L، فقال القفال: (يُسقون من شراب مختوم تكريماً له بالصيانة، والعرب جرت فيها عادة ختم ما يكرم وما يُصان، قال: وهذا المختوم أشرف من الجاري من الخمر في قوله تعالى: M h i j k l L محمد: ١٥)[٣].

(وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: يعني آخر شرابهم يُختم بمِسك يُجعل فيه)[٤]. (وقيل مختوم: ممزوج)[٥]، (وقال مجاهد: مختوم أي مُطيَّن)[٦]، (مختوم بطينة من مِسْك)[٧]. (ومُنع عن أن يمسّه ماس إلى أن يَفُكَّ ختامَه الأبرارُ)[٨].

أقول: إن العرب عَرَفت الختم: بمعنى الطَبْع والمنع وآخر كل شيء والتغطية الذي هو المعنى الأصلي كما قال الأزهري، كما عَرَف العرب الختْم بمعنى الطين الذي يُختم به الكتاب وقوارير الخمر لحفظها. جاء القرآن فجمع كل هذه المعاني في تركيب جديد، فقال: Mخِتَٰمُهُۥ مِسۡكٌۚ L واصفاً شراب الخمر يوم القيامة، وإذ كان العرب يختمون قوارير الخمر بالطين لحفظها وصيانتها، فإنها ستختم كذلك يوم القيامة لكن بختم من مسك نعمياً من نعيم الجنة للمؤمنين: وهو خمر غير خمر الدنيا المحرَّم، وإن صحَّ القول بأن: الخَتْم: المزج والخلط – وقد رفض الطبري هذا المعنى- فقال: (أما الختم بمعنى: المزج فلم يُسمع في كلام العرب)[٩]، أقول إن صحَّ، فإن خمر الجنة ممزوج بالمسك حتى يجد أهل الجنة طعمه وريحه في الخمر، وهذا لذة من لذائذ الجنة للمؤمنين، ويمكن القول: إن العرب عرفت هذا المعنى، (فالمرأة تقول للعطار: اجعل لي خاتِمَه مسكاً، وتقول

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ختم).
(٢) الزبيدي، تاج العروس، مادة (ختم).
(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٦، ج٣١، ص٩٠.
(٤) الطبري، تفسير الطبري، م١٢، ج٣، ص٦٨.
(٥) الرازي، التفسير الكبير، م١٦، ج٣١، ص٩٠.
(٦) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٧) الطبري، تفسير الطبري، م١٢، ج٣٠، ص٦٨.
(٨) القرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج١٩، ص٢٦٥.
(٩) الطبري، تفسير الطبري، م١٢، ج٣٠، ص٦٨.

للطيب: خِلْطُهُ مِسْكٌ)[١]، إلا أن مسك الآخرة ليس كمسك الدنيا، وإذا كان هذا في الدنيا للناس عامة، فإنه في الآخرة للمؤمنين خاصة فقط، فالختم بالمسك نعيم خاص بالمؤمنين يوم القيامة، فخمر الجنة مختوم بمسك لا بطين تكريماً وصيانة، كما أنه ممزوج بمسك فأصبحت ريحه ريح المسك وطعمه ممزوج بالمسك، وإذا كان المسك طِيباً وعطراً فاخراً للناس جميعاً في الدنيا، فإنه في الآخرة شكل من أشكال النعيم لأهل الجنة إذ يُصنع منه ما تختم به قوارير الخمر لصيانتها وتكريماً لهم، وهذا تخصيص لأهل الجنة، وعليه فإن هذا تركيب قرآني خصَّص القرآن دلالته.

ومن الجدير بالذكر أن هذا التركيب قد شاع في العصر الحديث على ألسنة الناس، وهم يتمثلون به على حسن ختام (أيْ نهاية) الأمر الذي هم فيه، فيقولون (ختامه مسك) تعبيراً عن نهاية سعيدة لأي عمل أو قول يقولونه وهذا من باب التفاؤل والمدح. وهذا المعنى الذي يستعمله الناس الآن صحيح تماماً من ناحية لغوية؛ إذ إن من معاني (الختام) النهاية كما في معاجم اللغة.

الدار الآخرة

وردت لفظة الآخرة في القرآن الكريم مئة وخمس عشرة مرة، وتركيب الدار الآخرة تسع مرات.

والدّار في معاجم اللغة: (البَلَد، والدار – من المجاز - القبيلة، والدُّور: هي المنازل المسكونة والمحال)[٢].

(قال ابن جني: الدّار من دار يدور لكثرة حركة الناس فيها، وهي المحل يجمع البناء والعرصة، والجمع أَدْوُر وأدْؤُر)[٣] (على الأصل)[٤]. (وجاء في التهذيب كلُّ موضع حلّ به قوم فهو دارهم، والدنيا دار فناء والآخرة دار القرار ودار السلام)[٥]. (والآخر: ضد الأول، والأخرى: ضد الأولى والدنيا)[٦].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ختم).
(٢) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، مادة (دور).
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (دور).
(٤) الزبيدي، تاج العروس، مادة (دور).
(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة (دور).
(٦) ابن منظور، لسان العرب، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (أَخَرَ).

أما المفسرون، (فالدار الآخرة عندهم تعني الجنة)[١]؛ (لأنها المطلوبة من دار الآخرة دون النار؛ ذلك أن الكفار كانوا يزعمون أن لهم الجنة)[٢].

أقول: إن الدار الآخرة في القرآن الكريم علمٌ على دار البقاء، فهي دار الخلد والقــرار كما وصفها الله تعالى في قوله:M وَإِنَّ ٱلۡأَخِـرَةَ هِىَ ´ µ L غافر: ٣٩.

وقوله تعالى: M ¶ ¸ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ L فصلت: ٢٨.

ومن اللافت للنظر أن الدار الآخرة في القرآن بهذا التركيب جاءت إشارة إلى الجنة، أمــا دلالتها على النار فكانت بوصف النار داراً، وهذا ما جعل المفسرين يجزمون بأن الدار الآخــرة هي الجنة دون النار، وإنه بالنظر في آيات القرآن يتبين أن الدار الآخرة تعني الجنة دار قــرار المؤمنين، وهي بذلك أصبحت مصطلحاً للدلالة على هذا المعنى. أما النار، فقــد وصــفت فــي القرآن بصفات أخرى منها: دار الفاسقين، سوء الدار، دار البوار، ولــم يــرد تركيــب (الــدار الآخرة) إلا مع المؤمنين.

وإذا علمنا أن كل حياة لا بدّ لها من زوال، فإننا ندرك تماماً لماذا لم توصف الــدنيا فــي القرآن بأنها دار، بل ارتبطت في القرآن بلفظة حياة، ذلك أنها فانية إلى زوال، في حين أن صفة الدار في القرآن كانت خاصة بالآخرة؛ التي (لا تكون إلا بعد انقضاء الدنيا) [٣]، فالدّار تحمل في طياتها معنى البقاء والاستمرار والخلود، (والآيات الكثيرة التي وردت فيها كلمة الآخرة جعلتهــا تتخصص في أفهام الناس بهذا المعنى، وتبتعد عن المعنى اللغوي الأساسي لها)[٤]، وبهذا بــات تركيب (الدار الآخرة) مصطلحاً قرآنياً جديداً، عُرف بهذا المعنى بين الناس وشاع.

---

(١) القرطبي، تفسير القرطبي، م١، ج٢، ص٣٣.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٢، ج٣، ص١٧٤.

(٣) أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ج٢، ص١٤٢.

(٤) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٣٧٢.

الصراط المستقيم

ذُكرت لفظة (الصراط) في القرآن الكريم في ثمان وثلاثين آية، منها اثنتان وثلاثون مرة مرتبطة بصفة الاستقامة.

(وأصل الصراط في لغة العرب: الطريق)[١] قال القعقاع بن عطية الباهلي:

أَكُرُّ على الحَرُورِيَّيْنِ مُهْرِي لأحملهم على وضَحِ الصراطِ[٢]

وأضاف الطبري: (الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وعلى هذا أجمع أهل التأويل)[٣]، قال أبو ذؤيب الهذلي:

صبحنا أرضهم بالخيلِ حتى تركناها أدقَّ من الصراط[٤]

(وقيل: سمي الصراط صراطاً؛ لأنه يسترط الناس، أي يبلعهم، وقيل للطريق صراط لأنه يسترطهم فيذهب بهم، واسترط معناه: ابتلع ومنه: السَّرَطراط وهو طعام يبتلع من غير مضغ)[٥].

(والعرب تستعير الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وُصف باستقامة أو اعوجاج، وقد تعددت أقوال المفسرين في الصراط المستقيم في كل آية عن الأخرى، فقالوا: التوفيق والثبات على ما يرتضيه رب العزة، وقالوا: القرآن، وقيل: هو دين الله الذي لا عوج له)[٦]. (ولا يقبل من العباد غيره كما قال محمد بن الحنفية)[٧]، (وقالوا: هو الإسلام، وقالوا: كل طريق من طرق الحق فهو صراط مستقيم)[٨] (وقالوا: الاقتداء بالأنبياء في الصبر على الشدائد والثبات عند نزول البلاء)[٩].

---

(١) أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ج٢، ص٢١٥. القرطبي، تفسير القرطبي، م١، ج١، ص١٤٧.
(٢) أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ج٢، ص٢١٥.
(٣) الطبري، تفسير الطبري، م١، ج١، ص٥٧.
(٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها، لم يرد البيت في ديوان الهذليين.
(٥) أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ج٢، ص٢١٧.
(٦) الطبري، تفسير الطبري، م١، ج١، ص٥٧.
(٧) القرطبي، تفسير القرطبي، م١، ج١، ص١٤٧.
(٨) المصدر السابق، م١، ج١، ص٥٨.
(٩) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١، ج١، ص٢٠٦.

يقول النقاش: الصراط: الطريق بلغة الروم، والسراط (بالسين) من الاستراط بمعنى الابتلاع، فكأن الطريق يسترط من يسلكه، وقرئ بين الزاي والصاد وقرئ بزاي خالصة والسين الأصل[١]. وقال: الصراط معروف بالصاد والسين والسين أعلى[٢].

أقول: لقد عرفت العرب الصراط بمعنى الطريق سواء أكان طريقاً مستقيماً أم معوجاً، وجاء القرآن فأعطى هذه اللفظة دلالة شرعية جديدة، تتمثل في أن الصراط في الدنيا هو سبيل إلى صراط الآخرة، فكما في الدنيا صراط مستقيم يسير عليه المؤمنون، هو الدين متمثلاً باتباع أمر الله في القرآن وأمر رسوله في سنته، فهناك في الآخرة صراط مستقيم جزاء لهذه الفئة من الناس قال تعالى: M J K L M L الأنعام: ١٥٣. وقال تعالى: Mفَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا L النساء: ١٥٧.

ومن ابتعد عن الصراط المستقيم في الدنيا، فله في الآخرة صراط الجحيم، قال تعالى: M ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ L الصافات: ٢٢، ٢٣.

فصراط الدنيا والآخرة – إذن- مرتبطان لا فاصل بينهما، وإن كان الصراط المستقيم في واقع الناس يستعملونه لمن يسير في طريق سوي أخلاقياً، إلا أنه في مفهوم الإسلام الطريق المستقيم المرتبط بالإنسان المسلم المؤمن فقط، ذلك أنه يعني الدين القويم، الذي يؤدي إلى صراط الآخرة المستقيم (الذي قال فيه بعض المفسرين: إنه طريق بين الجنة والنار)[٣]، مستنتجين ذلك من أحاديث رسول الله، (ويُقال: الصراط الذي في الآخرة هو جسر على النار يجوز عليه الخلائق، عليه سبع قناطر وهو أحدُّ من السيف وأدق من الشَّعر)[٤]. روى أبو هريرة في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (ويُضْرَب الصراط بين ظَهْري جهنم، فأكونُ أنا وأمتي أول من يُجيز، ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذٍ: اللهم سلِّم سلِّم)[٥].

---

(١) القرطبي، تفسير القرطبي، م١، ج١، ص١٤٨. وكذا جاء في لسان العرب، مادة (صرط).
(٢) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (صرط).
(٣) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٤٦٥.
(٤) أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، ج٢، ص٢١٥.
(٥) النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ج٣، ص٢٣، رقم الحديث (٤٥٠).

وفي حديث طويل آخر يقول عليه السلام: (... وتُرْسَلُ الأمانةُ والــرحمُ، فَتُقوِّمــان جنبتــي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرحال، تجري بهــم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط، يقول: رب سلم سلم)[١].

فصراط الآخرة هو إذن مرحلة من مراحل يوم الحساب، وهو بهذا أمر من أمور عالم الغيب.

بتلك الدلالات الإسلامية التي حملها تركيب (الصراط المستقيم) أقول: إنه تركيب قرآنــي خصّص القرآن الكريم دلالته.

غير أولي الإربة

ورد تركيب (غير أولي الإربة) مرة واحدة في القرآن، وذلك في قولــه تعــالى: Mأَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ´ µ ¶ ¸ مِنَ ٱلرِّجَالِ L النور: ٣١.

(والإرْبُ (بالكسر والسكون): الدَّهاء والبَــصَر بــالأمور (كالإِربــة) بالكــسر، ويَــضُم (الأُرْبة)[٢]، وأضاف صاحب اللسان: الأَرْبُ: المكر والخبث والشَّر)[٣]، (وأصل الإرْب (بكــسر فسكون) الدّهاء والمكر)[٤]، قال أبو العيال الهذلي يرثي ابن عم له يُقال له عبد بن زُهــرة قُتــل زمن معاوية بن أبي سفيان:

يَلُــــــفُّ طوائِــــفَ الفُرْســــا نِ وهــــــو بِلَفِّهــــــم أَرِبُ[٥]

(والأَرَب والإرْب والمأرُبة: الحاجة، وأرِبَ الرجلُ: إذا احتاج إلى الشيء وطلبه)[٦]، قــال ابن مقبل:

---

(١) البرهان فوري، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حديث الشفاعة، ج١٤، ص٣٩٨، رقم الحديث (٣٩٠٥٤).

(٢) الزبيدي، تاج العروس، مادة (أرب).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أرب).

(٤) الزبيدي، تاج العروس، مادة (أرب).

(٥) الدار القومية للطباعة والنشر، ديوان الهذليين، ج٢، ص٢٥٠ وأراد بكلمة أرب: حاذق بقتالهم.

(٦) الزبيدي، تاج العروس، مادة (أرب).

وإنّ فينـــا صَـــبُوحاً إِنْ أَرِبـــتَ بـــه   جمعـــاً بهيّـــاً وآلافـــاً ثمانينـــا[١]

والعرب تقول: (مأربة لا حفاوة)[٢]، أي يكرمك لحاجة له فيك لا محبة.

(وأرِب الدهر: اشتد، وأرِب عليه: قوي)[٣]، قال أوس بن حجر:

ولقد أَرِبتُ علـــى الهمـــوم بِجَـــسْرَةٍ   عيرانـــةٍ بـــالرِّدْفِ غيـــرِ لجـــون[٤]

(والإِرْبُ: العقل، والأريب: العاقل)[٥].

وقد اختلف أهل التفسير في من هو (غير أولي الإربة من الرجال)، فقالوا: (هو الأحمـــق الذي لا حاجة به إلى النساء، وقيل: الأبله، وقيل: الرجل يتبع القوم فيأكل معهم ويرتفق بهم وهو ضعيف لا يكترث للنساء ولا يشتهيهن، وقيل: العِنّين، وقيل: الخِصِيّ، وقيل: المخنّـــث، وقيـــل: الشيخ الكبير، وقيل: الصبي الذي لم يُدرك)[٦].

ومن العجيب أن ينتقل هذا المعنى من الجاهلية، حيث الشدة والمكر والدهاء، إلـــى حيـــث عدم الرغبة في النساء، أو عدم القدرة عليهن. ولعل المعنى الذي ذكرته المعاجم مـــن أن (غيـــر أولي الإربة) هو الضعيف أو المخنث أو الشيخ الكبير هو الذي غلب على هذا الوصف، وصـــار هو المستعمل، وبه نزل القرآن فخصص دلالته وجعله مصطلحاً إسلامياً شائعاً، وتركيبـــاً لغويـــاً قرآنياً جديداً.

---

(١) ابن مقبل، تميم بن أبي، (١٩٦٢). ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن، (د.ط)، دمـــشق، مديريـــة إحيـــاء التراث القديم، ص٣٣٢، والصَّبُوح: المقاتل الشجاع الصبوح الوجه.

(٢) الميداني، مجمع الأمثال، م٢، ص٣١٣.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة (أرب).

(٤) ابن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص١٢٩، أربت: استعنت وقويتُ، الجسرة: الناقة القوية، والناقة العيرانة: النشيطة الصلبة، ولجون: حرون ثقيلة المشي.

(٥) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، (١٩٩٦). أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدّالي، (ط٢)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص٨٤.

(٦) انظر: الطبري، تفسير الطبري، م٩، ج١٨، ص٩٦، والقرطبي، تفسير القرطبي، م٦، ج١٢، ص٢٣٤.

فقطع دابر القوم

ذكر تركيب (دابر القوم) أو ما في معناه، مثل (دابر الذين كذبوا) و(دابر الكافرين) و(دابر هؤلاء) أربع مرات في أربع سور وفق الترتيب الذي ذكرته في سور الأنعام والأعراف والأنفال والحجر وهي كالآتي:

قال تعالى:M ! " # $ % ' ( ) * L الأنعام: ٤٥.

وقال تعالى:M { | } ~ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ L الأعراف: ٧٢.

وقال تعالى: Mوَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ © بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ L الأنفال: ٧.

وقال عز وجل: Mوَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ´ µ ¶ ¸ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ L الحجر:٦٦.

وقد وردت مشتقات مادة (دبر) في القرآن الكريم أربعاً وأربعين مرة مشتملة الآيات التي سبق ذكرها.

(والدُّبُر: نقيض القُبُل، والدُّبُر من كل شيء: عَقِبُه ومُؤخره، ومن المجاز: جِئتك دُبُر الشهر: أي آخره والجمع من كل ذلك أدبار. والدُّبُر والدُّبْر: الظهر قال تعالى: M سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ L القمر: ٤٥.

والدَّبْرُ: خَلْفُ الشيء، والدَّبْر: الموت، ومنه: دَابَرَ الرجلُ: مات)[1]، قال أمية بن أبي الصلت:

عَلِمَ ابنُ جدعانَ بنُ عمـــرو أنه يوماً مدابر
ومسافرٌ سفراً بعيـــداً لا يؤوبُ به المسافر[2]

(فقطع دابر القوم؛ أي استؤصل، قال الأصمعي وغيره: الدَّابر: الأصل)[3]، وأنشد الحارث ابن وعلة الجَرْميّ:

فِدَىً لكما رِحْلَيَّ أُمِّي وخالتي غداةَ الكُلابِ إذْ تُحَزُّ الدَّوابرُ[4]

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، مادة (دبر).
(٢) ابن أبي الصلت، ديوان أمية بن أبي الصلت، ص٤١١.
(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة (دبر).
(٤) التبريزي، شرح المفضليات، ج٢، ص٦١٤. فدى لكما: أسلوب دعاء، الكُلاب: يوم الكلاب الثاني بين تميم واليمن، تحزّ الدوابر: يُقطع الأصل. وتحز الدوابر: مثل من أمثال العرب.

(أي يقتل القوم فَتُذْهبُ أصولُهم، ولا يبقى لهم أثر)[١].

(وقطع الله دابرهم: أي آخر من بقي منهم، ودُبار: يوم الأربعاء في الجاهلية. والدَّبار: الهلاك، ودابرتُ فلاناً: عاديته)[٢]. (والدَّابر: التابع، ورجل أُدابر: يقطع رحِمَه)[٣]. والعرب تقول: (ما يعرف قبيلاً من دبير)[٤]، (والقبيل: ما وَليك، والدبير: ما خَالفَك)[٥].

(ودابر العيش: آخره، قال معقل بن خويلد الهذلي:

ومـا عَرَّيْـتُ ذا الحيّـاتِ، إلا لأقطـعَ دابـرَ العـيشِ الحُبَـابِ[٦]

وأدبر: ولّى)[٧]، قال أبو بكر الهذلي:

أَزُهيرُ هل عـن شَـيْبَةٍ مـن مَقْـصَرِ أم لا سـبيلَ إلـى الـشبابِ المُـدْبِرِ[٨]

ذهبت كتب التفسير إلى ما ذهبت إليه معاجم اللغة من حيث إن معنى (فقطع دابر القوم): هو استئصال القوم على آخرهم، أي من أصولهم، يقال: قطع الله دابره: أي أذهب الله أصله[٩]. (والمعنى في الآية: أي قُطع خَلَفُهُم من نَسْلِهِم، فلم تبق لهم باقية. قال قطرب: يعني أنهم استؤصلوا وأهلكوا)[١٠]. (ومنه التدبير؛ لأنه إحكام عواقب الأمور)[١١].

عرفت العرب الدُّبار: يوم الأربعاء، وعرفت الدابر: آخر كل شيء. وقد اشتق القرآن من هذا المعنى تركيب (فقطع دابر القوم) ليدل به على العقاب الذي ينزله الله تعالى بالقوم الكافرين الذين وسمهم بالظالمين في الآية، وهو الاستئصال من الأصول، وهذا العقاب خاص

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، مادة (دبر).
(٢) ابن فارس، مجمل اللغة، ج٢، ص٣١٢.
(٣) المصدر السابق، ص٣١٣.
(٤) الميداني، مجمع الأمثال، م٢، ص٢٦٩.
(٥) الفراهيدي، العين، مادة (دبر).
(٦) ابن منظور، لسان العرب، مادة (دبر)، لم يرد في ديوان الهذليين. ذا الحيات: اسم سيفه.
(٧) المصدر السابق، المادة نفسها.
(٨) الدار القومية للطباعة والنشر، ديوان الهذليين، ج٢، ص١٠٠.
(٩) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، م٤، ص١٣١.
(١٠) القرطبي، تفسير القرطبي، م٣، ج٦، ص٤٢٧.
(١١) الفراهيدي، العين، مادة (دبر).

بالأقوام الكافرة السابقة لأمة محمد، فقد كرّم الله محمداً بألا ينزل بأمته ما نزل بالأقوام السابقة من عقاب، وقد يُدَلل بيت شعر لأمية بن أبي الصلت على معرفة الجاهلية لهذا التركيب، إذ يقول:

وأُهْلِكوا بعذابٍ حصَّ دابرهم   فما استطاعوا له صَرْفاً ولا انتصروا[١]

إلا أن القرآن الكريم أكَّد تخصيصه بالأمم السابقة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، فنشره بهذا المعنى وجعله مصطلحاً قرآنياً معروفاً وشائعاً.

في لوح محفوظ

جاء هذا التركيب آية مستقلة وحدها، مرة واحدة، في قوله تعالى: M بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ L البروج: ٢١/٢١.

(واللَّوح في اللغة: كل صفيحة عريضة خشباً من صفائح الخشب، وكل عظم عريض: لوح، والجمع ألواح، وألاويح جمع الجمع. واللَّوح: الكَتِف إذا كُتب عليها، واللَّوح: الهواء بين السماء والأرض ويُقال اللُّوح بالضم (وبالضم أعلى) إذ لم يُحْكَ الفتح إلا عن اللحياني)[٢]، قال الشاعر:

لِطائرٍ ظلّ بنا يخوت   يَنْصَبُّ في اللُّوح فما يَفُوتُ[٣]

فالعرب عرفت اللَّوح إذن، ولكن هل اللوح المحفوظ هو اللوح نفسه الذي عرفته العرب؟

اللَّوح الذي ذُكر في القرآن اختلف المفسرون فيه؛ فقالوا: (يحتمل أن يكون اللوح المحفوظ والكتاب المكنون واحداً، وكونه محفوظاً يحتمل عن أن يمسه إلا المطهرون، وربما محفوظاً من إطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين، وربما المراد ألا يجري عليه تغيير أو تبديل)[٤]، (فهو مكتوب في لوح محفوظ عند الله من الشياطين ووصولهم إليه، وقيل: هو أم الكتاب منه انتسخ القرآن والكتب السماوية الأخرى)[٥].

---

(١) ابن أبي الصلت، ديوان أمية بن أبي الصلت، ص٣٨٩.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (لوح).
(٣) المصدر السابق، مادة (لوح)، وخوَّت الطيرُ: إذا صوّت، ويفوت: يبتعد.
(٤) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٦، ج٣١، ص١١٤.
(٥) القرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج١٩، ص٢٩٨.

(إن كلمة ألواح أو لوح بمعنى مكان الكتابة أو مجمع السطور، كانت معروفة للعرب في الجاهلية، فإذا أضيفت إلى كلمة محفوظ يفهم أنه المكان الذي حفظ فيه الشيء المكتوب)(١).

ومن خلال العرض السابق يتبين أن المصطلح التركيبي (لوح محفوظ) مصطلح مخصص باللوح المحفوظ عند الله، لا يطّلع عليه إلا الله فهو من علم الغيب، أراد به الله إخبارنا (بأن هذا القرآن الكريم محفوظ بحفظه له، محفوظ من كل تحريف أو نقص أو تشويه أو تغيير) (٢).

وربما يحق لنا نحن، أهلَ هذا الزمن، ونحن نرى المعلومات الغزيرة التي تتعلق بكل ما صنعه الإنسان في الدنيا، وبكل ما في الحياة من معلومات وإحصاءات وأرقام نظمها الإنسان – يمكن أن تحشر في قرص مدمج، في (لوح محفوظ)، أقول: يحق لنا أن نتصور دلالة (اللوح المحفوظ) الذي أراد الله عز وجل أن يقربه إلى أفهامنا، فليس بعيداً أن يكون قضاء الله عز وجل وحكمته في ما شاء أن يكون عليه الكون، قد نظمه وأودعه (اللوح المحفوظ) الذي حدثنا عنه. وبخاصة أن دلالة اللوح المحفوظ عند الناس هي ما خفي علينا من قضاء الله وقدره.

وإذا كان العرب يحفظون مواثيقهم وعهودهم بكتابتها في الألواح والجلود والنبات والعشب والورق، وقد تمحى تلك الكتابة مع الزمن وتزول، فإن اللوح المحفوظ عند الله ليس كألواح الدنيا فهو منذ الأزل مكتوب فيه ما كُتب ومحفوظ إلى يوم القيامة لا يتغير ولا يتبدل، وبهذا كله فهو مصطلح تركيبي قرآني جديد الدلالة.

لا تَعْضُلوهنّ

تركيب قرآني ورد في آيتين، وهما كالآتي:

قال تعالى: M T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a L البقرة: ٢٣٢.

وقال تعالى: M z { | } ~ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ © ´ L النساء: ١٩.

---

(١) أبو عودة، التطور الدلالي، ص٤٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص٤٦٤.

(والعَضْل في اللغة من عَضَلَ عليه عَضْلاً: ضيّق وحال بينه وبين مراده، وعضّل عليه تعضيلاً وعضّل به الأمر: اشتد، وأصل العَضْل: المنع والشدة. وعَضَلَ المرأة وعضّلها تعضيلاً: منعها التزوج ظلماً، قال تعالى: M Y Z [\ ] L.

والعَضْل من الزوج لامرأته أن يضارها ولا يُحْسِن عشرتها، ليضطرها بذلك إلى الافتداء منه بمهرها، قال تعالى: M { ~ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ © مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ L النساء: ١٩.

وعَضّل بهم المكان تعضيلاً: إذا ضاق، وعضّلت الأرض بأهلها: إذا غَصَّت بهم لكثرتهم، قال أوس بن حجر:

ترى الأرضَ منّا بالفضاء مريضةً   مُعَضِّلةً منّا بِجَمْعٍ عَرَمْرَمِ(١)

ويُقال: داء عُضال، وأمر عُضال)(٢)، قال أوس بن حجر:

وليس أخوك الدائمُ العهد بالذي   يَذُمُّكَ إنْ ولَّى ويُرضيك مُقبلاً
ولكنْ أخوك النائي ما دمتَ آمناً   وصاحبُك الأدنى إذا الأمر أعضلا(٣)

(وعَضَلَت المرأةُ بولدها تعضيلاً: إذا نَشَب الولدُ فخرج بعضه ولم يخرج بعض، فبقي معترضاً)(٤). (وأصل العَضْل من قولهم: عَضَلَت الناقة: إذا نشَب ولدها فلم يسهل خروجه، وعَضَلَت الدجاجة: نَشَبَ بيضها)(٥). وجاء في تفسير الطبري والفخر الرازي: (أصل العَضْل: الضيق)(٦)، ومنه قول عمر بن الخطاب: "وقد أعضل بي أهل العراق لا يرضون عن والٍ ولا يرضى عنهم والٍ"(٧).

---

(١) ابن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص١٢١.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عضل).
(٣) ابن حجر، ديوان أوس بن حجر، وأعضلا: اشتد، ص٩٢.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس، ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (عضل).
(٥) القرطبي، تفسير القرطبي، م٢، ج٣، ص١٥٩.
(٦) الطبري، تفسير الطبري، م٢، ج٢، ص٢٩٩. الفخر الرازي، التفسير الكبير، م٣، ج٦، ص٩٦.
(٧) الطبري، تفسير الطبري، م٢، ج٢، ص٢٩٩.

يتبين مما سبق أن العربَ عَرَفت العَضْل بمعنى الضيق والمنع والشدة في أي أمر، ثم جاء القرآن الكريم فجعل (العَضْل) مصطلحاً خاصاً بحال من أحوال النساء إذ جاء الإسلام فنهى عن عَضْل النساء الذي هو في القرآن يتمثل في حالتين خاصتين بالنساء هما:

- منع المرأة حقها في النفقة وحسن العشرة، وهو عَضْل تتلقاه المرأة من الزوج.
- ومنع الولي المرأةَ من الزواج الذي هو حق مباح لها، وهو عَضْل تتلقاه المرأة من وليها سواء أكان الأب أم الأخ أم العم أم الخال.

فتركيب (لا تعضلوهنّ) إذن مصطلح تركيبي قرآني استعمله القرآن بمعناه اللغوي، لكن خصصه بأمر من أمور النساء، بعد أن كان معنى لغوياً عامّاً، لأنه عندما يطلق الآن يتوجه الذهن حالاً إلى هذه الحالة التي تتعلق بالنساء.

مدّ الأرض

هذا التركيب ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: M R S T U V W X Y L الرعد: ٣ وورد بمعناه قوله تعالى: M 7 8 9 : ; L الحجر: ١٩، ق: ٧، وقوله تعالى: M 4 5 6 L الانشقاق: ٣.

وقد وردت لفظة (مدَّ) ومشتقاتها في القرآن إحدى وثلاثين مرة، بمعانيها اللغوية المختلفة.

والمدُّ: الجذب والمَطْل، وهو من مَدّ يمدُّه مَدّاً، ومدّ به فامتدّ، ومَدَّده فتمدّد، وتَمَدَّدْناه بيننا: مَدَدْناه، وفلان يُمادُّ فلاناً: أي يماطله، ومدّه في غيّه: أمهله وطوّل له، قال تعالى: M وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ L البقرة: ١٥ وشيء مديد: ممدود وكل شيء تبقى فيه سعة المد فهو ممدود. ويُقال: مَدَدْت الأرضَ مَدّاً: إذا زدت فيها تراباً وسماداً من غيرها؛ ليكون أعمر لها وأكثر ريعاً لزرعها. قال اللحياني: مدّ الله الأرض يمدُّها مدّاً: بسطها وسواها.

والمُدُّ: مكيال، قال ابن الأثير: ويروى بالفتح، وهو الغاية، وهو في الأصل: رُبع صاع وهو أقل ما كانوا يتصدقون به. وأصل المدِّ مُقدَّر بأن يَمُدَّ الرجل يديه فيملأ كفيه طعاماً. والمَدُّ:

السيل، يقال: مدُّ النهر. قال المصنف في البصائر: أصل المَدِّ جرُّ شيءٍ في طول، واتصال شيءٍ بشيءٍ في استطالة)[١].

لقد أورد المفسرون في كتبهم ما أوردته كتب المعاجم، إلا أن لهم إضافات جيدة تنبئ عن مفهوم (مد الأرض) في القرآن، فقد قالوا في قوله تعالى: L U T S RM قالوا: (أي بسطها طولاً وعَرْضاً)[٢]، (بمقدار معين دون زيادة ولا نقصان. قال أبو بكر الأصم: المدُّ: البسط إلى ما لا يدرك منتهاه، وقوله تعالى: L U T S RM يشعر بأنه تعالى جعل حجم الأرض حجماً عظيماً لا يقع البصر على منتهاه؛ لأن الأرض لو كانت أصغر حجماً مما هي الآن عليه لما كَمُل الانتفاع به)[٣].

أقول: إذا كانت معاجم اللغة اتفقت على أن المد يكون طولاً، فإن المدّ في القرآن الكريم في تركيب (مد الأرض) يمثل المدَّ طولاً وعرضاً كما أوردت كتب التفسير، ومن ثمَّ فإن هذا التركيب هو تعبير عن بسط الأرض بكل ما فيها من مخلوقات، ويُلحظ أن مدَّ الأرض قد اقترن بوضع الجبال في الأرض لتحفظ هذا المَدَّ لفائدة الناس، فليس مدّ الأرض في علم الله – والله أعلم بمراده- بسط الأرض فقط، إنما هو بسطها بما فيها من مخلوقات. في حديث كعب: (لمّا مدّ الله الأرض مادت فثَنَطها بالجبال)[٤]. في حين يكون للأرض مدٌّ آخر هو يوم القيامة لكنه مدٌّ دون رواسٍ وأنهار وغيرها من المخلوقات، فهو مدّ لجمع الناس ومحاسبتهم، عن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم القيامة مدَّ الله الأرض مَدَّ الأديم، حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه، فأكون أول من يُدعى وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى والله ما رآهُ قبلها، فأقول: أَيْ رَبِّ! إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليَّ! فيقول الله عز وجل: صدق ثم أشفع، فأقول: يا رب! عبادك عبدوك في أطراف الأرض، وهو المقام المحمود" [٥].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (مدد).

(٢) الطبري، تفسير الطبري، م٧، ج١٣، ص٦٣ والقرطبي، تفسير القرطبي، م١٥، ج٩، ص٢٨٠.

(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٠، ج١٩، ص٣.

(٤) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، م١، باب الثاء مع النون، ص٢٢٣، وثنطها: شَقَّها فصارت كالأوتاد لها.

(٥) البرهان فوري، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، باب الشفاعة، ج١٤، ص٤٠٧، رقم الحديث (٣٩٠٩٤).

هذا ما كان من مفهوم (مد الأرض) في العصور الماضية، ولكن العلم الحديث يرى في (مد الأرض) دليلاً على كرويتها واستدارتها، فقوله تعالى: M 7 8 L أي إن الإنسان إذا سار على سطح هذه الأرض في ناحية، فإنها ستمتد أمامه طالما ظل ماشياً ولو كان العمر كله، وهذا بسبب استدارة الأرض. وهذا المعنى من التفسير الضروري الذي يجب أن يؤخذ به الآن تصديقاً لمعطيات العلم الحديث، ووسائل البحث العلمي المتطورة.

النفاثات في العقد

هذا تركيب ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: M D E F G H L الفلق: ٤.

والنَّفْث من نَفَثَ الراقي يَنْفِثُ ويَنفُثُ نَفْثاً ونَفَثاناً، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن روح القدس نَفَثَ في روعي أَنّ نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، فأجملوا في الطلب...)[١] (قال أبو عبيد: هو كالنَّفْثِ بالفم شبيه بالنفخ، يعني جبريل أوحى وألقى. والنَّفْثُ أقل من التّفل؛ لأن التفل لا يكون إلا معه شيء من الريق، والنَّفْث شبيه بالتفل، وقيل: هو التفل بعينه. والحيَّة تنفُث السُّم حين تَنْكُزُ والجرح ينفُثُ الدَّم: إذا أظهره، وسَمٌّ نفيثٌ ودم نفيث إذا نفثه الجرح، قال أبو المثلم:

متى ما تنكروها تعرِفوها على أقطارها عَلَقٌ نفيث[٢]

وفي المثل: (لا بد للمصدور أن ينفُث)[٣]. والقِدْرُ تنفُث: وذلك في أول غليانها، وبني نُفاثة: حيّ، وقيل قوم من العرب)[٤].

(والعُقد والعَقد نقيض الحَلّ، وعَقَدَهُ يعْقِدُهُ عَقْداً وتِعْقَاداً وعقّده واعْتَقَده كعَقَدَهُ، وقد انْعقد وتعقّد ويُقَال: عقدت الحبل فهو معقود وكذلك العهد، وانعقد عَقْد الحبل انعقاداً، وموضع العَقْد من

---

(١) المصدر السابق، باب: الإجمال في طلب الرزق، ج٤، ص٢٣، رقم الحديث (٩٣١٢).

(٢) الدار القومية للطباعة والنشر، ديوان الهذليين، ج٢، ص٢٢٤.

(٣) الميداني، مجمع الأمثال، م٢، ص٢٤١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نفث).

الحبل: مَعْقِدُه، وجمعه معاقد. والعُقْدة: قلادة، والعِقْد: الخيط ينظم فيه الخرز وجمعه عقود، وقد اعتقد الدُّر والخرز وغيره إذا اتخذ منه عِقداً)[١]، قال عدي بن الرقاع:

وما حُسَيْنَةُ إذْ قامت تُوَدّعنا   للبين واعتقدتْ شَذْراً ومَرْجانا[٢]

أوردت كتب التفسير أقوالاً عدة في هذا التركيب، فقالوا: (من شر السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها قال عنترة:

إذا تقعُ الرِمَاح بجانبيه   تولّى قابعاً فيه صدودُ
فإن يبرأ فلم أنفِثْ عليه   وإنْ يُفْقَد فحقَّ له الفُقُود[٣]

قال ابن عباس: ما خالط السحر من الرقى، وعن الحسن: السواحر والسحرة)[٤]. (وقالوا: النفث النفخ مع ريق، وقيل: النفخ فقط، والعقد جمع عقدة والسبب فيه: أن السّاحر إذا أخذ في قراءة الرقية أخذ خيطاً، ولا يزال يعقد عليه عقداً بعد عقد وينفث في تلك العقد)[٥]. (قال أبو عبيدة: النفاثات هنّ بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل إن (شر النفاثات) مستعار من عقد الحبل، والنفث هو تلبيس العقدة من الحبل بريق يقذفه عليه ليصير حلّه سهلاً، فالنساء لأجل كثرة حبهن في قلوب الرجال، يتصرفن في الرجال فيحولنهم من رأي إلى رأي، ومن عزيمة إلى عزيمة فأمر الله بالتعوذ من شرهن)[٦].

عرفت العرب النفث في العقد، لكنه جاء في السياق القرآني شيئاً من عقيدة المسلم، إذ حرّم الله أمر النفث في العقد فهو (سحر مضر بالأرواح)[٧] قال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً،

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقد).

(٢) ثعلب، أحمد بن يحيى، (١٩٨٧). شرح ديوان عدي بن الرقاع، تحقيق: نوري القيسي وحاتم الضامن، (د.ط)، المجمع العلمي العراقي، ص١٦٨.

(٣) العبسي، عنترة، (١٩٨٣). ديوان عنترة العبسي، تحقيق: محمد سعيد مولوي، (ط٢)، بيروت، المكتب الإسلامي، ص٢٨٣. القابع: الذي يدخل رأسه بين منكبيه، ويُفْقَد: يَمُتْ.

(٤) الطبري، تفسير الطبري، م١٢، ج٣٠، ص٢٢٧، والقرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج٢٠، ص٢٥٧.

(٥) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٦، ج٣٢، ص١٧٨-١٧٩.

(٦) المصدر السابق، الصفحة نفسها، والقرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج٢٠، ص٢٥٩.

(٧) القرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج٢٠، ص٢٥٧.

ثم نفثَ فيها فقد سَحَر، ومن سَحَرَ فقد أشرك، ومن تَعَلَّقَ شيئاً وُكِّل إليه)[١] ولما اعتقد الجاهليون بأن النفث في الحبل يحفظ المرء من شر الجِن والحسد، يقول متمم بن نويرة:

نَفَثْتُ في الخيطِ شبيهَ الرُّقى   من خشيةِ الجِنّةِ والحاسدِ[٢]

فقد جاء الإسلام وأخبر الناس أن النفث في الحبل هو عمل يؤذي به الجن والحاسد المرء فنهى عنه وحرّمه إذ هو شرك بالله، وبذا فإن (النفاثات في العقد) مصطلح تركيبي جديد أصبح علماً على صناعة السحر التي تقوم على (أن الساحر إذا أخذ في قراءة الرقية أخذ خيطاً ولا يزال يعقد عليه عقداً بعد عقد وينفث في تلك العقد) [٣].

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن دلالة هذه الكلمة قد تطورت تاريخياً الآن، وأصبحت (النفّاثات) في عصرنا هذا تعني تلك الطائرات وربما الصواريخ التي تقطع القارات، وتسير على نظام النفث الآلي الذي يفرغ أسفل الطائرة في الجو من الهواء؛ لأن المحركات تنفثه بعيداً فيأتي هواء آخر ليحل محله، وبذلك تظل الطائرة مرتفعة بضغط الهواء؛ الذي يحل محل الآخر الذي تسحبه أجهزة النفث (الشفط) وهكذا.. وعلى هذا تعد هذه الكلمة (النفّاثات) مثلاً من أمثلة المعجم التاريخي الذي يدرس تطور دلالة الألفاظ عبر العصور.

وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه

هذا التركيب جاء في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تعالى: M n o p q r s t u v w x y z { L الإسراء: ١٣-١٤.

(والطائر: من طار يطير طيْراً وطيَراناً وطَيْرُورة، وأطارَه وطيّر به وطار به، والطيران: حركة ذي الجناح في الهواء بجناحيه، وكانت العرب تستعمل الطيران في غير ذي الجناح، قال قريط بن أنيف العنبري:

(١) النسائي، أحمد بن شعيب، (د.ت) سنن النسائي، شرح: الحافظ جلال الدين السيوطي، (د.ط)، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، كتاب تحريم الدم، باب الحكم في السحرة، ج٧، ص١١٢.

(٢) القرطبي، تفسير القرطبي، م١٠، ج٢٠، ص٢٥٨، لم أعثر على ديوان لمتمم بن نويرة، ومن ثمَّ لم أجد هذا البيت فيما اطلعت عليه من شعره.

(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٦، ج٣٢، ص١٧٩.

قـــومٌ إذا الـــشَّر أبـــدى ناجذَيـــه لهـــم   طـــاروا إليـــه زُرافـــاتٍ وَوُحْـــدانا[١]

وهذا بالتأكيد استعمال مجازي بمعنى السرعة.

والطيْر اسم لجماعة ما يطير، وهو جمع طائر، وجمع الطيْر: طُيُور وأطيار)[٢].

(والطائر: ما تيمنتَ به أو تشاءَمتَ، وأصله في ذي الجناح، وقالوا للشيء يُتطير بـه مـن الإنسان وغيره: طائر الله لا طائرك، قال ابن الأنباري: معناه: فِعل الله وحكمـه لا فِعلـك ومـا تتخونُه. قال أبو عبيد: الطائر عند العرب: الحظ، وهو الذي تسميه الفُرس: البَخْت)[٣]، (قال أبـو بكر: البَخْتُ معروف، فارسي معرب وقد تكلمت به العرب وهو الجَدُّ)[٤]. (وإنما قيل للحظ مـن الخير والشر طائِر؛ لقول العرب: جرى له الطائر بكذا (من الخير والشر) علـى طريـق الفـأل والطيرَة على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سبباً)[٥]. وفي الحديث: عن أنس أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا عدوى ولا طيرة، وأحبُّ الفأل. قالوا: يا رسول الله، وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة)[٦].

(وقيل: الطائر: عمل الإنسان الذي قُلِّدَه خيره وشـره، وقيـل: رزقـه، وقيـل: شـقاوته وسعادته، وبكل منها فُسر قوله تعالى: M n o p q r s L. وأصله فيمـا يُقال: التّطير بالسّوانح والبوارح من الظباء والطير وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصـدهم، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع ولا دفع ضَـرَر)[٧]، (فهـو مَثَل لِمَا كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، قال ابن عباس في قولـه تعالى: M p q L: أي عمله وما قدر عليه فهو ملازِمه أينما كان؛ فزائـل معـه أينمـا

---

(١) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ج١، ص٢٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (طير).

(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة (طير).

(٤) الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، ص٥٧.

(٥) الزبيدي، تاج العروس، مادة (طير).

(٦) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب السير، باب ما جاء في الطير، ج٤، ص١٦١، رقم الحديث (١٦١٥).

(٧) الزبيدي، تاج العروس، مادة (طير).

زال)[١]، (عن مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد)[٢]. (وقيل: يُخرج له الطائر الذي ألزمناه عنق الإنسان يوم القيامة، فيصير كتاباً يقرؤه منشوراً، وقالوا: يُخرج له الطائر كتاباً)[٣].

(قال الزجاج: ذِكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق، وقال أهل المعاني: خص العنق من بين سائر الأعضاء بهذا المعنى؛ لأن الذي يكون عليه إما يكون خيراً يزينه أو شراً يشينه، وما يزين يكون كالطوق والحلي، والذي يشين فهو كالغل؛ فههنا عمله إن كان من الخيرات كان زينة له، وإن كان من المعاصي كان كالغل على رقبته)[٤].

أقول: لقد عرفت العرب الطير بمعنى الحظ، وبمعنى الشؤم، كما عرفته في الخصب وكثرة الخير، فمن أمثالهم: (هم في خير لا يطير غرابه)[٥]، قال النابغة الذبياني:

ولِرَهْطِ حرّابٍ وقدٍّ سُوْرَةٌ　　　في المجد ليس غرابُها بمُطَارِ[٦]

(وقد يُضرب هذا المثل في الشدة)[٧] كما في بيت النابغة السابق.

جاء الإسلام وأبطل التشاؤم بالطير كما كانت العرب تصنع وتتطير بها، وجعله من الشرك بالله، قال عليه السلام: (الطِيرَة شرك، الطيرة شرك، وما منّا إلاَّ، ولكنَّ الله يُذْهِبُه بالتوكل)[٨].

وإذا كان تركيب (ألزمناه طائره) مثلاً لِما كانت العرب تتفاءل به وتتشاءم من سوانح الطير وبوارحها كما سبق القول، فإن الإسلام أعطى هذا التركيب دلالة جديدة، فطائر كل إنسان: (ما يُقسم له من العمل، وإلزامه له في عنقه تصوير للزومه إياه وعدم مفارقته، فعمله لا يتخلف عنه وهو لا يملك التملص منه، وما هذا التعبير إلا تجسيم للمعاني وإبرازها في صورة حسيّة كعادة القرآن

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، م٨، ج١٥، ص٣٩، والقرطبي، تفسير القرطبي، م٥، ج١٠، ص٢٢٩.
(٢) الطبري، تفسير الطبري، م٨، ج١٥، ص٣٩.
(٣) المصدر السابق، م٨، ج١٥، ص٤٠، والقرطبي، تفسير القرطبي، م٥، ج١٠، ص٢٢٩.
(٤) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م١٠، ج٢٠، ص١٣٤.
(٥) الميداني، مجمع الأمثال، م٢، ص٣٩٣.
(٦) النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، ص٥٥، وحرّاب وقد: رجلان من بني أسد. والسُّورة: المنزلة الرفيعة، ليس غرابها بِمُطار: أي شرفهم ثابت باقٍ، وقد يريد كثرة مجدهم وتمكنه.
(٧) الميداني، مجمع الأمثال، م٢، ص٣٩٣.
(٨) المنذري، الترغيب والترهيب، كتاب الأدب وغيره، باب الترهيب من الطيرة، ج٤، ص٦٤.

الكريم)[١]. بل إن هذا التركيب قد يكون حقيقة لا صورة، فالله تعالى قادر على (أن يجعل في جسد الإنسان جهازاً مسجلاً يسجل عليه أقواله وأفعاله)[٢] وهذا الجهاز في عنق الإنسان، جاء في تفسير ابن كثير، (تلا الحسن البصري M4 5 6 7 8 L ق: ١٧ فقال: يا ابـــن آدم بـــسطت لـــك صحيفتك، وَوُكِّل بك ملكان كريمان؛ أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فاعمل ما شئت أَقلِل أو أَكْثِر حتى إذا مِتَّ طويت صحيفتك، فجُعِلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك)[٣] وفي حديث طويل عن جابر بن عبدالله، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن ابن آدم لفي غفلة عما خلقه الله عز وجل لـــه، إن الله لا إله غيره إذا أراد خلقه قال للملك: اكتب له رزقه وأثره وأجله، واكتب شقياً أو ســـعيداً، ثـــم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكاً آخر فيحفظه حتى يدرك، ثم يبعث الله ملكـــين يكتبـــان حـــسناته وسيئاته، فإذا جاءه الموت ارتفع ذلك الملكان، ثم جاءَ ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه، فـــإذا دخل حفرته، رد الروح في جسده، ثم يرتفع ملك الموت، ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعـــان، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات، فأنشطا كتاباً معقوداً في عنقه، ثم حضرا معه واحد سائقه والآخر شهيد)[٤]. وقال عليه الصلاة والسلام: (طير كل عبد في عنقه)[٥].

بتلك المعاني كلها كان تركيب: M n o p q r s L مصطلحاً قرآنياً عرفته العرب بمعنى عام وهو العمل، ولكن القرآن الكريم خصص دلالته وأكدها.

---

(١) قطب، في ظلال القرآن، م٤، ج١٥، ص٢٢١٧.

(٢) أبو عودة، "الكتاب والقرآن.. دراسة دلالية في السياق القرآني"، ص٤٨٧.

(٣) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٤، ص٢٨٦.

(٤) القرطبي، تفسير القرطبي، م٩،ج١٧، ص١٤.

(٥) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٤، ص٢٨٦.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

النتائج والتوصيات

إن النظر في آيات القرآن الكريم، أمرٌ دائم مستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ فالقرآن لا تنتهي عجائبه، ومهما كتبت من دراسات في علوم القرآن الكريم وبيانه وإعجازه، فإنه سيبقى مجالاً كبيراً، وباباً مفتوحاً أمام الدارسين والباحثين في كل مكان وزمان، وسيظل القرآن الكريم شاباً وإن شاب الزمن، على حد قول الإمام سعيد النورسي: (كلما شاب الزمان شب القرآن وتوضحت رموزه)[(١)].

لقد بينت هذه الدراسة الأثر الكبير الذي أحدثه القرآن الكريم في اللغة العربية الفصيحة. فقد صنع القرآن الكريم لغة إسلامية واضحة في ثنايا اللغة العربية التي نزل بها، هذه اللغة تتمثل في مظاهر التطور الدلالي العديدة التي صنعها القرآن الكريم. وينبغي أن أؤكد هنا أن الأساس الذي بنيت عليه هذه الدراسة، وفسرت عليه النتائج التي توصلت إليها، أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين؛ فاللغة هي اللغة العالية التي كان العرب يتكلمونها، والأصوات هي الأصوات، والأنظمة والأنماط اللغوية والتراكيب هي في الأعم الأغلب، ولكن الناس وجدوا قديماً وحديثاً، لغة جديدة أمامهم، لغة جديدة بروحها ودلالاتها وصيغها وإيحاءاتها، وهذا هو السر الذي قامت على أساسه معظم الدراسات البيانية في محاولة إظهار شواهد الإعجاز القرآني.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نسجل أهم النتائج التي أظهرتها الدراسة فيما يلي:

١- إن القرآن الكريم أحدث صيغاً جديدة لم يكن يعرفها العرب بالصورة التي استعملها القرآن الكريم، مثال ذلك: كلمة نفاق وما يشتق منها من صيغ فعلية واسمية، وكذلك كلمة فسوق، وكلمة الجاهلية، وكلمة قرآن نفسها، وكل هذه الصيغ مستمدة من مواد موجودة في اللغة، ولكنها لم تستعمل في الشعر الجاهلي قط بالصيغ والدلالات التي صنعها القرآن الكريم.

---

(١) النورسي، بديع الزمان سعيد، (١٩٩٦). تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين. (المؤتمر العالمي)، (د.ط)، (د.م)، مؤسسة nesil، ص٢٦٥.

٢- وقد صنع القرآن الكريم أيضاً تراكيب لغوية جديدة، لم تكن معروفة من قبل، فتركيب (في سبيل الله) مثلاً يتألف من ثلاث كلمات، كل منها موجود في اللغة على حدته، ولكنها لم تستعمل قط بهذا التركيب وما يؤديه من دلالة، ومثل ذلك نقول في مثل (لباس التقوى) و (ما ملكت أيمانكم) (ومسجد الضرار) وغيرها.

٣- إضافة إلى ذلك أضفى القرآن الكريم دلالات جديدة على بعض الألفاظ والتراكيب، لم تكن تستعمل كذلك في الحياة الجاهلية؛ فكلمة (الحلف) و(القسم) مثلاً تستعملان مترادفتين أي بمعنى واحد، ولكن القرآن الكريم خصص كلمة (الحلف) لليمين الكاذبة، وخصص (القسم) لليمين الصادقة، وغالباً ما يرتبط القسم بالله عز وجل.

٤- ثم تبين أن القرآن الكريم نزع في الأعم الأغلب إلى تخصيص دلالة المصطلحات، وذلك لرفعة الخاص على العام في التصور العقلي والاجتماعي.

وفيما يلي جدولان يبينان هذه الألفاظ والتراكيب الجديدة التي صنعها القرآن الكريم، والتي أضفى عليها دلالة جديدة:

جدول الألفاظ الجديدة في القرآن الكريم

الرقم المتسلسل	ألفاظ صنعها القرآن الكريم	ألفاظ أضفى عليها القرآن الكريم دلالات جديدة	مظهر التطور
١.	الجاهلية	الأمة	تخصيص الدلالة
٢.	جهنم	التيمم	تخصيص الدلالة
٣.	الحواريون	التبتل	تعميم الدلالة
٤.	الترتيل	الجحيم	تخصيص الدلالة
٥.	الرهبانية	الحج	تخصيص الدلالة
٦.	الزكاة	الأحزاب	تخصيص الدلالة
٧.	السحت	الحاقة	تخصيص الدلالة
٨.	الطّامة	الحلف والقسم	تخصيص الدلالة
٩.	التغابن	الركوع	تخصيص الدلالة

.١٠	الفرقان	السبت	تخصيص الدلالة
.١١	الفسوق	الأسباط	تخصيص الدلالة
.١٢	القرآن	السجود	تخصيص الدلالة
.١٣	القصاص	الصابئون	تخصيص الدلالة
.١٤	الكفارة	الصّاخة	تخصيص الدلالة
.١٥	النفاق والمنافق	الصلاة	تخصيص الدلالة
.١٦		الصيام	تخصيص الدلالة
.١٧		الأعراف	تخصيص الدلالة
.١٨		العقاب والعذاب	تخصيص الدلالة
.١٩		الغيث والمطر	تخصيص الدلالة
.٢٠		الفؤاد والقلب	تخصيص الدلالة
.٢١		الفلاح والفوز	تخصيص الدلالة
.٢٢		القرآن والكتاب	تخصيص الدلالة
.٢٣		القارعة	تخصيص الدلالة
.٢٤		يلحدون	تخصيص الدلالة
.٢٥		النصر والفتح	تخصيص الدلالة
٢٦		التهجد	تخصيص الدلالة
.٢٧		الميزان	تخصيص الدلالة

جدول رقم (١)

جدول التراكيب الجديدة في القرآن الكريم

الرقم المتسلسل	**تراكيب صنعها القرآن الكريم**	**تراكيب أضفى عليها القرآن الكريم دلالات جديدة**	**مظهر التطور**
.١	استوى على العرش	ألم نشرح لك صدرك	تخصيص الدلالة
.٢	أصحاب الكهف	بشق الأنفس	تعميم الدلالة
.٣	أم الكتاب	ختامه مسك	تخصيص الدلالة
.٤	حبطت أعمالهم	الدار الآخرة	تخصيص الدلالة

٥.	ذات الصدور	الصراط المستقيم	تخصيص الدلالة
٦.	سُقط في أيديهم	غير أولي الإربة	تخصيص الدلالة
٧.	عليهم دائرة السَّوء	فقطع دابر القوم	تخصيص الدلالة
٨.	في سبيل الله	في لوح محفوظ	تخصيص الدلالة
٩.	قضى نحبه	لا تعضلوهن	تخصيص الدلالة
١٠.	كان مزاجها كافوراً	مدّ الأرض	تعميم الدلالة
١١.	لباس التقوى	النفاثات في العقد	تخصيص الدلالة
١٢.	ليلة القدر	وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه	تخصيص الدلالة
١٣.	المؤلفة قلوبهم		
١٤.	ما ملكت أيمانكم		
١٥.	مسجد الضرار		
١٦.	واخفض لهما جناح الذل		
١٧.	واعتصموا بحبل الله		
١٨.	والتفت الساق بالساق		
١٩.	يستحيون نساءكم		

جدول رقم (٢)

٤- إضافة إلى هذه المصطلحات التي كشفت عنها الدراسة، تبين لي أن هذه المصطلحات كانت تتصل بكثير من جوانب الحياة الاجتماعية والنفسية في كلمات وتراكيب مثل: الصلاة، والصيام، والفلاح والفوز، والغيث والمطر، والتهجد ولا تعضلوهن والمؤلفة قلوبهم وغيرها، مما يتعامل به المرء المسلم في جوانب كثيرة من حياته وقد لاحظت أن بعض المصطلحات تتحدث عن جوانب علمية، وبعضها يتصل بجوانب النفس الإنسانية وهكذا.

٥- ولقد خلصت الدراسة إلى أنه لا ترادف في القرآن الكريم؛ فالقرآن أعطى لما يظن أنها مترادفات، أعطى كلاً منها معنى قائماً بذاته، لا يلتبس به القارئ والدارس، وإذا اعتمدنا هذه القاعدة الأساسية عند البحث، فإننا يجب أن ننظر في الدلالة الممكنة لما نرى للوهلة الأولى أنه من المترادف، فإذا عرفنا شيئاً قلناه، وإن لم ينكشف لنا الأمر فسيأتي من يقول فيه قولاً مقبولاً؛ فإن القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه، ولا ينتهي مجال القول في بيانه وإعجازه.

٦- يمكن أن تعد هذه الدراسة خطوة في سبيل إنتاج المعجم التاريخي، الذي يعكف على إنتاجه الآن اتحاد مجامع اللغة العربية في العالم العربي، وقد ألفت من أجل ذلك الهيئات العلمية اللازمة واللجان العاملة. ومن البدهي أن كل دراسة تبحث في تطور الدلالة من عصر إلى عصر، ستكون مفيدة وتكون مرجعاً للعاملين في مجال رصد التطورات التاريخية لدلالة المفردات والتراكيب عبر العصور المتوالية.

وبعدُ، فإن الباحثة توصي بالآتي:

- استمرار مثل هذه الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فهما منهاج الحياة الإنسانية، وفيهما من الموضوعات التي تنتظر البحث العلمي والباحثين الشيء الكثير، وربما كان من الموضوعات اللازم بحثها، إجراء دراسة مقارنة بين أساليب القول في الشعر الجاهلي، وأنماط القول والبيان في القرآن الكريم، في محاولة إظهار بيانه للناس على مر العصور.
- إقامة دراسات في تطور الدلالات في العصور الأدبية اللاحقة؛ إذ لا بد أنها قد تأثرت بتطور دلالات القرآن الكريم، و لا بد أنها تطورت من عصر إلى آخر، وهذا أيضاً يشكل حلقات متوالية في رصد موضوعات المعجم التاريخي المنتظر.
- اطلاع كتاب سيناريوهات المسلسلات الدينية والتاريخية على مثل هذه الدراسات، ليقفوا على لغة العصر المتحدث عنه، فيأمنوا اللبس والخلط في الاستعمال اللغوي؛ إذ إن بعض المسلسلات التاريخية والأفلام المصورة تتحدث – أحياناً- بمصطلحات حديثة في مشاهد من الحياة الجاهلية أو

العكس، ففي أحد الأعمال المصورة عن قصة سيدنا يوسف عليه السلام، ذكروا تعبير (في سبيل الله) وتعبير (سقط في أيديهم)، وهما تركيبان قرآنيان حديثان لم يردا من قبل في لغة الناس.

- تَبَنِّي المؤسسات والهيئات المهتمة بالثقافة ونشرها، بالتعاون مع ذوي الخبرة إعادة تحقيق بعض كتب التفسير، بل وغربلتها من الإسرائيليات المنثورة في داخلها، وإعادة طباعتها بشكل جديد يسهل على الباحث الوصول إلى آيات الله وتفسيرها بسهولة ويسر.

- توجيه المؤسسات العلمية ووزارات التربية والتعليم، وواضعي مناهج التعليم العام والتعليم العالي، إلى الإفادة من عرض هذه المصطلحات القرآنية في موضوعات التعليم ومحتواه؛ حتى يقترب الطلاب من لغة القرآن الكريم، ويطلعوا على جمال البيان القرآني، ويتعرفوا إلى كنوز اللغة العربية التي تُغَيَّب عنهم في كثير من كتب التعليم وموضوعاته.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١- ابن الأبرص، عبيد، (١٩٥٧). **ديوان عبيد بن الأبرص**، تحقيق: حسين نصّار، (د.ط)، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي ودار الكتب والوثائق القومية.

٢- ابن أبي الصلت، أميّة، (١٩٧٧). **ديوان أمية بن أبي الصلت**، تحقيق: عبدالحفيظ السلطي، (ط٢)، دمشق، المطبعة التعاونية.

٣- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، (١٩٧٩). **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزادي ومحمود محمد الطناحي، (ط٢)، (د.م)، دار الفكر.

٤- الأزدي، هارون بن موسى، (١٩٨٨). **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، (د.ط)، العراق، وزارة الثقافة والإعلام.

٥- الأسدي، بشر بن أبي خازم، (١٩٧٢). **ديوان بشر بن أبي خازم**، تحقيق: عزة حسن، (ط٢)، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.

٦- الأعشى، ميمون بن قيس، (١٩٨٣). **ديوان الأعشى الكبير**، تحقيق: محمد محمد حسين، (ط٧)، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.

٧- الأعشى، ميمون بن قيس، (١٩٩٤). **ديوان الأعشى الكبير**، شرح وضبط: محمد أحمد قاسم، (ط١)، بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي.

٨- الألباني، محمد ناصر الدين، (١٩٧٩). **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، (ط٣)، الكويت، الدار السلفية.

- (١٤٠٤هـ). (ط٢)، عمان، المكتبة الإسلامية، الكويت، الدار السلفية.
- (١٩٨٣)، (ط٣)، بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي.

٩- امرؤ القيس، ابن حجر الكندي، (١٩٨٤). **ديوان امرئ القيس**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٤)، القاهرة، دار المعارف.

١٠- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (١٩٦٠). **الأضداد**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، الكويت، دائرة المطبوعات والنشر.

١١- الأنباري، محمد بن القاسم، (١٩٨٠). **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط٤)، القاهرة، دار المعارف.

١٢- الأنصاري، ابن هشام، (١٩٨٤). **تهذيب سيرة ابن هشام**، تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط١٠)، بيروت، مؤسسة الرسالة، الكويت، دار البحوث العلمية.

١٣- أنيس، إبراهيم، (١٩٦٣). **دلالة الألفاظ**، (ط٢)، (د.م)، مكتبة الأنجلو المصرية.

١٤- أنيس، إبراهيم، (١٩٦٥). **في اللهجات العربية**، (ط٣)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

١٥- أولمان، ستيفن، (١٩٧٢). **دور الكلمة**، ترجمة: كمال محمد بشر، (ط٣)، (د.م)، مكتبة الشباب والمطبعة العثمانية.

١٦- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، (د.ت). **متن البخاري**، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار المعرفة.

١٧- البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، (١٩٨٥). **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ضبطه وصححه: بكري حياني وصفوة السّقا، (ط٥)، بيروت، مؤسسة الرسالة.

١٨- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي، (د.ت). **شرح المفضليات**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (د.ط)، (د.م)، دار نهضة مصر.

١٩- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (د.ت). **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

٢٠- أبو تمام، حبيب بن أوس، (د.ت). **ديوان الحماسة**، شرح: العلامة التبريزي، (ط١)، بيروت، لبنان، دار القلم.

٢١- أبو تمام، حبيب بن أوس، (د.ت). **كتاب الوحشيات (وهو الحماسة الصغرى)**، تحقيق: عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، (ط٢)، القاهرة، دار المعارف.

٢٢- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، (د.ت). **حقوق آل البيت**، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

٢٣- ابن ثابت، حسان، (د.ت). **ديوان حسان بن ثابت**، تحقيق: عبدالرحمن البرقوقي، (د.ط)، مصر، المكتبة التجارية الكبرى.

٢٤- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى، (١٩٨٧). **شرح ديوان عدي بن الرقاع العاملي**، تحقيق: نوري القيسي وحاتم الضامن، (د.ط)، (د.م)، مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

٢٥- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى، (١٩٩٥). **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**، (ط٢)، القاهرة، دار الكتب المصرية.

٢٦- الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن، (د.ت). **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الخانجي ومطبعة المدني.

٢٧- الجرجاني، علي بن محمد، (١٩٠٤). **التعريفات**، (د.ط)، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي.

٢٨- ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد، (د.ت). **التسهيل لعلوم التنزيل**، (د.ط)، (د.م)، دار الفكر.

٢٩- الجعدي، النابغة أبو ليلى، (١٩٦٤). **شعر النابغة الجعدي**، (ط١)، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي.

٣٠- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (د.ت). **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، (د.ط)، (د.م)، المكتبة العلمية ودار الكتب المصرية.

٣١- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، (١٣٦١هـ). **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط١)، القاهرة، دار الكتب المصرية.

٣٢- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، (١٩٧٩). **تاج اللغة وصحاح العربية (المعروف بالصحاح)**، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطّار، (ط٢)، بيروت، دار العلم للملايين.

٣٣- أبو حاتم الرازي، أحمد بن حمدان، (١٩٥٧-١٩٥٨). **الزينة في الكلمات الإسلامية العربية**، علّق عليه: حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري الحِرازي، (ط٢)، القاهرة، مطبعة الرسالة، والمعهد الهمذاني للدراسات الإسلامية.

٣٤- حجازي، محمد عبدالواحد، (١٩٨٧)، **أثر القرآن الكريم في اللغة العربية**، (ط٢)، (د.م)، (د.ن).

٣٥- ابن حجر، أوس، (١٩٧٩). **ديوان أوس بن حجر**، تحقيق: محمد يوسف نجم، (ط٣)، بيروت، دار صادر.

٣٦- الحسني، عبدالرزاق، (١٩٧٠). **الصابئون في حاضرهم وماضيهم**، (ط١)، صيدا، بيروت، مطبعة العرفان.

٣٧- الحطيئة، جرول بن أوس، (١٩٥٨). **ديوان الحطيئة**، تحقيق: نعمان أمين طه، (ط١)، مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٣٨- الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، (د.ت). **معجم البلدان**، (د.ط)، بيروت، دار صادر.

٣٩- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، (١٩٨٣). **تفسير البحر المحيط**، (ط٢)، (د.م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٠- خليفة، عبدالكريم، (١٩٧٤). **وسائل تطوير اللغة العربية العلمية**، (د.ط)، عمان، الأردن، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر.

٤١- الدار القومية للطباعة والنشر (وزارة الثقافة والإرشاد القومي)، (١٩٦٥). ديوان الهذليين، (د.ط)، القاهرة.

٤٢- ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن، (٢٠٠٥). **جمهرة اللغة**، علق عليه ووضح حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

٤٣- الدوري، محمد ياس خضر، (٢٠٠٦). **دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني**، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

٤٤- الذبياني، الشماخ بن ضرار، (١٩٦٨). **ديوان الشماخ بن ضرار**، تحقيق: صلاح الدين الهادي، (د.ط)، مصر، دار المعارف.

٤٥- ذو الرمة العدوي، غيلان بن عقبة، (١٩٨٢). **ديوان ذي الرمة**، تحقيق: عبدالقدوس أبو صالح، (ط١)، بيروت، لبنان، مؤسسة الإيمان.

٤٦- رؤبة، العجاج، (١٩٧١). **ديوان العجاج بن رؤبة**، تحقيق: عزة حسن، (د.ط)، بيروت، لبنان، مكتبة دار الشرق.

٤٧- الراجحي، عبده، (١٩٨٤). **التطبيق الصرفي**، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية.

٤٨- الراعي النميري، عبيد بن حصين، (١٩٩٥). **ديوان الراعي النميري**، شرح: واضح الصمد، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الجيل.

٤٩- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (د.ت). **المفردات في غريب القرآن**، (د.ط) مصر، المطبعة الميمنية مصطفى البابي الحلبي.

٥٠- رشيد، كمال، (١٩٩٦). **الترادف في القرآن الكريم**، "أطروحة دكتوراه غير منشورة"، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

٥١- الزبيدي، محمد مرتضى، (١٩٧٢). **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: إبراهيم الترزي، (د.ط)، الكويت، مطبعة الكويت.

٥٢- الزركلي، خير الدين، (١٩٩٠). **الأعلام**، (ط٧)، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين.

٥٣- زغلول، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، (١٩٨٩). **موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف**، (ط١)، بيروت، لبنان، عالم التراث، دار الفكر، دار الكتب العلمية.

٥٤- الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر، (١٩٩٦). **أساس البلاغة**، (ط١)، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون.

٥٥- الزهيري، محمود حسين، (٢٠١٠). **تأثير القرآن الكريم في الشعر حتى نهاية العصر الأموي**، "أطروحة دكتوراه، غير منشورة"، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن.

٥٦- الزوزني، أبو عبدالله الحسين، (١٩٨٥). **شرح المعلقات السبع**، (ط٥)، بيروت، لبنان، مكتبة المعارف.

٥٧- سابق، السيد، (د.ت). **فقه السنة**، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.

٥٨- السامرائي، إبراهيم، (١٩٨١). **التطور اللغوي التاريخي**، (ط٢)، بيروت، لبنان، دار الأندلس.

٥٩- السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، (١٩٥٠). **شرح ديوان كعب بن زهير**، (د.ط)، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.

٦٠- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (١٩٧٧). **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط٢)، (د.م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦١- السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين، (د.ت). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها (المعروف بالمزهر)**، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ومحمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، (د.م)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٦٢- السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين، (د.ت). **الإتقان في علوم القرآن**، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار المعرفة.

٦٣- الصقّار، ابتسام مرهون، (١٩٦٦). **التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد يوم القيامة**، (ط١)، النجف، العراق، مطبعة الآداب.

٦٤- أبو صفية، جاسر خليل، (٢٠٠٠). **مُعَرب القرآن عربي أصيل**، (ط١)، الرياض، دار أجا.

٦٥- أبو صفية، جاسر خليل، (٢٠٠٣). **كلمات القرآن**، (ط١)، (د.م)، (د.ن).

٦٦- الضبعي، المتلمس، (١٩٧٠). **ديوان المتلمس الضبعي**، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، (د.ط)، (د.م)، معهد المطبوعات العربية (جامعة الدول العربية).

٦٧- الطائي، حاتم بن عبدالله، (١٩٧٥). **ديوان حاتم الطائي وأخباره**، تحقيق: عادل سليمان جمال، (د.ط)، القاهرة، مطبعة المدني.

٦٨- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (١٩٨٠). **جامع البيان في تفسير القرآن (المعروف بتفسير الطبري)**، (ط٤)، بيروت، لبنان، دار المعرفة.

٦٩- الطِّرِمّاح، الحكم بن الحكيم، (١٩٩٤). **ديوان الطرماح**، تحقيق: عزة حسن، (ط٢)، بيروت، لبنان، حلب، سورية، دار الشرق العربي.

٧٠- العارضي، محمد جعفر، (٢٠٠٠). **الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم**، "أطروحة دكتوراه، غير منشورة"، جامعة القادسية، العراق.

موقع مجالس الطريق إلى الجنة، ٢٠١٠/٢/٢٤م

htt//www.way٢jannah.com/vb/showthread.php?t=٨٧٩٤

٧١- العامري، لبيد بن ربيعة، (١٩٦٢). **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء.

٧٢- العبادي، عدي بن زيد، (١٩٦٥). **ديوان عدي بن زيد العبادي**، تحقيق: محمد جبار المعيبد، (د.ط)، بغداد، وزارة الثقافة والإرشاد، دار الجمهورية للنشر.

٧٣- ابن العبد، طرفة، (١٩٧٥). **ديوان طرفة بن العبد، تحقيق**: درية الخطيب ولطفي الصقال، (د.ط)، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٧٤- عبدالباقي، محمد فؤاد، (٢٠٠١). **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث.

٧٥- عبدالتواب، رمضان، (١٩٨٣). **التطور اللغوي ومظاهره وعلله وقوانينه**، (ط١)، القاهرة، مصر، مطبعة المدني.

٧٦- العبسي، عنترة، (١٩٨٣). **ديوان عنترة العبسي**، تحقيق: محمد سعيد مولوي، (ط٢)، بيروت، المكتب الإسلامي.

٧٧- العبيدي، محمد عبدالله، (٢٠٠٤). **دلالة السياق في القصص القرآني**، (ط١)، صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة.

٧٨- ابن العجاج، رؤبة، (١٩٧٩). **مجموع أشعار العرب (ديوان رؤبة بن العجاج)**، إعداد: وليم بن الورد البروسي، (ط١)، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

٧٩- العجلوني، إسماعيل بن محمد، (١٩٨٣). **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**، تصحيح وتعليق: أحمد القلاش، (ط٣)، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٨٠- العراقي، عبدالرحيم بن الحسين، (١٩٩٥). **المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من أخبار**، تحقيق: أشرف عبد المقصود، (د.ط)، الرياض، مكتبة طبرية.

٨١- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله، (١٩٨٨). **أحكام القرآن**، راجعه وعلّق عليه: محمد عبدالقادر عطا، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

٨٢- العسقلاني، ابن حجر، (١٤٠٧هـ). **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدين الخطيب، (ط٣)، القاهرة، المكتبة السلفية.

٨٣- أبو عودة، عودة خليل، (١٩٨٥). **التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم**، (ط١)، الزرقاء، الأردن، مكتبة المنار.

٨٤- أبو عودة، عودة خليل، (١٩٨٧). **"الترادف في اللغة العربية موجود في النصوص الأدبية بحدود وهو في القرآن غير موجود"**، **المجلة الثقافية**، الجامعة الأردنية، العددان(١٢-١٣).

٨٥- أبو عودة، عودة خليل، (١٩٩٦). **"الكتاب والقرآن.. دراسة دلالية في السياق القرآني"**، في: جمال، أبو حسان، (محرر)، **دراسات إسلامية وعربية**، (ط١)، الأردن، دار الرازي.

٨٦- أبو عودة، عودة خليل، (١٩٩٨). **شواهد في الإعجاز القرآني، دراسة لغوية دلالية**، (ط١)، عمان، الأردن، دار البيارق، دار عمار.

٨٧- أبو عودة، عودة خليل، (٢٠٠٦). **"البيان القرآني مفهومه ووسائله"**، **إسلامية المعرفة**، العدد٥٦ ،السنة الرابعة عشرة.

٨٨- أبو عودة، عودة خليل، (٢٠٠٨). **"ورتّل القرآن ترتيلاً، أول درس صوتي في تاريخ اللغات"**، المؤتمر الدولي الأول في اللغويات بعنوان: الدرس الصوتي وتطبيقاته على اللغة العربية، للفترة: ٤-٦ تشرين الثاني، عمان، الأردن، جامعة آل البيت، وسينشر في العدد التاسع لعام ٢٠١٠م من مجلة مجمع اللغة العربية السوداني.

٨٩- الغنوي، طفيل بن عوف، (١٩٦٨). **ديوان الطفيل الغنوي**، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد، (ط١)، (د.م)، دار الكتاب الجديد.

٩٠- ابن فارس، أحمد، (١٩٧٠). **متخير الألفاظ**، تحقيق: هلال ناجي، (ط١)، بغداد، مطبعة المعارف.

٩١- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، (١٩٨٥). **مجمل اللغة**، تحقيق: هادي حسن حمودي، (ط١)، الصفاة، الكويت، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (معهد المخطوطات العربية).

٩٢- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، (١٩٩٣). **الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها (المعروف بالصاحبي)**، تحقيق: عمر فاروق الطباع، (ط١)، (د.م)، مكتبة المعارف.

٩٣- الفخر الرازي، محمد بن عمر، (١٩٩٠). **التفسير الكبير**، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

٩٤- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (٢٠٠٤). **كتاب العين**. ترتيب ومراجعة: داود سلوم وداود سلمان العنكبي وإنعام داود سلوم، (ط١)، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون.

٩٥- أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين، (د.ت)، **كتاب الأغاني**، (د.ط)، بيروت، لبنان، مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

٩٦- فرحات، أحمد حسن، (١٩٨٣). **الأمة في دلالتها العربية والقرآنية**، (ط١)، عمان، الأردن، دار عمار.

٩٧- الفرزدق، أبو فراس همام بن غالب، (١٩٥٨). **ديوان الفرزدق**، تحقيق: عمر فاروق الطباع، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الأرقم بن أبي الأرقم.

٩٨- الفيروز أبادي، مجد الدين، (د.ت). **القاموس المحيط**، (د.ط)، مصر، مطبعة السعادة، المكتبة التجارية الكبرى.

٩٩- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، (د.ت). **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** للرافعي، (د.ط)، بيروت، لبنان، المكتبة العلمية.

١٠٠- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، (١٩٩٦). **أدب الكاتب**، تحقيق: محمد الدالي، (ط٢)، بيروت، مؤسسة الرسالة.

١٠١- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، (١٩٦٧). **الجامع لأحكام القرآن (المعـروف بتفـسير القرطبي)**، (ط٣)، (د.م)، دار الكاتب العربي.
١٠٢- قطب، سيد، (د.ت). **في ظلال القرآن**، (د.ط) بيروت، القاهرة، دار الشروق.
١٠٣- قفه، حيدر، (١٩٨٧). **مع القرآن الكريم**، (ط١)، عمان، الأردن، دار الضياء.
١٠٤- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، (د.ت). **تفسير القرآن العظيم (المعروف بتفـسير ابن كثير)**، (د.ط)، بيروت، دار الأندلس.
١٠٥- كراع، أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، (١٩٧٦). **المُنجَّد في اللغة**، تحقيق: أحمد مختار وضاحي عبدالباقي، (د.ط)، (د.م)، عالم الكتب.
١٠٦- ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد، (د.ت). **سنن ابـن ماجـة**، تحقيـق: محمـد فـؤاد عبدالباقي، (د.ط)، (د.م)، دار إحياء التراث العربي.
١٠٧- المبارك، محمد، (١٩٨٠). **فقه اللغة وخصائص العربية**، (ط٤)، بيروت، لبنان، دار الفكر.
١٠٨- محمود، المثنى عبدالفتاح، (٢٠٠٨). **نظرية السياق القرآنـي، (دراسـة تأصـيلية دلاليـة نقدية)**، (ط١)، عمان، الأردن، دار وائل للنشر.
١٠٩- المرزباني، أبو عبيدالله محمد بن عمران، (١٩٨٢). **معجم الشعراء**، تحقيق: ف. كرنكـو، (ط٣)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
١١٠- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد، (د.ت). **شرح ديوان الحماسـة**، تحقيـق: عبدالـسلام هارون وأحمد أمين، (ط٢)، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
١١١- ابن مقبل، تميم بن أُبَيّ، (١٩٦٢). **ديوان ابن مقبل**، تحقيق: عزة حـسن، (د.ط)، دمـشق، مديرية إحياء التراث القديم.
١١٢- المنجد، محمد نور الدين، (١٩٩٧). **الترادف في القرآن الكريم بـين النظريـة والتطبيـق**، (ط١)، دمشق، دار الفكر.
١١٣- المنجد، محمد نور الدين، (١٩٩٩). **الاشتراك اللفظي في القـرآن الكـريم بـين النظريـة والتطبيق**، (ط١)، دمشق، دار الفكر.
١١٤- المنجد، محمد نور الدين، (١٩٩٩). **التضاد في القرآن الكريم بـين النظريـة والتطبيـق**، (ط١)، دمشق، دار الفكر.
١١٥- المنذري، زكي الدين عبدالعظيم، (١٤٢١هـ). **الترغيب والترهيب**، تحقيق: محمـد الـسيد، (ط١)، القاهرة، دار الفجر للتراث.

١١٦- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (د.ت). **لسان العرب**، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار صادر.

١١٧- المهلهل، أبو ليلى عدي بن ربيعة، (١٩٩٥). **ديوان المهلهل**، تحقيق: أنطوان محسن القوّال، (ط١)، بيروت، دار الجيل.

١١٨- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، (١٩٥٥)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (د.ط)، (د.م)، مطبعة السنة المحمدية.

١١٩- النابغة الذبياني، زياد بن معاوية، (د.ت). **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، مصر، دار المعارف.

١٢٠- أبو النجم، الفضل بن قدامة، (١٩٩٨). **ديوان أبي النجم**، تحقيق: سجيع جميل الجبيلي، (ط١)، بيروت، لبنان، دار صادر.

١٢١- النسائي، أحمد بن شعيب، (د.ت). **سنن النسائي**، شرح: الحافظ عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، (د.ط)، مصر، المكتبة التجارية الكبرى.

١٢٢- النورسي، بديع الزمان سعيد، (١٩٩٦). **تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين (المؤتمرالعالمي)**، (د.ط)، (د.م)، مؤسسة **nesil** .

١٢٣- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (١٩٩٤). **صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (ط١)، بيروت، لبنان، دار المعرفة.

١٢٤- الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام، (١٩٧٦). **غريب الحديث**، (ط١)، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.

١٢٥- الهلالي، حميد بن ثور، (١٩٩٦). **ديوان حميد بن ثور الهلالي**، صنعة: عبدالعزيز الميمني، (ط٢)، القاهرة، دار الكتب المصرية.

١٢٦- وافي، علي عبدالواحد، (١٩٥٧). **علم اللغة**، (ط٤)، الفجالة، مكتبة نهضة مصر.

١٢٧- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، (د.ت). **شرح المفصل**، (د.ط)، بيروت، عالم الكتب، القاهرة، مكتبة المتنبي.